المدحة الكبرى

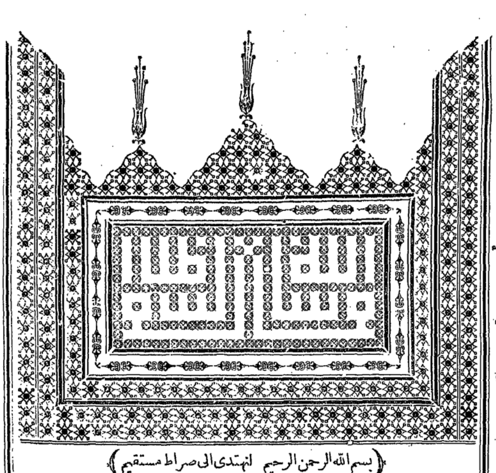
العلامة أبي المكارم زين الدين

المدحة الكبرى من الكلام القديم فى حق سيدنا محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

تأليف
العلامة أبى المكارم زين الدين بير محمد دده ابن
العارف بالله السيد مصطفى ابن
السيد حبيب محمد ابن
السيد بير محمد
نفع الله
بهم

(وبهامشه الوسيلة العظمى فى شمائل المصطفى خير الورى للمؤلف المذكور أجزل الله له الاجور وأثابه الثواب الموفور)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)
(سنة ١٣٠١ هجريه)



(بسم الله الرحمن الرحيم لنهتدى الى صراط مستقيم)

الحمد لله الذى أرسل حبيبه رحمة للعالمين وحرزا * وكافة للناس معينا وظهيرا وبشيرا ونذيرا * وبعثه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وأنزل عليه الفرقان فيه تبيان كل شئ ترغيبا وتحذيرا * وجعل أمّته خير الامم أمّة وسطا اجلالا له واكراما * وجعل أمّته هم الاوّلون وهم الآخرون اعلاء واعظاما * وشرح له صدره ورفع له ذكره وجعله فاتحا وخاتما تفخيما * وبذلك فضله على الانبياء والمرسلين تفضيلا * وشرّفه عليهم تشريفا * نحمدك اللهمّ على أن جعلتنى منطيقا فى مناقبه العلية * وفضائله السنية اللهمّ يا رب الارباب * ويا غياث المستغيثين ويا مسبب الاسباب * ويا من عجز فى وصف ذاته وصفاته أولوا الالباب * حتى قال سيدهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أسألك أن توصل الى جناب حبيبك وباب خليلك منى الصلوات والتحيات * وتجعلها الى سنا الدرجات العاليات * وأن تصلى عليه وعلى اخوانه من الانبياء وآل كل وأصحابه من أصحاب التقوى وأهل الطاعات * (أما بعد) * فيقول أذنب الخلق لكنه لا ييأس من روح ربه * وأحقر الناس غير أنه يلتجئ اليه فى شدّته وكربه * أبو المكارم زين الدين السيد بير محمد دده ابن العارف بالله السيد الشيخ مصطفى ابن العارف بالله السيد الشيخ حبيب محمد ابن العارف بالله السيد الشيخ بير محمد قطب زمانه * وغوث أوانه * حتى ينتهى الى الشيخ الواصل السيد الكامل شمس الدين التبريزى المرشد للشيخ المكمل المشتهر بملا خنكار ومنه الى سيدة نساء العالمين فاطمة البتول وطرف الامّ ينتهى الى صاحب الجناحين والتصانيف المعتبرة المشهورة فى هذا الزمان المولى الحنفى القرباغى ومنه ينتهى الى فحول أهل القبول * ليس الغرض من هذا التمدّح والفخر * بل بيان الانساب لانها ضاعت فى هذه الاقطار كيف التمدّح والفخر * وقد قال قائلهم

ولا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لنهتدى الى صراط مستقيم سبحانك ما أعظم احسانك وأبهر برهانك وأكمل تبيانك وأشمل سلطانك يا من يحمد بكل لسان ما أتمّ أنوارك وألطف أسرارك كيف يحصى الصفات والاسماء ولهت فى نعوتك الاولياء عجز الواصفون فيك الهى دهش الاتقياء والاصفياء فلك الحمد حمد الملائكة المقرّبين والانبياء والمرسلين ولك الشكر شكر المحبين والشهداء والصدّيقين أسألك اللهم أن تصلى على كل نسمة عظيمة من هؤلاء الطيبين وان تذكرهم بمزايا التعظيم والتبجيل فى الملا الاعلى الى يوم الدين وان تخصص من بينهم خلاصة بريتك والمصطفى بخلتك ومحبتك من هؤلاء الاكرمين بازكى الصلوات الطيبات والتسليمات المباركات اللهم صل على شجرة أصلها أصيل وفرعها نبيل وحارسها جبرائيل وغارسها رب جليل محمد مهبط الوحى والتنزيل اللهم صل وسلم على سيد الانبياء وسند الابرار المستخرج درّة وجوده من أصداف

ولا ينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهله

انّ القرآن العظيم والفرقان الكريم قد وشح بفضائل سيد المرسلين وزين بمناقب حبيب رب العالمين حتى لو تاملت السور القرآنية باسرها لم تر الله عز وجل أنزل سورة وترك فيها ذكر حبيبه بالفضل أو بالاكرام أو غير ذلك من الانعام لكن لم أظفر على مصنف جمع فضائله القرآنية بأجمعها من جميع السور التى جمعتها كما أشرنا اليه بحيث لا يترك شيأ من مناقبه عليه السلام الفرقانية سواء أشارت اليها أو نصت عليها مع أن هذا هو الامر الاهمّ والشغل الاعظم والوسيلة الكبرى والنجاة العظمى على نهج ماقلنا والافكتب سيره وشمائله لا تعد ولا تحصى ولطالما جال فى بالى أن أنظم منثور هذه اللآلى لكن قلة رأس مالى صدّنى عن أعزّ آمالى وكنت أتمثل بقول الشافعى رضى الله عنه

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

الرجل حافية ومالى مركب * والكف صفر والطريق مخوف

فتصبرت صبرا جميلا لاجل أعذارى حتى ألهمنى البارى توكلى عليه واعتمادى على بابه فى اظهار آثارى وابراز عشقى وانكسارى فى حق سيد الاصفياء والابرار فزينت عرائس أفكارى وأبرزت أبكار أسرارى فطالعت القرآن العظيم من أوله الى آخره فحاولت فضائل حبيب الله فى سوره فأطلعنى الله سبحانه بمحض جوده فى كل سورة منه على فضيلة سيد المرسلين نظمت كل فضيلة ومنقبة فى سلكها يعنى حررت كلا منها فى سورها على وفق ترتيب آيها القرآنية لتسهل على طالب كل فضيلة أن يصلها فجاء بحمد الله سبحانه على وفق مايقبله الاحرار وأنشأت أبياتا تليق بحالى وتحكى عمافى بالى وهى هذه

تاملت أوصاف الحبيب لمدحه * فقلت لنفسى أين أنت وذلكا

فلا أحد يقضى نعوت كماله * سوى ربه سبحانه وتباركا

تفكرت أمرا مظهرا ماقصدته * فقلت الهى ليس غير كلامكا

مدحتك ياخير الخلائق غير أن * مدحتك بالقرآن نفسى فداؤكا

أشفعكم فى زلتى وخطيئتى * لعل اله الخلق يقبل ذلكا

آمين ألف آمين والمرجو من العالمين أن يعينونى فى عثراتى وزلاتى كيف لا وقد روى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال انى صنفت هذه الكتب فلا بدّ أن يوجد فيها مايخالف كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان وجدتم فيها مايخالف كتاب الله وسنة رسوله فانى راجع الى كتاب الله وسنة رسول الله * وقال المزنى قرأت كتاب الرسالة على الشافعى ثمانين مرة فمامن مرة الا وكان يقف على خطا وقال الشافعى هيه أبى الله أن يكون كتابا صحيحا غير كتابه انتهى كلامه فاذا كان كذلك حال ذلك الكريم فماظنك بمن يكون فى جنبه من العديم ولقد طالعت عند كتب تفسير الآيات الدالة على فضيلة سيد المرسلين التفسير للامام محيى السنة والتفسير لابن عطية والتفسير للامام الرازى والتفسير للسهروردى والتفسير للحدادى والاشارات للامام القشيرى والتفسير للقاضى مع بعض حواشيه والتفسير للزمخشرى مع بعض حواشيه والشفاء للامام القاضى عياض مع

أشراف بنى معد ونزار محمد المصطفى المعلى المختار قرة عيون المهاجرين وقوة متون الانصار اللهم صل وسلم على مركز دائرة الوجود ودائرة نقطة الكرم والجود سيدنا ونبينا أشرف مخلوق وأكرم مولود وعلى خلفائه الراشدين المرشدين ذوى القدر الجلى سادتنا وقادتنا حضرة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعلى آله وأصحابه الكرام الابرار والتابعين الاحرار والاخيار اللهم انى أسألك أن تجعلنى نورا من الانوار المنسوبة الى بابك وسرا من أسرارك وحرا من أحرارك الذين أحييتهم بحياة طيبة فى الدارين وجعلت لهم عاقبة الدار ونصرتهم على المفسدين والاشرار فانى أشهد انك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وبان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (أما بعد) فيقول العبد الآبق من مولاه الملتجئ اليه فى شدته ورخاه

بعض حواشيه وغير ذلك ولعمر الله عامة ما كتبته في بيان فضل الحبيب من النكات العجيبة والدقائق البديعة ما ألهمني به ربي ثم بعد ذلك وقفت على أني تواردت في بعض ذلك مع بعض الفحول فان وقفتم على مثله فعليكم بالقبول وحسن الظن بحمله على التوارد لا على الانتهاب والانتحال كما هو دأب أهل الانصاف وقد كان البدء والختام في مقدار مدة خلافة ريحانة رسول الله أمير المؤمنين حسن رضي الله عنه وذلك في خلال سنة ست وتسعين وألف من الهجرة الحبيبة على صاحبها أفضل التحية وأرجو الله سبحانه انه ادّخر لي هذه الخدمة الاسنى وجعلني متفرّدا في هذا السعي الاعلى مع القبول والاجر الاوفى ولقد رأيت في خلال جمعها الرؤيا الحسنة ذكرت بعضا منها في الفضائل المتعلقة بسورة ابراهيم عليه السلام فلما تم عقد هذا الدر اليتيم الجسيم المتلألئ بانوار فضيلة النبي الكريم جعلته برسم خزانة النبي الامين وخير الاوّلين والآخرين مسميا اياه ((بالمدحة الكبرى من الكلام القديم في حق محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم)) وسائلا من الله تعالى أن يجعله سببا لرضوانه الاكبر وشفاعة حبيبه الاكرم الانور.

(سورة الفاتحة يتعلق بها فضائل نبينا عليه السلام تذكر في محلها)

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها واللام فيه اما للاستغراق أو الحقيقة وفيما تلاه اما للملك أو للاختصاص اللائق أو للاستيلاء فكل منها محتمل في هذا المقام لكن الاوفق عندي الملك لان الملك أدل على نفوذ الحكم بخلاف الاخيرين فهو أنسب بشأن المعبود سبحانه وليكون بدء الاوصاف المختصة بالحق سبحانه بالمالكية كما أن ختمها كذلك ولا شك أن مالك الجواهر مالك لاعراضها ومالك المحال مالك لاحوالها وهذه الاوفقية بالنسبة الى محامد العباد وأما محامده تعالى لذاته العالي فالاوفق لها الاختصاص والاستيلاء لانه لا يحسن أن يقال لمحامده لذاته انه مالكها فتأمل واما ايثار الحمد على المدح لانه لو قال المدح لله لا يدل على كونه سبحانه مختارا في أفعاله لان المدح حاصل للجماد ولاصحاب الاختيار وأما الحمد فهو مخصوص لذوي الاختيار يقال مدحت اللؤلؤ ولا يقال حمدته واما ايثاره على الشكر فلان الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما والحمد أعم وهذا مقام العموم فيكون المعنى على الاول من كل من اللامين جميع المحامد كلها مملوكة لله تعالى لا يستحقها غيره وعلى الثاني من كل من اللامين يكون المعنى حقيقة الحمد مخصوصة له تعالى فيلاحظ في كل من معاني لام التعريف معاني اللام الجارة فيكون المجموع ستة حاصلة من ضرب اثنين في الثلاثة لكنه لا يمكن لاحد أن يؤدّي محامد الله تعالى لان نعمه غير متناهية فكيف يؤدّي شكرها فلذلك عدل عن لفظ أحمد ونحمد تأديبا وتعليما للعباد فمن جملة النعم التي لا يستطيع أحد على أداء شكرها منه وجوده علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها فسر بعضهم النعمة بمحمد عليه السلام في هذه الآية كما ستقف عليه * والله اسم للذات المتجمع بجميع الصفات الثبوتية والسلبية والاصوب عندي أنه ليس بمشتق كرجل ونحوه بل علم مخصوص لله تعالى لقوله تعالى هل تعلم له سميا أي هل تعلم أحدا يسمى بهذا الاسم غيره كذا روي عن الخليل وابن كيسان ولهذا اختص الحمد بهذا الاسم كذا في كشف البزدوي وللحكاية المشهورة أن سيبويه

أبو المكارم السيد پير محمد دده أفاض الله تعالى عليه عونه ومدده فقد كنت مبتلى بقضاء قسطنطينية برهة من الزمان وبقضاء القضاة بالعسكر في ولاية روم ايلي بلا طلب مني فبحول الله عز وجل وقوته وعصمته وستره قبضت الجمر في ربي جل وعلا وبذلت جهدي في اعلاء الكلمة العليا وما بعت المناصب الدينية بيع من يزيد ولا عرضت الاحكام الشرعية الى ذلك كيزيد وان الله على ذلك لشهيد وملكي لدى عتيد كيف البيع والشراء بل أعطيت كل من قلدته منصب القضاء شيأ من الدنيا ولذلك تسبب بعض الانفس الحاسدة للامور الشنيعة المنكرة في دين خير البرية فاوقعوا ما أوقعوا وفعلوا ما كانوا يفعلون وما الله بغافل عما يعملون ثم تسببوا لركوبي على غارب الاغتراب والتدويخ بعد تجرع كؤس أنواع الغصص والاضطراب الى أن حط ثقلي في قلعة ماغوسه في جزيرة قبرس فاوجبت عليّ إذ كار رب الارباب والابتهال والتضرع في ذلك الباب

رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي لعدم تصرفي في اسمه وجعلني اياه من أعرف المعارف قال البيضاوي رحمه الله تعالى هو مشتق من ألهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته انتهى وذكر وجوها أخر قال في الاساس سكنت الى فلان أي استأنست به قال بعضهم في قول القاضي لان القلوب تطمئن بذكره الخ الاحسن أن يقال كل شيء يطمئن تحت قضائه ولا يستطيع أن يضطرب في دفع امضائه انتهى (أقول) لا يخفى أنه لا وجه لهذا الحسن لان المولى المزبور لم يستأنس بمعنى قول البيضاوي وهو سكنت اليه ونحن أشرنا اليه وأنت تعلم انه لا يستأنس بذكر الله تعالى الا الاصفياء فلا وجه لتعميمه بقوله كل شيء الخ فالقاضي أحسن غاية الاحسان قال وأصله النصب وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عمومه وثبوته دون تجدده وحدوثه (أقول) ان العموم يحسن اذا قيل بان لام التعريف للاستغراق وهو رجح كون اللام للحقيقة ففي كلامه نوع تفتيش فليتأمل قال بعضهم قوله ورفعه بالابتداء قيل وانما تعرض له مع ظهوره لان أصل التركيب يوهم كون لله ظرفا للحمد ولتوطئة قوله وأصله النصب (قلت) ولان أصل التركيب يوهم كون الحمد مرفوع فعل مجهول اى حمد الحمد لله لانه الاوفق بأصله انتهى (أقول) فيه بحث لان سبب العدول الى الرفع المذكور في ألسنة العلماء وهو انه عدل ليدل على عمومه وثبوته دون تجدده يأبى عن توهم تقدير هذا الفعل لان فيه حدوثا وانقطاعا وأيضا مثل هذا التقدير في كلام الله تعالى مع عدم التصريح من أصحاب التفسير وعدم الاضطرار لا يسوغ مع أن المفسرين جعلوا تقدير الكلام قولوا الحمد لله فلا يكون ما وجهه وجيها فتدبر ولا يخفى عليك أن قوله تعالى الحمد لله يشتمل على محامد غير متناهية لان معناه أن حمد الله تعالى وحمد كل مخلوق من بشر وملك وجن وعرش وكرسي وأرض وسماء وغير ذلك مما لا يعلمه الا هو أبدا الآبدين ودهر الداهرين لله سبحانه ولاجل هذا من أتى به يستحق النعم السرمدية ولقاء خالق البرية (أقول) واليه أشار اي الى ان الحمد لله يشمل هذه المعاني خير البرية عليه أفضل التحية في حديث حيث قال والحمد لله يملأ الميزان وتمام الحديث في الاربعين للنووي وغيره خرجه مسلم قال الفخر الرازي سامحه الله تعالى عن تشنيعه لخير التابعين وامام المسلمين وسراج الملة والدين أبي حنيفة رضي الله عنه وأرجو الله سبحانه أن يغار لابي حنيفة في تفسير الفاتحة قوله الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق ثمانية أبواب الجنة انتهى (أقول) يمكن أن يستخرج من لفظ الحمد لله لفظة أحمد اسم نبينا عليه الصلوات كأنه مشتق من الحمد فيكون نكتة دقيقة في الفضل المنيف أفاد الامام الرازي ما حاصله ان لفظ الحمد لله يشتمل على ألف ألف مسئلة بناء على ملاحظة ذات المحمود والمحمود عليه والحامد فان في خلق شخص واحد خمسة آلاف نعمة وحكمة وغيرهما مما لا يحصى ولقد أحسن (أقول) ولعله أخذها من تسمية السورة بالام والحديث الذي ذكرته في فضل الحمد لله والحق ان في كل حرف من كلام الله تعالى يمكن أن يندرج ألف مسئلة ومن ذلك ما قالوا ان معنى القرآن معجز كما ان نظمه كذلك واليه أشار المحقق التفتازاني في التلويح وقال الامام الرازي من الناس من قال تقدير الكلام قولوا الحمد لله وهذا عندي ضعيف لان الاضمار انما يصار اليه لتصحيح الكلام وهذا الاضمار يوجب افساد الكلام والذي يدل عليه وجوه * الاول ان قوله الحمد لله اخبار عن

والصلوات على خير البريات في المحافل والخلوات وغير ذلك من الاسرار التي يجب اخفاؤها من الفجار حتى استوعب ذلك الامر الخطير بتوفيق الملك القدير أوقاتي غير سويعات نومتي واستراحاتي ولست حديث عهد في ذلك المتاب بالعناية الازلية من الملك الوهاب ومع هذا لم أكن خاليا من تدريس العلوم الدينية وبث الفنون النبوية فبينما أنا في تلك الحالات متضرعا الى الله سبحانه في التوفيق الى أكمل القربات اذ برق لي بارق الهداية وطرق طارق العناية وأشار الي أن لو توسلت الى خالقك جل وعلا ببعض خدمات الحبيب المصطفى والنبي الكريم المرتضى هل سمعت أعظم شيء في التوسل من الحبيب فقلت لبيك ألف لبيك ومرحبا بما أمرتماني به والله سبحانه الموفق والمجيب فعزمت أن أجدد طراز كتابي النسخة الكبرى في ولادة خير الورى الذي اشتهر بين المحبين الصادقين بالقبول الاوفى وكانت تركيبة القبا وأردت أن أطرزه بالطراز الاول وأدبجه بالدثار

كون الحمد حقا له وملكا وهذا الكلام تام فى نفسه فلا حاجة الى الاضمار * الثانى ان قوله الحمد لله يدل على كونه مستحقا للحمد بحسب ذاته و بحسب أفعاله سواء حمدوه اولم يحمدوه لان ما بالذات أعلى وأجل مما بالغير * الثالث ذكروا مسئلة فى الواقعات وهو انه لا ينبغى للوالد أن يقول لولده اعمل كذا وكذا لانه يجوز أن لا يمتثل بامره فيأثم بل يقول ان كذا وكذا يجب ان يفعل ثم ان كان الولد كريما فانه يجيبه و يطيعه وان كان عاقا لم يشافهه بالرد فيكون اثمه أقل فكذلك ههنا قال الله تعالى فمن كان مطيعا حمده انتهى (أقول) ففيه نظر من وجوه * الاول ان قوله الاضمار انما يصار اليه لتصحيح الكلام ففى هذا الحصر بحث لانه لم لا يجوز أن يكون الاضمار لفوائد أخر غير التصحيح مما لا يحصى * والثانى أن دليله الثانى على كون التقدير مفسد الكلام لا يتم لان القائل بالتقدير لا يلزمه عدم دلالة الحمد لله على كونه تعالى مستحقا للحمد بحسب ذاته و بحسب أفعاله سواء حمدوه أولم يحمدوه لان المأمور بالقول بالحمد لله اذا قال الحمد لله فلا شك أن معناه ان جميع المحامد لله تعالى سواء أحمد أولم أحمد وانما يرد ما قال لو كان معنى الحمد لله أحمد الله وليس كذلك * والثالث ان ماذكره من الدليل الثالث لكون التقدير مفسدا ليس بموجه جدا لانه قياس لاوامر الحق على أوامر الخلق فما هو الا اجراء أحكام الله تعالى لعباده على الله سبحانه كما يدل عليه نقل المسئلة من الواقعات وأيضا فعلى هذا يلزم أن لا يأمر الله تعالى عباده شيأ لجواز عدم الاطاعة وذا باطل جدا فان قلت كلامنا فى الامر المستصعب اتيانه (قلت) الامر بالحمد ليس أصعب من الاستقامة فيما أمر وقد قال الله تعالى فاستقم كما أمرت الآية وأيضا نقل فى الفقهيات أنه من أراد أن يصلى نافلة فليجعلها نذرا عليه لتكون صلاته مؤداة بالوجوب و يجد ثواب الصلاة الواجبة فعلى هذا الاصلح للعبد أن يؤمر بالحمد ليكون حمده مؤدى بالوجوب فلا شك ان ثواب المؤدى بالوجوب أكثر مما أدى نافلة (أقول) بل قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم يقتضى تقدير قولوا كما لا يخفى لاولى النهى فتقدير قولوا أولى وأحسن يدل عليه أيضا ماروى عنه عليه السلام أنه قال يقول الله قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدنى عبدى واذا قال العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى على عبدى واذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدنى عبدى واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى هذا بينى و بين عبدى الحديث وجه دلالة هذا الحديث على ما قلنا أن العبد انما يتصف بكمال الاتصاف بكونه حامدا ومثنيا وممجدا اذا كان الحمد والثناء والتمجيد صادرا عن نفسه أو كان العبد مأمورا بالحمد ثم أتى به وأما الاتيان بكلام غيره فلا يجعله ماذكر غاية ما فى الباب أنه يكون تاليا للقرآن مقرا بحقية ما تلا لا متصفا به فظهر أن الاولى تقدير قولوا (رب العالمين) الرب من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم سمى به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه وقيل هو فى الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل ثم سمى به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه والمختار عندى هو الوجه الاول لان به يتسق نظام النعوت فى كونها وصفا وهو الرب والرحمن والرحيم والمالك وما كتب فى بعض حواشى القاضى فى ترجيح الوجه الثانى بان مجئ فعل صفة مشبهة من فعل يفعل بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع عزيز يرده القرآن والتأييد بنم ينم وما قال من انه يجوز

الاكمل الافضل وأحليه بالحلية العليا وأرصعه بالجوهر الاسنى فزينته باللسان العربى المتين الذى نزل به القرآن المبين وزدت على النسخة الكبرى شيأ من المناقب وأمورا مما يناسب وكثيرا من الشمائل وحق لهذا الكتاب بان يقال له كتاب الشمائل فى حق خير الاواخر والاوائل لكن المذكورين فيما سبق لما تسببوا لغصب كتبى وأوراقى وأقلامى ودواتى ومدادى ناسب لى أن أقول ما يتكحل به العيون من جمال أبكار عرائس الالفاظ وبدائع المعانى فعلمتها من مبذولات أفكارى ومكنونات فؤادى والاشجار أقلامى والمنحوت من الاحجار دواتى والماء المدرار بل دموع عينى مدادى ونويت أن أسميه بعد اتمامه ان شاء الله تعالى (بالوسيلة العظمى) وهو جدير لذلك * ثم اعلم أنه يتوجه الكلام فى كتابى هذا ان شاء الله تعالى الى فاتحة و بصيرة وثلاثة أبواب وخاتمة وتذييل (اما الفاتحة) ففى بيان نبذة من مفاخره

أن يكون ثم صفة مشبهة من غير مضموم العين غير مقبول لانا نقول ان الكشاف أعلى كعبا في العلوم العربية بل امام يكفينا تصحيحه بكون ثم من مضموم العين وما قال من ان الصفة المشبهة من المتعدى محوجة الى مزيد تكلف غير مسموع لانا نقول ليس ما فيه من التكلف أكثر من ارتكاب التكلفين في الوجه الثانى وما قال وأيضا في الوجه الاول فوات المبالغة في المصدر ونقول يغنى عن هذه المبالغة اضافته الى العالمين فليتأمل * والعالم هو في الاصل اسم لما يعلم به الشئ ثم استعمل في كل ما سوى الله تعالى بأجناسه وأنواعه وأفراده وانما سمى به لدلالته على الصانع الحق سبحانه لامكانه في ذاته فكل ممكن محتاج في وجوده للواجب بالذات على ما برهن في محله لكنه غلب ذوو العقول على غير العقلاء لكثرتهم وفضلهم ولذلك جمع جمعه وانما جمعه ليستغرق جميع أجناسه وأفراده كما ان المقام يقتضيه فيكون تأويل النظم الكريم الحمد لله رب العالمين بتربية عجيبة مغايرة لتربية المخلوقين لا لغرض ولا لعوض بل بمحض جود واحسان وشفقة وامتنان ومن عجيب تربيته تربية رجل كبير في قطرة ماء فيجعله علقة ثم مضغة ثم يتولد منه العظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها ثم يتصل البعض بالبعض فحصلت القوة الباصرة في العين والسامعة في الاذن والناطقة في اللسان فسبحان من أسمع بعصب وأبصر بشحم وأنطق بلحم ومن هذا قيل من لم يعرف علم التشريح فهو عنين في معرفة الله تعالى ومن بديع صنعه تربية شجرة كبيرة في نواة صغيرة سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت ولينا فارحمنا وعوالمه التي ربها الاجسام باجناسها عرشه وكرسيه وأفلاكه وجنته وناره الموقدة ونحوها من أرضه ومائه وحيواناته ونباتاته وغيرها والملائكة والانس والجن وغير ذلك مما لا يعلمه الا هو ويشهد عليه قوله سبحانه وما يعلم جنود ربك الا هو واليه أشار الامام الرازى بان العالمين يندرج فيه ألف ألف مسئلة بل أكثر من أن يحصى (أقول) واليه يشير تسمية هذه السورة الكريمة بالكنز (الرحمن الرحيم) قال القاضى ما ملخصه انهما للمبالغة من رحم والرحمة في اللغة رقة في القلب تقتضى الاحسان وأسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادى التي تكون انفعالات قال بعضهم في حواشى البيضاوى قوله وأسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات الخ يشعر هذا بانه أخذ الرحمن من الرحمة باعتبار ما يلزمها من الاحسان والاظهر ان الرحمن أخذ من الرحمة بمعنى الاحسان اه‍ (أقول) الانسب لبناء المبالغة أن يكون مأخوذا من الرحمة باعتبار ما يلزمها من الاحسان لان الاحسان الذى هو غاية لرقة القلب أبلغ من الاحسان غير هذا فناسب الابلغ معنى بالابلغ صيغة فتأمل والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة الحروف تدل على زيادة المعنى على ما قرر في محله (فان قلت) فلم قدم الرحمن مع ان الانسب ظاهرا أن يقدم الرحيم ويترقى منه الى الاعلى (أقول) ذكر لذلك أجوبة شتى في التفاسير لكنا نقول وانما قدم ليتصف الحق سبحانه في أول الامر باوصاف عاليات كما هو مقتضى ذاته المتعالى كما في رب العالمين ولقد علمت ان الرحمن أبلغ وأعلى من الرحيم فليتأمل قال الفخر الرازى الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنسه من العباد (أقول) لعله أخذ هذا المعنى من أبلغية الرحمن واختصاصه بالمنان ومن عدم اختصاص الرحيم بالحنان ومن أمثلة ما لا يتصور صدوره من الانسان ما حكى أن ابراهيم بن أدهم قال كنت ضيفا في قوم

صلى الله عليه وسلم سوى ما انتظم في سلك الكتاب ودرة من مناقبه التي لا يطلع عليها بكمالها الارب الارباب وفيها فصول (البصيرة) في أن السلف والخلف لم ينفكوا من اظهار البهجة والسرور في شهر ولادة بدر البدور ونور النور وغير ذلك مما يناسب لذلك ويشرح الصدور * (الباب الاول) * في بيان خلقة نور سيد الابرار وأن نوره مقدم على جميع الاطوار بل هو أصل كل شموس وأقمار ومبدأ كل نجوم وأنوار * (الباب الثانى) * في طلوع شمس ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم من عالم الارواح سائرا الى عالم الاشباح * (الباب الثالث) * في رضاع هذا النجم الاسعد في قبيلة بنى سعد * (الخاتمة) * في انتقاله صلى الله تعالى عليه وسلم من دار البوار الى جوار رب الابرار (التذييل) في لزوم محبته صلى الله تعالى عليه وسلم ومناصحته ومعنى المحبة والنصيحة والصلاة ومعناها ومواطنها وكيفيتها وفضلها وفي ثواب محبته ومما روى عن السلف والائمة في محبتهم له صلى الله عليه وسلم

(فاتحة)

في نبذة من مناقبه التي لا يطلع على ايها بكمالها الا مانحها سبحانه ودرة يتيمة من درر تيجان فضله التي لا يغوص في بحارها أحد الا بتوفيق من منعمها وواهبها اجل جلاله وافترض اجلاله *أما ما انطوى عليه كتاب ربنا عز وجل المهيمن للكتب من جلائل أحواله صلى الله عليه وسلم من ثنائه جل وتقدس عليه والمدح وتعداد المحاسن ومن الشهادة على الامم وما يتعلق بها من الثناء والكرامة ومما ورد في خطابه سبحانه مورد الملاطفة والمبرة ومن قسمه تعالى بعظيم قدره وذاته وصفاته وبلده ومضافاته عليه السلام ومن قسمه تعالى له ليتحقق مكانته عنده ومما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام ومما أخبره الله عز وعلا في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم السلام وغير ذلك مما لا يحصى فقد زينا بها كاشفا المسمى بالمدحة الكبرى في حق محمد المصطفى حتى أثبتنا في كل سورة من السور

فأتى اعانة فنزل غراب فأخذ رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض البلاد فاذا برجل مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه ومنه أيضا ما حكي ان ولد العقاب لما خرج من البيض يخرج من غير ريش فيكون كانه قطعة لحم أحمر والعقاب يفر منه ولا يقوم بتربيته ثم ان البعوض يجتمع عليه لانه يشبه قطعة لحم ميت واذا وصل البعوض اليه التقم من ذلك البعوض و تغذى بها ولا يزال على هذه الحال الى أن يقوى و ينبت شعره ويخفى لحمه تحت ريشه فعند ذلك يعود اليه الام ولهذا جاء في أدعية العرب يارزاق العقاب في عشه فسبحان من لا يعرف عظم رحمته الا هو فتعالى من لا يدرك دقائق أسراره الا هو ولاجل ما نزهته به فرحمته في بعض الاشياء يعرفها كل أحد وفي بعض الاشياء لا يدرك كل أحد لخفائها في الظاهر فيعرفها أصحاب أسراره سبحانه فالرحمة عبارة عن التخليص عن الآفات وايصال الخير الى أصحاب الحاجات وذا لا يتصور الا بعد العلم باقسام الحاجات والعلم باصناف الآفات والعلم باقسام أصحاب الرجوات وعلم ذلك لا يتصور الا بالغوص في بحر لا ساحل له فيندرج في الرحمن الرحيم ألوف ألوف مسائل أيضا (مالك يوم الدين) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب به ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله قال بعضهم في حواشيه على تفسير البيضاوي ولا يخفى ان قوله تعالى والامر يومئذ لله يعضد قراءة مالك يوم الدين (أقول) ولا يذهب عليك ان لام الملك في والامر يومئذ لله يعضد قراءة مالك يوم الدين وسياق قوله تعالى لا تملك نفس لنفس شيأ أيضا كذلك وقرأ الباقون ملك يوم الدين وعضدوها بانواع التعضيدات وأيد هذه القراءة في الكشاف بقوله تعالى في سورة الناس ملك الناس وقال بعضهم ووجهه السيد السند بانه كما عقب في خاتمة القرآن وصفه بالربوبية بالملكية ناسب أن يعقبه كذلك في الفاتحة (أقول) يرد عليه ان اللاحق يجعل على وفق السابق لا السابق على طبق اللاحق ومع ذلك فليس في الفاتحة تعقيب الربوبية بالملكية بل تعقيبها بالرحمانية فليتأمل *يوم الدين يوم الجزاء كقولهم كما تدين تدان ومعنى مالكيته سبحانه ليوم الجزاء أنه تعالى فقط لا غيره يفصل يوم القيامة ما بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي وذلك لا يظهر الا في يوم الجزاء كما قال الله تعالى ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وغير ذلك والا فالحق تعالى مالك يوم الدين وأيام الدنيا بل مالك كل شيء والذنوب التي يجزي سبحانه عليها على قسمين حقوق الله تعالى والله جعل مبناها على المسامحة لغناه عن العالمين وحقوق العباد فهي التي لا يتساهل فيها الحق سبحانه لعدله ولطفه وهي التي يحترز عنها غاية الاحتراز كما روي عن أبي حنيفة رحمه الله كان له على بعض المجوس مال فذهب الى داره ليطالبه فلما وصل الى باب داره وقع في نعله النجاسة فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله فوقعت على حائط دار ذلك المجوسي فتحير أبو حنيفة فقال ان تركها العل الله يجعله سببا الفتح ذلك المجوسي فدق الباب وخرجت الجارية وقال لها قولي لمولاك ان أبا حنيفة بالباب فخرج اليه فظن أنه يطالبه بالمال فجعل يعتذر فقال أبو حنيفة ما هو أولى وأهم لنا في هذا الآن بل ظهر أمر هو الاهم وذكر القصة وقال كيف السبيل الى تطهيره وقال المجوسي وأنا ابدأ بتطهير نفسي فاسلم في الحال على يد أبي حنيفة والغرض من هذه القصة هو أن أبا حنيفة احترز عن ظلم قليل فالله سبحانه ببركات احترازه هدى مشركا الى طريق مستقيم فما ظنك بالذي احترز عن هذا الظلم فالواجب كل الوجوب أن يحترز من حقوق

العبادنهاية الاحتراز ليحصل له الاحراز بسعادة الدارين اعلم ان المؤمن فى الدنيا كالمسافر وسنوه كالفراسخ وشهوره كالاميال وأنفاسه كالخطوات ومقصده الوصول الى الآخرة لان هنالك الوصول الى الدرجات العاليات ففى مالك يوم الدين أشير الى مسائل الحشر والنشر والمعاد وهى قسمان بعضها عقلية وبعضها نقلية ودقائق المسائل العقلية ترتقى الى خمسمائة مسئلة لانه يبحث فيها عن العالم وسائر أحوالها وعن جوهر النفس وكيفية أحوالها وصفاتها وبقائها وبعد البدن سعادتها وشقاوتها وقدرة الله تعالى على ذلك وتفصيل ذلك فى التفسير الكبير وأما السمعيات فهى على ثلاثة أقسام أحدها الاحوال التى توجد قبل قيام القيامة وهى أشراطها * وثانيها الاحوال التى توجد عند قيام الساعة وهى كيفية النفخ فى الصور وموت الخلائق وتخريب السموات والكواكب والارضين وموت الملائكة والجن والناس أجمعين ويبقى وجه ربنا ذى الجلال والاكرام * وثالثها الاهوال التى توجد فى الطامة الكبرى من أحوال أهل الموقف فريق فى الجنة وفريق فى السعير والوزن يومئذ لله والامر يومئذ لله وذلك يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود وذلك حين يقول المؤمن فيه هذا ما وعدنا الله ورسوله ويقول الكافر ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما وغير ذلك من الاحوال التى لا تحصى قال الفخر ولعل المسائل العقلية والنقلية تبلغ الالوف داخلة تحت قوله مالك يوم الدين (أقول) والحق أن المسائل المذكورة لا تدخل تحت حد لان أسرار يوم القيامة لا يعرفها الا هو سبحانه ولعل دخول المسائل المذكورة تحت قوله مالك يوم الدين مأخوذ من تسمية السورة الكريمة بالكنز (اياك نعبد) والمحققون من النحاة على أن ايا فى اياك ضمير منصوب وما اتصل به من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب والعبادة غاية الخضوع ونهاية التذلل فكأن المعنى يامن هو ذات لا يزال ويامن له عين الكمال لا أعبد أحدا سواك * وحين أحصى الله تعالى ثناء وأمر تلاشت عقول العارفين فى بيداء جماله وتفرقت قوى السالكين فى صحراء جلاله واضمحلت الاغيار واندرست الاعيان ولم يبق الا عين الاعيان وخالق الانس والجان فكانوا يخصونه بالعبادة لاضمحلال الاغيار عندهم على أنه هو الحقيقة عندهم وجعلوا يخاطبونه كأنهم يرونه وان لم يكونوا يرونه فانه لا محالة يراهم ويقول لسان حالهم

جلالك فى عينى ووصفك فى فمى * وحبك فى قلبى فاين تغيب

ومما ذكرنا ما حكى انّ أبا حنيفة رحمه الله تعالى كان يصلى فسقطت حية من السقف فتفرق الناس وأبو حنيفة لا يشعر به ومنه ما روى ان الآكلة وقعت فى رجل (٧) عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فاحتاج الى قطعه العضو فلم يتمكنوا منه حتى دخل فى الصلاة فلما دخل الصلاة قطعوه ولم يشعر به كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل ومن استبعد ذلك فى الحق سبحانه فليلاحظه فى خلقه الذى أعطاه ذرة من الجمال بل لا يطلق عليه فى جنب جمال الحق سبحانه كيوسف عليه السلام لما عرض جماله على النسوة قطعن أيديهن وقيل بل متن فاذا كان الحال فى مكاشفة جمال يوسف هكذا فما ظنك بجميل تجلى للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وليس للجبل عين وسمع وسائر القوى الدراكة ولذلك فكل من وصل لم يعد وغير الحق لم يرد بل تلاشى

القرآنية شيأ مما ذكر بل أزيد مما ذكر كيف لا وقد اصطفاه الله عز وجل بالنبوة والرسالة وبالخلة والمحبة والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثمة والامانة والهداية والرحمة للعالمين وأعطى الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثانى والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله تعالى وصلاة الله تعالى والملائكة عليهم السلام والحكم بين الناس بما أراه سبحانه وتعالى ووضع الاصر والاغلال عنهم واجابة الدعوات وتكليم الجمادات والعجم واحياء

(٧) صوابه عروة بن الزبير عفى عنه اهـ منه

في بحر الفناء ولم يبق له اسم ولا رسم في دار الفناء فلنرجع الى القواعد العربية وهي التي تليق بلساننا ومن ضوابطها أن تقديم المفعول على الفعل يفيد التخصيص فهنا يفيد تخصيص العبادة للحق سبحانه لكن لما قدم ضمير خطاب كان أدل على التخصيص لان الحامد كأنه رتب العبادة على الاوصاف المذكورة لله تعالى وترتب الحكم على الوصف يدل على عليته فكأنه قال نخصك بها التميز بهذه الاوصاف لما ثبت في أصول الفقه ان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف قال القاضي وانما قدم المفعول للتعظيم والاهتمام والدلالة على الحصر (أقول) ويجوز أن يكون للتبرك والاستلذاذ وتربية المهابة أيضا فتأمل وقال القاضي ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك أي يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود بني أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها انتهى قال بعضهم في حواشيه قوله بني أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف الى آخره فصله عما قبله لبعد ما بينهما فكأنه لا مناسبة بينهما تنبيها على علو درجة هذا الكلام ثم مبادي حال العارف ماذكره وأوسطه الايمان بالشرع وما لا طريق للعقل اليه الا من جهة الوحي ورجاء وعده وخوف وعيده وقد تضمنه مالك يوم الدين فلم يفت النظم أواسط حاله وقد فات المفسر انتهى (أقول) ففي كلامه بحث * أما أولا فلان قوله فصله عما قبله لبعد ما بينهما الى آخره في غاية البعد لانك لو نظرت بعين الانصاف لوجدت ما قبله عين ما بعده بل ما بعده تفسير ما قبله فهو تفسير قوله للترقي من البرهان الى العيان ومن الغيبة الى الشهود * وأما ثانيا فلان قوله وأوسطه الايمان بالشرع الى آخره يتراءى أن يكون سهوا لان المراد من العارف هنا المؤمن الخاص العارف بالله تعالى وصفاته السالك اليه تعالى وما ذكره من أواسط الحال هو من أوائل حال عامة المؤمنين بل من أوائل حال العارف أيضا قبل السلوك * وأما أول حال العارف حين السلوك هو ما ذكره القاضي من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه وغير ذلك وأما أوسط حاله وهو قل ما يلاحظ لان السالك ما دام سائرا الى الله تعالى لا يتعلق بمحل حتى يعد أوسط بل يرتقي آنا فآنا فتأمل ففي أداء العبودية يحتاج الى معرفة علم التفسير وعلم الحديث وعلم الاصول وعلم الفقه فقوله سبحانه اياك نعبد يشتمل على مسائل لا نهاية لها قال صاحب العناية في شرح الهداية قيل ما وضعه أصحابنا من المسائل الفقهية ألف ألف ومائة ألف وسبعون ألفا ونيف مسئلة انتهى فما ظنك باللواحق التي ألحقها المتأخرون فيتضمن اياك نعبد هذه المسائل وغيرها سبحان القادر (واياك نستعين) الاستعانة طلب المعونة والمراد هنا طلب المعونة في الامور كلها أو في أداء العبادة كما هو مقتضى المقام والضمير في نعبد ونستعين للقارئ ومن معه من الحفظة الكرام والحاضرين في صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحدين أدرج عبادته في عبادتهم وخلط حاجته في حاجتهم لعلها تقبل ببركاتهم وتجاب بهم ولاجل ذلك صار الجماعة مشروعة قال بعضهم في حواشي البيضاوي

الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا تحويه العقول الى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب الشفاعة والسعادة والحسنى والزيادة صلى الله تعالى عليه وسلم عدد فضائله وعدد ما كان وما يكون (ثم بعد) ما أحرز صلى الله تعالى عليه وسلم قصب السبق في تلك الصفات العلمية كان في الغاية القصوى في كمال خلقته وجمال صورته ونظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد ووفور عقله وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله وشرف نسبه وكرم بلده وحلمه واحتماله وعفوه مع القدرة وصبره على ما يكره وجوده وكرمه وسخائه وسماحته وشجاعته ونجدته وحيائه واغضائه وحسن عشرته وأدبه وبسط

الاقرب أن يجعل المستكن لجميع العقلاء موحدين كانوا أو مشركين لان المشرك أيضا يعبد الله ويستعينه الا أنه لا يعرفه حق المعرفة (أقول) لا يخفى عليك انه بعد كون معنى اياك نعبد نخصك بالعبادة ولا نعبد سواك كيف يتصور ادخال المشركين على أنه لا يمكن ادخال جميع العقلاء لان جميعهم لا يعبدون الله تعالى لان منهم من ينكر الحق سبحانه فأين العبادة نعوذ بالله من سوء الفهم وقلة الفطانة وقد ذكروا في تقديم اياك نعبد على ما يليه وجوها في التفاسير ونحن نقول بلطفه تعالى لما ذكر ألوهيته سبحانه وربوبيته ومالكيته ناسب أن يقابل بذكر عبودية عبيده قال القاضي وأقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه أوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة أيضا مما لا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق (أقول) وكمال حسن هذا الوجه انما يظهر أن لو كان هذا الكلام ابتداء من العباد بل هذا من الحق سبحانه تعليما للعباد (اهدنا الصراط المستقيم) اعلم ان الصراط المستقيم من أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في كتاب تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين وغيره ولقد سماه الله بذلك في القرآن عن الحسن البصري وأبي العالية رحمهما الله تعالى الصراط المستقيم هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه رضي الله تعالى عنهم الهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير (فان قلت) لابد أن يكون المصلي مؤمنا فكل مؤمن مهتد فيكون طلب الهداية تحصيلا للحاصل (أقول) أجيب عنه بأجوبة شتى أحسنها أن يقال ان طرق الهداية مختلفة بحسب الترقيات والتنزلات يشير اليه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والمطلوب هنا أعلى مراتبها وهو أن يكون الانسان في سلوكه معرضا عما سواه سبحانه ولا يعرف يمينه وشماله وساعته وآنه ويتشبث بعتبة الحق بشراشره ويجتنب عن الدنيا ومفاخرها وهذا على وجه الكمال منصب حبيب ذي الجلال والمطلوب هذا الصراط المستقيم وقلما يوجد هذا الاهتداء في كل ولي فكيف يكون كل مؤمن مهتديا بهذا المعنى حتى يكون طلبه تحصيلا للحاصل وهذا الاشكال يرد على من فسر الصراط المستقيم بطريق الحق أو ملة الاسلام وأما من فسره بمحمد عليه السلام وأهل بيته وأصحابه فلا فتدبر فظهر مما ذكرنا ان الوجه الذي اخترناه في الجواب أحسن الوجوه لكونه أدقها ولكونه مبيض الوجوه ولتضمنه أحوال أصحاب الوجوه ولكونه تأسيسا لا تأكيدا لما قبله ولذلك لم يذكر بالواو لعدم تجامعهما لفظا ومعنى أما لفظا فهو انشاء وما قبله اخبار وأما معنى فلكونه تأسيسا غير داخل فيما قبله فأكثر دقائق هذا المعنى مما ألهمني به ربي سبحانه وانما اختير لفظ الصراط على السبيل أو غيره مما يكون في هذا المعنى ليكون مذكرا لجسر جهنم المسمى بالصراط قال القاضي البيضاوي المستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام انتهى (أقول) ذكر في التفسير الكبير عدم مساغ ما ذكره القاضي بصيغة التمريض مفصلا فليطالع ثمة قال بعضهم في حواشيه على البيضاوي قوله والمراد به طريق الحق الخ أقول وبالله التوفيق أن القرآن يفسر بعضه بعضا وقد فسر فيه الصراط المستقيم بالعبادة حيث قال سبحانه وان اعبدوني هذا صراط مستقيم فالصراط المستقيم هو العبادة الى قوله فخذ ما آتيتك انه مما أتاني الهام العليم الحكيم انتهى فنحن نقول بمن الله سبحانه علينا ان كون المراد من الصراط المستقيم العبادة ههنا غير موجه على ما لا يخفى لان طلب

خلقه وشفقته ورأفته ورحمته لجميع الخلق ووفائه وحسن عهده وصلة رحمه وتواضعه وعدله وأمانته وعفته وصدق لهجته ووقاره وصمته وتأنيه ومروأته وحسن هديه وزهده في الدنيا وخوف ربه وطاعته له وشدة عبادته فلنشرع في الفصول * (فصل في الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها) * فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخزيم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من انه عليه السلام كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الاشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام

الهداية الى العبادة يشعر به قوله واياك نستعين لانه طلب المعونة منه سبحانه على العبادة ومن جملة المعونة عليها الهداية الى العبادة فيكون قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم تأكيدا لا تأسيسا فى كلام الناس التأسيس أولى من التأكيد فكلام الحق سبحانه أحق به وأيضا يرد عليه ان قوله اياك نعبد اخبار بانه اهتدى الى العبادة فيكون قوله اهدنا الصراط المستقيم واقعا فى غير محله وأيضا فسر الصراط المستقيم فى القرآن بغيرها يعرف بالتتبع والاحق ماذكرنا ان الصراط المستقيم كونه بحالة يعرض فيها عن الخلق بكليته و يتوجه الى الحق بشراشره وأما قول البعض فخذ ما آتيتك فى غاية من سوء الادب وادراجه فى الاقتباس فى نهاية الصعوبة على ما لا يخفى فنحمد الله تعالى على ما هدانا اعلم أن الهداية لها مسلكان * أحدهما أن يكون بالاستدلال وطرق الاستدلال ومسائلها مما لا نهاية لها الا ان كل شئ وكل جسم وكل ذرة يدل على وجود الحق سبحانه ومن مشاهير ما يهدى الله به الخلق القوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة ومنه نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل ومنه ارسال الرسل وانزال الكتب ومنه الوحى والالهام والمنامات الصادقة والثانى ما يحصل بالرياضة فالسائرون الى الله سبحانه لكل منهم منهج ومشرب ومسلك اليه أشار الحق بقوله ولكل وجهة و بقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وذلك علم التصوف ومسائله لا ترتقى الى حد فقوله سبحانه اهدنا الصراط المستقيم يتضمن ألوف ألوف مسائل بل أزيد فسبحان من أخفى معانى كثيرة فى لفظ قليل وهو رب عظيم على كل شئ قدير (صراط الذين أنعمت عليهم) اعلم ان قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم فى أم الكتاب مبهم يوضحه قوله تعالى فى سورة النساء ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وعن عكرمة المراد من النبيين محمد عليه السلام ومن الصديقين أبو بكر الصديق ومن الشهداء عمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين ومن الصالحين سائر الاصحاب فعلى هذا يكون قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم بدلا من الصراط المستقيم بدل الكل من الكل الظاهر أن البدل هو لفظ الصراط واضافة الصراط الى الذين بيانية قررنا ذلك بناء على ما اخترناه من التفاسير فى البدل والمبدل منه وأما اذا كان المراد من النبيين جميع الانبياء ومن الصديقين جميع الصديقين ومن الشهداء جميع الشهداء ومن الصالحين جميع الصالحين فأقول يحتمل على هذا أن يكون بدل الكل من البعض بناء على التفسير الاول للصراط المستقيم مع ملاحظة التفسير الثانى لصراط الذين أنعمت عليهم كقول الشاعر

رحم الله أعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

فتأمل وأما بدل الكل من البعض فقد زاده بعضهم على أقسام البدل حتى قال جلال الدين السيوطى وجدت له مثالا فى القرآن وهو قوله تعالى يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن بدل من الجنة التى هى بعض وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لا جنة واحدة انتهى فتدبر قالوا قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم بدل الكل من الكل وانما أبدل مع انه لو اكتفى بالمبدل منه لكفى لان فيه فائدة عظيمة وهى التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له

فكأنه

عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله عليه السلام رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ فى الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل وجه رسول الله مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وفى حديث ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنهما يتلألأ وجهه عليه السلام تلألأ القمر ليلة البدر

فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه لان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين قال بعضهم ومن الفوائد الخاصة السانحة انه تصريح بان المطلوب صراط الجماعة لا صراط الواحد أي الذي لا يسلك الا منفردا من المجذوبين انتهى (أقول) ومن السوانح عند كتبة هذا المحل هو أن المجذوب لو سلك منفردا ومسلكه مغاير لسلك محمد عليه السلام فهو مردود لان كل صوفي لم يتأيد أمره بمحمد عليه السلام ولم يسلك طريقه فهو غير مقبول ولو تأيد به أمره وسلك مسلكه فهو على صراط الجماعة كما لا يخفى فتامل واعلم ان الانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذبها الانسان فاطلقت على ما يستلذه من النعمة بفتح النون وهي اللين من الامور الملائمة الموازنة لتلك الحالة اطلاقا فالاسم المسبب على السبب ونعم الله تعالى كثيرة لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والمراد مامنح الله سبحانه ابراره من تزكية النفس وتزيينها بالنفائس القدسية في هذه الدنيا وسامح من التقصيرات وأسكن في أعلى الدرجات وتجلى بجماله وهو أول المأمولات في دار العقبى جعلنا الله تعالى منهم بمحض جوده فقوله جل وعلا أنعمت عليهم اشتمل على مسائل لا تحصى وعلوم الاولين والآخرين لانها موقوفة على معرفة المنعم عليهم وأسباب انعامهم وغير ذلك فيندرج فيه علم التواريخ وعلم الاخلاق بمسائلهما فسبحان القادر على كل شئ وأما استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة ومكانه وطريقه مذكور في التفسير الكبير في الفصل الثاني في أول الكتاب (غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين) جمهور المفسرين على ان المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى في حقهم من لعنه الله وغضب الآية والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وروى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن قيل ما عليه الجمهور ضعيف لان منكري الصانع والمشركين أخبث دينا من اليهود والنصارى وكان الاحتراز عن دينهم أولى بل الاولى أن يحمل المغضوب عليهم على كل من أخطأ في الاعتقاد لان اللفظ عام فالتقييد خلاف الاصل انتهى ما قيل وقد خطر لي في هذا المقام مقال الله اعلم بحقيقة الحال هو انه انما خص اليهود والنصارى بالذكر لانهم الذين أضلهم الله على علم فهم أخبث شأنا من منكري الصانع والمشركين قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولتضمنه توبيخا لليهود والنصارى ولان المناسب بحال السائل للهداية أن يكون المراد بهما أهل الكتاب كأن السائل يقول اللهم لا تجعلنا من أهل الكتاب الذين أفرطوا وفرطوا مع انه يمكن أن يقال ان الاحتراز عن منكري الصانع والمشركين قد حصل بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم لانهم اما محمد وأهل بيته وأصحابه أو الانبياء والمسلمون الكاملون وأما تخصيص اليهود والنصارى بالذكر فقد ذكرت وجهه في صدر الكلام أو يقال عد منكري الصانع والمشركين كالحيوانات لعدم تدينهم بدين وأما جعلهما الكل العصاة فهو أيضا وجه جيد وقوله غير المغضوب عليهم اما بدل من الذين فيكون فائدته التصريح على ان المنعم عليهم مخلصون عن الغضب والضلال أو صفة كاشفة بجعل الغير معرفة لكونه مضافا الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليه وضده المضاف اليه المغضوب عليهم فيتعين كتعين الغير في قوله عليك بالحركة غير السكون وأما كونه صفة مقيدة فلم نجد له وجها وجيها وان أمكن بالتاويل البعيد الغضب ما يحصل للبشر عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام

والاحاديث في وصفه عليه السلام مشهورة كثيرة فمحلها السير المفصلة المتكفلة لبسطها

(فصل في نظافة جسمه الشريف وطيب ريحه المنيف وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد)

فلقد أحسن القاضي الامام العلامة الناقد البليغ أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى في بيانها حيث قال فكان قد خصه الله سبحانه في نظافة الجسم وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها سبحانه بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بني الدين على النظافة وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيأ أطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام مسح خده قال فوجدت في يده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار وروى انه عليه السلام يضع يده على رأس صبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار أنس رضي الله عنه فعرق

وهو مستحيل في حقه تعالى فاذا أطلق عليه سبحانه يراد به الغاية أعني الانتقام كما ذكر في الرحمن الرحيم وفي ترك اسناد الغضب اليه سبحانه بان يقال غضبت عليهم مع ان فيه مراعاة حسن التقابل بانعمت فائدة لطيفة هي استهجان نسبته اليه تعالى والاستبعاد عن الحضور وعليهم في محل الرفع على انه قائم مقام الفاعل للمغضوب قال بعضهم في حاشيته على البيضاوي قوله عليهم في محل الرفع يقال هذا مسامحة لشدة امتزاج الجار والمجرور والا فاهو في محل الرفع مجرد المجرور (أقول) يرد عليه انه لو جعل المجرور في محل الرفع لزم توارد العاملين على معمول واحد وهما المغضوب وعلى تأمل فهذا من مدركات الالحاظ عند كتبة المحل والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا أو خطأ وللضلال أنواع وأفراد كثيرة وفي بدء الله سبحانه أول السورة بحمده وثنائه وذكره وختمها بذم المعرضين عن الايمان وطاعة الملك المنان ايماء بان مطلع الخيرات ورأس المبرات هو الاقبال على الله تعالى بالقلب والقالب وبان نهاية الحرمان وغاية الخسران هو الاعراض عن الملك الحنان اللهم اجعلنا من المقبلين الى جنابك ولا تجعلنا من المعرضين عن بابك (أقول) وقد تضمنت السورة الكريمة الاشارة الى أن من حق كل مؤمن أن يطلب من الحق سبحانه أعلى مراتب الرجال ولا يحل عند قطع مسافة قليلة الرحال ويطلب منه تعالى أقصى المنال لانه سبحانه يحب معالي الهمم ووجه الاشارة يظهر من ملاحظة معاني السورة الكريمة فخذه وعده من السوانح السبحانية تم تفسير السورة الكريمة آمين فليس من القرآن لكن روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوله ويأمر به وقال لقنني جبريل عليه السلام بعد فراغي من فاتحة الكتاب آمين وقال انه كالطابع على الكتاب وعن علي كرم الله وجهه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده وفي معناه وجوه أوجهها عندي انه بمعنى افعل على ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل ويشير اليه قول النحاة انه اسم فعل أعني استجب لما نزل فاتحة الكتاب شيعه ثمانون ألف ملك حتى وصل النبي عليه السلام وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك فقال أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قط قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة وذكر في سيرة ابن سيد الناس ان ابليس رن أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب وفي هذا الباب أحاديث جليلة اكتفينا بما ذكرت فلنرجع الى ما نحن في خدمته وهو بيان تفضيل الله سبحانه حبيبه عليه السلام في هذه السورة الجليلة ففي قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم تفخيم منيف لشأن الحبيب حيث سماه بهذا الاسم المبارك وقرنه بذكر اسمه الكريم وأمر وعلم العباد طلب الهداية الى حبيبه شفيع يوم التناد دون أن يقول اهدنا الى الله الجواد مع ان السياق والسباق يدعو اليه فهذه فضيلة عظيمة بديعة جدا وذلك لانه تعالى جعله عليه السلام موقع النتيجة وفذلكة الامور السابقة يعرف كل ذلك بالتأملات الصادقة والتفكر في مقام المحبة فهذا من المواهب السنية العليا للعبد الاحقر جامع الفضائل للحبيب الالهي صاحب الشريعة الغراء ولم يصرح باسمه وجعله علما في الاستقامة بل جعله نورا يستضاء به في ظلمات البر والبحر وجعل الواصل اليه صلى الله عليه وسلم واصلا الى جنابه واليه يشير قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله

الآية

فجاءت أمه رضي الله تعالى عنها بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها عليه السلام فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله تعالى عنه لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلك من طيبه قال اسحق بن راهويه رحمه الله تعالى ان تلك رائحته بلا طيب عليه السلام وعن علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيأ فقلت طبت حيا وميتا قال فسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وعن بعض العلماء باخباره وشمائله عليه الصلاة والسلام انه كان اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة وفي ذلك خبر عن عائشة رضي الله عنها وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه عليه

الآية وبيان ذلك ان المجاز أبلغ من التصريح وفى قوله سبحانه صراط الذين أنعمت عليهم اكرام عظيم على نحو هذا التوجيه بل مع الزيادة ولا يخفى ما فى تكرر الابدال الدالة على التنزيه من قوله صراط الذين أنعمت عليهم وقوله غير المغضوب عليهم من الاجلال والتفخيم وأيضا ذكره عليه السلام فى فاتحة الكتاب مع قران ذكره سبحانه ينبئ بتعظيم عظيم غير ما ذكرنا يعرف بالتأمل ولا يخفى عليك أيضا ان فى اصطفاء الله سبحانه حبيبه بهذه السورة العظيمة على سائر الانبياء ما يدل على اجلال حال الحبيب عليه التحية حيث أعطى سبحانه أحب كلماته اليه أحب مخلوقاته كما هو ديدن المحبين فى الشاهد وذلك التقرير مما خصنى به الملك القدير تمت الفضائل الكائنة فى سورة الفاتحة الحمد لله الذى فضل حبيبه على جميع أنبيائه وأمجاده والصلاة عليه وعلى آله وأولاده

(الفضائل المتعلقة بسورة البقرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) الالفاظ التى تتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة تتهجى بها أى تعدد بسببها حروف المبانى مثل أن يقال ألف با تا لولا الالفاظ لا يمكن تعداد الحروف لان المعنى ما يستفاد من اللفظ فالضاد اسم ومسماها بالتواطئ الحرف الاول من ضرب وأما كون الالفاظ المذكورة أسماء فلصدق حد الاسم عليها ولوجود خواصه فيها من التفخيم والتنكير والتعريف والجمع والتصغير والاسناد وغير ذلك فان قلت اذا كان الالفاظ المذكورة أسماء هل لها محل من الاعراب قلنا ان كانت اسما للسورة فتحتمل الاحوال الثلاث من الرفع على الابتداء والجر على القسم والنصب على اضمار الفعل ومن لم يجعلها اسما للسورة لم يتصور لها محلا من الاعراب كالجملة الواقعة فى الابتداء والاسماء المعدودة كذا فى التفسير الكبير (أقول) فيه انه اذا لم تكن اسما للسورة تحتمل أن تكون اسما لغير السورة فتحتمل بعض الاحوال فتدبر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها وقال سهل بن عبد الله التسترى الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام (أقول) وتقديم جبريل لكونه واسطة لا للتقدم الرتبى وروى هذا القول السمرقندى وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن الذى لا ريب فيه ويوضح ذلك ما قلته نكتة لتقديم جبريل فتفكر والذى حكى عن السمرقندى منقول عن الضحاك أيضا كما ذكر فى التفسير الكبير فعلى قول ابن عباس يجوز ان يكون المعنى ان الله تعالى أقسم بذاته وبجبريل وبمحمد ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه قال الاستاذ الامام الديلمى فى تفسيره ألف هو لام رسوله وميم منه أقسم به وبرسوله الذى منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم انا من الله والمؤمنون منى وفى خبر ان الله تعالى خلقنى من نوره وخلق المؤمنين من نورى وجواب القسم قوله لا ريب فيه تم كلام الامام والحاصل ان العلماء اختلفوا فى الم وما يجرى مجراها وبعضهم على انها أسرار الله تعالى لا يطلع عليها غيره سبحانه وبين ذلك بعض العارفين بان العلم بمنزلة البحر فاجرى منه واديا ثم أجرى من الوادى نهرا ثم أجرى من النهر جدولا ثم أجرى من الجدول ساقية فلو أجرى ذلك الوادى الى الجدول لغرقه وأفسده ولو مال البحر الى الوادى لافسده وهو المراد من

السلام وهو قول بعض أصحاب الشافعى حكاه الامام أبو نصر بن الصباغ فى شمائله وغيره وشاهد هذا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب وشاهد هذا الشاهد ما روى عن على رضى الله تعالى عنه آنفا والشاهد الآخر أن سنان بن مالك رضى الله تعالى عنه شرب دمه عليه السلام يوم أحد ومصه وسوغه النبى صلى الله عليه وسلم وقال لن تصيبه النار وله شواهد كثيرة وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا ومقطوع السرة وعن أمه آمنة انها ولدته نظيفا ما به قذر وفى حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه السلام نام حتى سمع منه غطيط فقام وصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه كان محفوظا وتفاصيل هذه الخصائص الشريفة فى المفصلات

(فصل فى وفور عقله) فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة

قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى فأعطى الرسل منها أودية ثم أعطت الرسل من أوديتهم أنهارا الى العلماء ثم أعطت العلماء العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم أجرت العامة سواقى الى أهاليهم بقدر طاقتهم وعن هذا ماروى فى الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله تعالى بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله تعالى لطاحوا حائرين وبادوا بائرين والسبب فى ذلك ان القوى الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا تحتمل أبصار الخفافيش نور الشمس فلما زيدت الانبياء فى عقولهم قدروا على احتمال أسرار النبوة ولما زيدت العلماء فى عقولهم قدروا على احتمال ما عجزت العامة عنه وكذلك علماء الباطن زيدت فى عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر هكذا ذكر الامام الرازى فى التفسير الكبير والذين يدعون انها اسرار لهم أدلة بينت فى محلها غير ما ذكر من البيان والذين يقولون انها ليست باسرارلهم أدلة عقلية ونقلية أيضا وذكروا لها معانى ترتقى الى عشرين بل أزيد فمنها ما ذكرته ان الالف هو الله واللام رسوله والميم يدل على انه منه سبحانه وان المراد بالالف الله تعالى وباللام جبريل وبالميم محمد عليهما السلام وذلك فى قول الله عز وجل ذلك الكتاب اشارة الى السور المنزلة قبل هذه السورة فيكون استعماله فى محطه لان السور المنزلة التى قبلها لما وجدت منزلة فكأنها صارت بعيدة أو يقال ذلك فى أصل الوضع مشترك بين القريب والبعيد واختصاصه بالبعيد بحسب العرف فيكون استعماله هنا فى القريب بحسب وضعه الاصلى فلا ضير هذان الوجهان ملخص ما ذكر فى التفسير الكبير ويقال استعمال ما هو للبعيد فى القريب للتعظيم قال بعضهم فى حاشية التفسير ثم نقول اختيار ذلك للاشارة الى بعد مرتبة الذات عن صفة الكلام انتهى (أقول) يتراءى انه ليس على ما ينبغى لانه كيف يبعد عن صفته القائمة به لاسيما عن صفته الكلام فعده من السوانح السبحانية فتدبر الكتاب مصدر بمعنى المكتوب وتسمية الآيات المنزلة على قلب الرسول بالكتاب باعتبار الاول لانها تكتب فيما بعده فعلى ما اخترناه من ان الالف اشارة الى الله تعالى واللام لجبريل والميم لمحمد عليهما السلام وغير ذلك مما اخترته فالظاهر من كلام بعض المفسرين انه لا محل لنظم الم من الاعراب كما ذكرنا ولقد علمت ما فيه فتذكر فذلك اما مبتدأ وخبره الكتاب أو الكتاب صفته والخبر لا ريب فيه والجملة جواب للقسم وأما تذكير اسم الاشارة مع ان المشار اليه مؤنث فباعتبار الخبر وباعتبار القرآن وأما قوله تعالى لا ريب فيه فمعناه لاعجازه وكمال برهانه وسلطانه لا يشك فيه من له عقل ففى هذه الآية الجليلة تمجيد عظيم من رب كريم للنبى الرحيم لانه سبحانه اقسم به صلى الله عليه وسلم مع الاشارة الى انه عليه السلام منه تعالى وذكر اسمه تعالى مع اسمه ففى كل منهما فضل باهر وشرف ظاهر فمن أشرف حالا ممن أقسم الله تعالى عليه ومن أعظم شأنا ممن يذكر اسمه مقارنا باسمه سبحانه للتعظيم فلنتمثل بقول الشيخ البوصيرى

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

(اقول) صلى عليه اله بارئ النسم * سلم عليه جليل مجرى القلم

والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وهو صلى الله تعالى عليه وسلم قد بلغ منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه عليه السلام يعلم ذلك من تتبع مجارى أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وأيامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقريب الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كعلم التعبير والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك وقد بين ذلك فى الشفا بتعريف حقوق المصطفى وغير ذلك من الكتب النفيسة فى ذلك دون تعلم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما ذكر لم يمتر فى رجحان

قال

قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) استقبلها بالاخذ والقبول اختلف فى هذه الكلمات وأشار بعضهم الى أنها قول آدم عليه السلام اللهم بحق محمد اغفر خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال له تعالى من أين عرفت محمدا قال رأيت فى كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدى ورسولى فعلمت انه أكرم خلقك فتاب الله عليه وأشير الى ذلك فى شفاء الامام القاضى وغيره (فتاب عليه) رجع عليه بالرحمة وقبول التوب (انه هو التواب) الرجاع على عباده بالمغفرة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة فعلى ماذكرنا من التأويل لسر التنزيل أشير فى الآية الكريمة اشارة شريفة دقيقة حقيقة الى كمال حال الحبيب وعلو شأنه عليه السلام حيث غفر الله سبحانه لصفيه عليه الصلوات بحق حبيبه خير البريات فذلك أشرف التشريفات والتكريمات وأكمل التعظيمات والتفخيمات قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) قال بعض المفسرين هى لغة كانت فى الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبى واجلالا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كأنه لايرعونه الا برعايتهم بل حقه ان يراعى على كل حال ولا يخفى مافى هذه الآية من اجلال حال الحبيب عليه السلام قال سبحانه وتعالى حكاية عن خليله عليه السلام (ربنا وابعث فيهم) أى فى الامة المسلمة التى مضى ذكرها فى قوله واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك الآية (رسولا منهم) ولاشك أنه حبيب الله عليه السلام والدليل عليه اجماع المفسرين وقوله عليه السلام انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام فالدعوة هذه الآية والبشارة فى سورة الصف فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فذكر الخليل للحبيب المطلوب صفات الاول (يتلو عليهم آياتك) أى يقرأ عليهم الكتاب هذا التفسير هو الاظهر عندى لان القراءة تدل على كون المراد بالآيات الكتاب (ويعلمهم الكتاب) الكتاب الذى نزل عليه يعنى معانيه بحقائقها التى بيان تلك منصب الحبيب لكثرة اطلاعه على اسرار الحق سبحانه (أقول) وبماقررنا ظهر كونه تأسيسا لاتأكيدا فليتأمل قال القاضى ويعلمهم الكتاب أى القرآن قال بعضهم فى حاشية قوله ويعلمهم الكتاب أى القرآن الاظهر كتابك الذى لم ينسخ سواء كان كتاب ابراهيم أوكتابا آخر لان ابراهيم لايعلم أن كتابه ينسخ (أقول) فقوله لانه لايعلم ان كتابه ينسخ ممنوع لانه لم لايجوز ان يعلمه الله تعالى بمجىء حبيبه عليه السلام بنسخ الكتب أو بنسخ كتابه لاسيما طلب الرسول يشعر به لان الرسول من له كتاب والغالب على حال من له كتاب أن ينسخ كتاب ماقبله من الكتب فهذا من مدركات الالحاظ فتدبر (والحكمة) ذكر المفسرون للحكمة خمسة معان فالاقرب منها عندى وجهان أحدهما قول قتادة والشافعى هى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى الحكمة المتشابهات والكتاب المحكمات يعنى يعلمهم الكتاب أى المحكمات والحكمة أى المتشابهات والوجه الاول من الوجهين أوجه من الآخر وانما آثرنا الوجهين لان فى ايثارهما ايجابا للتأسيس والانتظام فى كلام الملك العلام والوجوه الباقية تدل على التأكيد على مالايخفى على أصحاب التتبع والوجوه كلها مذكورة فى التفسير الكبير والقاضى فسر الحكمة بما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام (أقول) لايخفى عليك أن ماذكره من معنى الحكمة داخل فى تلاوة الآيات وتعليم الكتاب فلا تأسيس فيما اختاره

عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وقد قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى قرأت فى أحد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان النبى عليه السلام أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفى رواية أخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا

(فصل فى قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم)

فقد قال مجاهد رحمه الله تعالى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وفى الموطا انى لا راكم من وراء ظهرى ونحوه عن أنس رضى الله تعالى عنه فى الصحيحين وعن عائشة رضى الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله تعالى اياها فى حجته وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم

فليتأمل (ويزكيهم) قالوا ان الرسول ليس له تصرف فى قلوب المكلفين و بتقدير ان يحصل له هذه القدرة لكنه لا يتصرف فيها والا لكان ذلك الزكاء حاصلا بالجبر لا بالاختيار فعلى هذا يكون نسبة التزكية اليه عليه السلام على طريقة التجوز أو على ارادة معنى آخر واذا كان كذلك فالتزكية تفاسير ثلاث أحدها ما يفعله عليه السلام سوى التلاوة وتعليم القرآن والحكمة حتى يكون ذلك كالسبب لطهارتهم وتلك الامور ما يفعله عليه السلام من الوعظ والتذكير والوعد والوعيد ومن التسبب بأمور الدنيا الى أن يؤمنوا أو يصلحوا فقد كان عليه السلام يفعل من هذا الجنس أشياء كثيرة لتقوى بها دواعيهم على الايمان ولذلك مدح عليه السلام بأنك لعلى خلق عظيم وانه أوتى مكارم الاخلاق وثانيها ما قيل يزكيهم أى يشهد لهم يوم القيامة بأنهم ازكياء اذا شهد كل نفس بما كسب كتزكية المزكى للشهود وثالثها ما قيل يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ فعلى التفسيرين الاخيرين فالتزكية على حقيقته فهذه التفاسير الثلاث جيدة فلهذا خصصنا بالذكر (انك أنت العزيز الحكيم) العزيز القادر الذى لا يغلب على ما يريد الحكيم العالم الذى لا يجهل شيأ (أقول) الله سبحانه يلجئ الكلام فى هذا المرام الى هذا وهو انك يا منعم عزيز فتقدر على بعث هذا الرسول الذى له هذه الصفات وانك أنت باعلام حكيم فتعلم حيث تجعل الرسالات فلنرجع الى أعز المرام بلطف الملك العلام وهو بيان فضيلة خير الانام عليه أفضل السلام حيث لم يجعل مطلوب خليله بالنعوت الفاخرة غير حبيبه عليه السلام لانه لم يستعد لهذه السعادات الا هو ولا يليق بهذه المفاخرة الا هو كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته وأيضا يقال استعمل الحق سبحانه خليله فى خدمة دعاء حبيبه بل فى بيان مناقبه ولذلك سن ذكر الخليل مع الحبيب فى التشهد على السنة الامة الى قيام الساعة أداء لحق دعاء الخليل فى حق الحبيب عليهما السلام حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا الآية وفى بعث الله تعالى حبيبه عليه السلام من المسجد الحرام نكتة لطيفة وهنيها ربى وهى أن المسجد الحرام أحب البقاع الى الله تعالى فناسب أن يبعث فيه أحب الخلائق اليه وهو حبيبه ولم يتيسر ذلك لاحد من الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وفيه أقوال كثيرة اكتفينا بواحد منها أى كما هديناكم الى قبلة هى خير القبل جعلناكم أمة خيارا الوسط فى أصل الوضع يطلق على المكان الذى يستوى جوانبه بالنسبة اليه فى المقدار ثم استعير للخصال الحمدة لتوسطها بين الافراط والتفريط ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) اذا كان المراد من الناس الانبياء عليهم السلام يكون على بمعنى اللام وكذلك فى عليكم كما فى قوله تعالى وماذبح على النصب أى للنصب وما كان عليه الاكثرون هو أن هذه الشهادة تكون يوم القيامة لما روى أن الامم يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله تعالى الانبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال أمته فيزكيهم و يشهد بعدالتهم فان قيل ان شهادة الامة وشهادة الرسول مستندة فى الآخرة الى شهادة الله تعالى على صدق الانبياء فاذا كان كذلك فلم لم يشهد الله تعالى لهم بذلك ابتداء وجوابه ان الحكمة فى ذلك تميز

للملائكة عليهم السلام والشياطين ورفع النجاشى رضى الله تعالى عنه له عليه السلام حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه عليه السلام لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكى انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره

(فصل فى قوة اعضائه الشريفة)

فقد جاءت الاخبار بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم صرع ركانة أشد أهل وقته وكان صلى الله عليه وسلم دعاه الى الاسلام وصارع صلى الله عليه وسلم أبا ركانة فى الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه عليه السلام

(فصل فى فصاحة لسانه وبلاغة بيانه صلى الله تعالى عليه وسلم)

فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان بلا تكلف أوتى صلى الله تعالى عليه وسلم جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب

أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى الفضل عن سائر الامم بالمبادرة الى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى سائر الامم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك يقبل الله تعالى شهادتهم على الامم ولا يقبل شهادة الامم عليهم اظهار العدم التهمة وكشفا عن فضلهم بل عن فضل نبيهم كذا فى التفسير الكبير (أقول) فالآية الجليلة أشعرت بكمال فضل الحبيب عليه السلام حيث جعل قبلته خير القبل كما أن أمته خير الامم لان أمته كانوا شهداء الله تعالى على الاولين والآخرين مع أن الحق سبحانه أراد بذلك اظهار عدم التهمة وكشف فضلهم فى مثل هذا اليوم العظيم ولم يعكس الامر وذلك فضل باهر للامة فذلك الامن فضل رسولهم لان فضل التابع يدل على فضل المتبوع سيما الملك القدوس زكى أمر الانبياء بأمته وأمر أمته به فيكون من زكى الكل الحبيب الجليل اذ الاصل الاصيل والفرع النبيل كفى بذلك فضلا للحبيب المكرم هذا ما منحنى الحق سبحانه فى هذا المقام قال القاضى انما قدمت الصلة على شهيدا فى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (أقول) ان كان معناه أن الامة مخصوصون بشهادة الرسول لهم لا لغيرهم فيأباه ما يجيء منهم فى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا حيث قالوا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء الانبياء شهيدا فلا اختصاص لهم بشهادة الرسول عليهم فليتأمل (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) دوام نظرك الى جانب السماء فى أمر التوجه الى المسجد الحرام روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام وددت أن الله تعالى صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال جبريل انما أنا عبد مثلك لا أملك شيأ فاسأل ربك أن يحولك عنها فارتفع جبريل وجعل النبى عليه السلام يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل بما سأل فانزل الله تعالى هذه الآية (فلنولينك قبلة ترضاها) الآية أى فلنحولنك قبلة تحبها وتميل اليها طبعك لاجل أن الحكمة والمصلحة وافقت ميل طبعك (أقول) ففيه ما يشعر بعلو حال الحبيب حيث وافق رضاه رضا الحق تعالى وأيضا ان الله تعالى أجرى حكمه على مقتضى مرضات حبيبه والتزم تحصيل رضا نبيه فمن يسارع له الرب فى تحصيل المراد فهو خير العباد هذا ما وهبنى ربى الجواد قال الله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة) فى النفس والاهل والولد والمال وغيرها (قالوا) أى عند المصيبة (انا لله) ملكا (وانا اليه راجعون) بعد الموت (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) أى مغفرة من ربهم ونعمة (وأولئك هم المهتدون) مخصوصون بالاسترجاع عند المصيبة كما روى عن سعيد بن جبير انه قال لقد أعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعطه الانبياء قبلهم انا لله وانا اليه راجعون ولو أعطيه الانبياء لاعطيه يعقوب اذ يقول يا أسفا على يوسف ففى هذه الآية الجليلة اجلال بشأن الحبيب حيث أعطى ما لم يعطه أحد من الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) أى الرسل التى قصصناهم عليك فى السورة فضلنا بعضهم على بعض (منهم من كلم الله) بلا سفير وهو موسى عليه السلام قال القاضى وقيل محمد وموسى عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة فى الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد انتهى (وأقول) كالسموات والارضين ونعم ما قال القاضى (ورفع بعضهم درجات) الآية ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل

فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها حتى كان كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب وقد قال له أصحابه صلى الله وسلم عليه ورضى عنهم ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال وما يمنعنى وانما أنزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين وقال مرة أخرى بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد فجمع له عليه السلام بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الالفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشرى وقالت أم معبد رضى الله تعالى عنها فى وصفها له عليه السلام حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة ومن درر كلماته التى لا توازى فصاحة قوله عليه السلام أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك

منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا عليه السلام لانه هو المفضل عليهم حيث أوتى مالم يؤته أحد منهم من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ألف وأكثر ولو لم يؤت الا القرآن لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفى هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره مالا يخفى لما فيه من الشهادة أنه العلم الذى لا يشتبه والمتميز الذى لا يلتبس هكذا ذكره صاحب الكشاف ولقد أحسن وأصاب فى بيان فضل الحبيب على سائر الانبياء لكنا نقول لو نظرت بعين البصيرة لوجدت الاسباب المفضلة فى الانبياء كلها موجودة فى نبينا على الوجه الاكمل الاتم (قال الامام الرازى) اجتمعت الامة على أن بعض الانبياء أفضل من البعض وعلى أن محمدا عليه السلام أفضل من الكل ويدل عليه وجوه * أحدها قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فلما كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من العالمين * الحجة الثانية قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقيل فيه لانه قرن ذكر محمد بذكره فى كلمة الشهادة وفى الأذان وفى التشهد ولم يكن ذكر سائر الانبياء كذلك * الحجة الثالثة انه تعالى عز وجل قرن طاعته بطاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وبيعته ببيعته فقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يقول راقم الحروف غفر الله سبحانه له وههنا نكتتان لاحظتهما احداهما انه تعالى جعل طاعة الرسول طاعته وحقق مضمون هذا الامر فقال فقد أطاع الله وأخرى انه تعالى جعل بيعته بيعة الرسول وأثبتها على وجه الحصر والقصر حيث قال انما يبايعون الله ففيه زيادة اعتناء بحال الحبيب انتهى كلامى وقرن عزته بعزته فقال ولله العزة ولرسوله ورضاه برضاه فقال والله ورسوله أحق أن يرضوه واجابته باجابته فقال يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول يقول كاتب الحروف جامع الفضائل فى تكرير الجار أيضا ما يدل على الاعتناء * الحجة الرابعة ان الله تعالى أمر محمدا عليه السلام بأن يتحدى بكل سورة من سور القرآن فقال فأتوا بسورة من مثله وأقصر السور سورة الكوثر وهى ثلاث آيات فكأن الله تحداهم بكل ثلاث آيات من القرآن ولما كان كل القرآن ستة آلاف آية لزم أن لا يكون معجز القرآن معجزا واحدا بل يكون ألفى معجز وأزيد واذا ثبت هذا فنقول ان الله تعالى ذكر تشريف موسى بتسع آيات بينات فلان يحصل التشريف لمحمد عليه السلام بهذه الآيات الكثيرة أولى * الحجة الخامسة ان معجزة رسولنا أفضل من معجزات سائر الانبياء فوجب أن يكون رسولنا أفضل الانبياء بيان الاول قوله عليه السلام القرآن فى الكلام كآدم فى الموجودات بيان الثانى انه الخلقة كلما كانت أشرف كان صاحبها أكرم عند الملك * الحجة السادسة ان معجزته عليه السلام القرآن وهو من جنس الحروف والاصوات وهى اعراض غير باقية ومعجزات سائر الانبياء من جنس الامور الباقية ثم انه سبحانه جعل معجزة محمد باقية الى آخر الدهر ومعجزة سائر الانبياء فانية منقضية يقول مؤلف الكتاب كيف الى آخر الدهر بل القرآن باقية الى أبد الآبدين وقوله الى آخر الدهر يوهم خلاف ما قلنا لانه سبحانه أجل من أن يفنى كلامه أى القرآن كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما فى صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيأ ولا يجدون فى المصاحف شيأ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى

يوما ما وقوله عليه السلام ذو وجهين لا يكون عند الله وجيها وقوله عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله عليه السلام فى بعض دعواته اللهم انى أسألك رحمة تهدى بها قلبى وتجمع بها أمرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى أسألك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره صلى الله تعالى عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون

*(فصل فى شرف نسبه وكرم بلده) فما الاحاجة فيهما الى اقامة الشواهد وترتيل الفوائد فانه صلى الله عليه وسلم أنفس بنى هاشم وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه وقد نشأ من مكة أكرم بلاد الله على الله تعالى وعلى عباده وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه

النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب يشرعون وأتلى ولا يعملون فتأمل * الحجة السابعة ان الله تعالى بعدما حكى أحوال الانبياء عليهم السلام قال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأمر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بمن قبله فاما أن يقال انه كان مأمورا بالاقتداء بهم فى أصول الشرع وهو غير جائز فكيف يقتدى بها وشرعه نسخ سائر الشرائع فلم يبق الا أن يكون محاسن الاخلاق فكأنه سبحانه قال انا أطلعناك على أحوالهم وسيرتهم فاختر أنت منها أجودها وأحسنها وكن مقتديا بهم فى كلها وهذا يقتضى انه اجتمع فيه من الخصائل المرضية ما كان متفرقا فيهم فوجب أن يكون أفضل منهم * الحجة الثامنة انه عليه السلام بعث الى كل الخلق وذلك يقتضى أن تكون مشقته أكثر فيجب أن يكون أفضل أما انه بعث الى كل الخلق فلقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس يقول ناظم هذه الدرر الغالية ولقوله تعالى يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وغير ذلك من الآيات التى سنذكرها ان شاء الله تعالى فى سورة الاعراف وفى سورة سبأ انتهى كلامى وأما ان ذلك يقتضى أن تكون مشقته أكثر فلانه كان انسانا فردا من غير مال ولا أعوان فاذا قال لجميع الناس يا أيها الكافرون صار كل الناس أعداء له فيصير خائفا من الكل فتكون المشقة عظيمة واذا ثبت ان مشقته أعظم من مشقة غيره وجب أن يكون فضله أكثر من فضل غيره لقوله عليه السلام أفضل العبادات أحمزها * الحجة التاسعة ان دين محمد أفضل الاديان فيلزم أن يكون محمد أفضل الانبياء عليهم الصلوات بيان ذلك انه تعالى جعل الاسلام ناسخا لسائر الاديان والناسخ يجب أن يكون أفضل لقوله عليه السلام من سن سنة حسنة فله مثل أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة فلما كان هذا الدين أفضل وأكثر ثوابا كان واضعه أكثر ثوابا من واضعى سائر الاديان فيلزم أن يكون محمد أفضل من سائر الانبياء * الحجة العاشرة أمة محمد أفضل الامم فوجب أن يكون محمد أفضل الانبياء بيان الاول قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس بيان الثانى ان هذه الامة انما نالت هذه الفضيلة بمتابعة محمد عليه السلام قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وفضيلة التابع توجب فضيلة المتبوع وأيضا ان محمدا عليه السلام أكثر أتباعا لانه مبعوث الى الجن والانس فوجب أن يكون ثوابه أكثر لان لكثرة المستجيبين أثرا فى علو شأن المتبوع * الحجة الحادية عشرة انه عليه السلام خاتم الانبياء والرسل فوجب أن يكون أفضل لان نسخ الفاضل بالمفضول قبيح فى العقول * الحجة الثانية عشرة ان تفضيل بعض على بعض يكون لاحد أمور منها كثرة المعجزات التى هى دالة على صدقهم وموجبة لتشريفهم وقد حصل فى حق نبينا عليه السلام ما يفضل على ثلاثة آلاف وهى بالجملة على أقسام منها ما يتعلق بالقدرة كاشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وارواءهم من الماء القليل ومنها ما يتعلق بالعلوم كالاخبار عن الغيوب وفصاحة القرآن ومنها اختصاصه فى ذاته بالفضائل نحو كونه نسيبا من أشراف العرب وأيضا كان فى غاية الشجاعة كما روى انه قال فى محاربة على رضى الله عنه لعمرو بن عبد ود كيف وجدت نفسك يا على قال وجدتها لو كان أهل المدينة فى جانب وأنا فى جانب آخر لقدرت عليهم فقال تأهب فانه يخرج من هذا الوادى فتى يقاتلك الحديث الى آخره مشهور ومنها فى خلقه وحلمه ووفائه ووقاره وفصاحته وسخاوته وكتب الحديث مملوءة بفضائله * الحجة الثالثة عشرة قوله عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وعن العباس رضى الله تعالى عنه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا

*(فصل فى الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره) فلا خفاء على من تتبع مجارى اخلاقه الشريفة المبنية فى القرآن العظيم والسنن انه عليه السلام بلغ فى ذلك الغاية لان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت منه هفوة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما وفى سنن الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم

القيامة وذلك يدل على انه أفضل من آدم ومن كل أولاده وقال عليه السلام أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقال عليه السلام لا يدخل الجنة أحد من النبيين حتى أدخلها ولا يدخلها أحد من الامم حتى تدخلها أمتي وروى أنس قال عليه الصلاة والسلام أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما جلس ناس من الصحابة يتذاكرون فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد سمعت كلامكم وحجتكم أن ابراهيم خليل الله فهو كذلك وموسى كليم الله فهو كذلك وعيسى روح الله فهو كذلك وآدم صفي الله فهو كذلك ألا أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد ولا فخر وأنا أول شافع ومشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله لي فندخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر * الحجة الرابعة عشرة روى البيهقي في فضائل الصحابة أنه ظهر علي بن أبي طالب من بعيد فقال عليه السلام هذا سيد العرب فقالت عائشة رضي الله عنها ألست أنت سيد العرب فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على أنه أفضل الانبياء عليهم السلام * الحجة الخامسة عشرة روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ولا فخر بعثت الى الاحمر والاسود وكان النبي قبلي يبعث الى قومه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب وأنا في مسيرة وأحلت لي الغنائم ولم يكن لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة فذخرتها فهي نائلة ان شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيأ وجه الاستدلال أنه صريح في ان الله فضله بهذه الفضائل على غيره * الحجة السادسة عشرة قال محمد بن علي الحكيم الترمذي في تقرير هذا المعنى ان كل أمير فانه يكون مؤنته على قدر رعيته فالامير الذي تكون امارته على قرية تكون مؤنته بقدر تلك القرية ومن ملك الشرق والغرب احتاج الى أموال وذخائر أكثر من أموال ملك الموضع فكذلك كل رسول بعث الى قومه فأعطى من كنوز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرسالة فالمرسل الى قومه في طرف مخصوص من الارض انما يعطى من هذه الكنوز الروحانية بقدر ذلك الموضع والمرسل الى كل أهل الشرق والغرب انسها وجنها لا بد أن يعطى من المعرفة بقدر ما يمكنه أن يقوم بسعته بأمور أهل الشرق والغرب واذا كان كذلك فنسبة نبوة محمد عليه السلام الى نبوة سائر الانبياء كنسبة ملك كل المشارق والمغارب الى ملك بعض البلاد المخصوصة ولما كان كذلك لا جرم أعطى من كنوز الحكمة والعلم ما لم يعط أحد قبله فلا جرم بلغ في العلم الى الحد الذي لم يبلغه أحد من البشر قال تعالى في حقه فاوحى الى عبده ما أوحى يقول ناظم هذا العقد الجسيم راقم الحروف فذكر الامام الرازي قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى للاستدلال على وفور علمه عليه السلام كما ترى فنقول الله أعلم بحقيقة الحال ان الدلالة على ذلك في ابهام لفظة ما في قوله ما أوحى لما في الابهام من التفخيم كأنه لا يدركه البشر كما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم لاحظته والقلم بيدي عند الكتابة انتهى كلامي وبلغ في الفصاحة الى أن قال أوتيت جوامع الكلم وصار كتابه مهيمنا على

الله تعالى بها وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروى عن عمر رضي الله عنه في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولما تصدى له غورث بن الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير

الكتب* الحجة السابعة عشرة روى محمد بن على الحكيم الترمذى رحمه الله تعالى فى كتاب النوادر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذنى حبيبا ثم قال وعزتى لأوثرن حبيبى على خليلى ونجيى* الحجة الثامنة عشرة فى الصحيحين عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبهم البنيان فيقولون الا وضعت هنا لبنة فيتم بناؤك فقال محمد صلى الله عليه وسلم أنا كنت تلك اللبنة* الحجة التاسعة عشرة ان الله تعالى كلما نادى نبيا فى القرآن ناداه باسمه يا آدم اسكن وناديناه أن يا ابراهيم يا موسى انى أنا ربك وأما النبى عليه السلام فانه ناداه الله تعالى بقوله يا أيها النبى يا أيها الرسول وذلك يفيد الفضل هذا الذى ذكرناه فى بيان فضل حبيب الله كله مذكور فى التفسير الكبير الا انى أدرجت فيه من عندى كلمات لا يستغنى المقام عنها وقد لاح فى خاطرى عند الكتابة حجة فى فضل الحبيب على سائر الانبياء عليهم السلام وهى اسراء الله سبحانه اياه فى بعض الليالى الى المسجد الاقصى ومنه الى السموات العلى فعلا على كل من علا من خلق السموات وأهل العلا وعجز الامين والمقربون عن سير الحبيب الى الله سبحانه بحيث لم يقدروا عليه فلم يبق من ملك مقرب ولا نبى مرسل الا علاهم فقربه ربه اليه فكان قاب قوسين أو أدنى وكلمه ربه وكشف له عن جماله حتى قال فيه مازاغ البصر وما طغى وأكرمه ومجده على ما بين فى حديث المعراج ولم يتيسر ذلك لغيره من الانبياء عليهم السلام فهذا كفى فضلا للحبيب المكرم هذا الذى ذكرته حجة لفضل الحبيب على سائر الانبياء فتلك عشرون كاملة حجة قائمة مقام ألف حجة وانما أطنبنا الكلام بذكر الحجج المذكورة فى التفسير الكبير لكونه أعون على المراد فى تفضيل العباد قال الله تعالى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) قال الحسن وقتادة ان هذه الآية خاصة فى أهل الكتاب أى لا تكرهوا على الاسلام أهل الكتاب بعد أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد وضح الطريق المستقيم عن غير المستقيم (فمن يكفر بالطاغوت) كل ما عبد من دون الله (ويؤمن بالله) بتوحيده (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) اعلم أن العروة الوثقى اسم من أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم ورد بذلك القرآن فى قول بعض المحبين والفقهاء المتصوفين كذا ذكر فى تذكرة المحبين فى أسماء سيد المرسلين وحكى عبد الرحمن السلمى عن بعضهم أن العروة الوثقى هو محمد صلى الله عليه وسلم أى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بمحمد حبيب الله ففيها كرام عجيب للحبيب حيث أتى الاستمساك بمحمد عليه السلام على صورة النتيجة والمطلوب الاصلى كما هو مقتضى مقام المحبة وأيضا فى ذكره عليه السلام مبهما على وجه الكناية التى هى أبلغ من التعريض تفخيم بليغ لانه عليه السلام جعل كأنه علم فى هذا الامر هذا البيان لوجه الفضل من هذه الآية مما منحنى به ربى قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) شهد الله سبحانه على كمال ايمانه عليه السلام وعلو ايقانه وسمو اطمئنانه وأظهر اعتداده وأثنى عليه وانما أفرده عليه السلام بالذكر اما للتعظيم كأنه عليه السلام ليس من جنسهم أو لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمان المؤمنين عن برهان وهذا الاخبار بالايمان لا ينافى كونه

الناس وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه* فجبذ ثوبا عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال رسول الله عليه السلام انا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال وقد بقى من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول مابقى من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد الا اثنين لم أخبرهما سبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف وحديث حلمه وصبره وعفوه عند القدرة الكاملة لا يحصى ويوضح ذلك كله قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم خصوصا عند من يفسر لفظة ما بالتعجب* (فصل فى الجود والكرم والسخاء والسماحة) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى فى هذه النعوت العلية وكل من يراه يصفه بذلك وفى البخارى

مؤمنا قبل البعث لجواز أن يكون الايمان الاجمالي قبل البعث موجودا والتفصيلي بعد البعث
وهذا لا يوجب عدم الايمان كيف لا وقبل البعث شرح الله صدره والظاهر أنه سبحانه ملأه
بالايمان (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) والمؤمنون اما مبتدأ والجملة
بعده خبر أعني كل آمن والعائد الى المبتدا التنوين القائم مقام الضمير في كل لان من جملة العائد
الى المبتدا التنوين النائب مناب الضمير واما معطوف على الرسول فيكون التنوين راجعا
الى الرسول والمؤمنين والاوجه عندي الوجه الاول وان كان مخالفا لما اختاره البيضاوي ولان
الوجه الاول مبناه على التأسيس لان ايمان الرسول بما أنزل اليه يشمل ايمانه بالملائكة والكتب
والرسل فاذا جعل والمؤمنون جملة مستأنفة يكون تأسيسا وأما اذا عطف على الرسول يكون
تأكيدا ولا يخفى علو درجة الكلام في التأسيس على غيره وكيفية الايمان بالله تعالى وبالكتب
والرسل معلومة وأما الايمان بالملائكة تصديق بأنهم عباد الله لا بنات الله تعالى عن ذلك علوا
كبيرا كما كان يعتقده حي من العرب (لا نفرق بين أحد من رسله) يقولون لا نفرق بين أحد منهم أي
في الايمان لكن الفرق في الفضل ثابت (وقالوا سمعنا) أجبنا (وأطعنا) أمرك (غفرانك ربنا)
اغفر غفرانك (واليك المصير) فلا شك مصيرنا ومرجعنا اليك بعد الموت ولا بد لنا من الغفران
ليتمكن لنا القيام بين يديك الكريمتين فهذه الآية الكريمة تضمنت علم المبدا وهو قوله تعالى
آمن الرسول بما أنزل اليه الى قوله لا نفرق وقوله وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى علم الوسط وهو
معرفة الاحوال التي يجب على الانسان أن يكون عليها مادام حيا ولا شك أنه خلاصة السمع
والطاعة وقوله غفرانك ربنا واليك المصير اشارة الى علم المعاد وقال بعضهم في قول الله عز وجل
غفرانك ربنا ولك أن تجعل غفرانك مفعول أطعنا أي أطعنا موجبات غفرانك انتهى
(أقول) لا يذهب عليك أنه تكلف لا يصار اليه الا عند الضرورة ولا ضرورة ههنا وأما تقديرا غفر
فهو ليس كذلك لان الغفران يدل عليه تأمل وقال أيضا في قوله تعالى واليك المصير فهو بظاهره
عطف الاخبار على الانشاء ولك أن تقدر منك البداية فيكون قوله واليك المصير عطفا عليه انتهى
(أقول) لا نعطفه على غفرانك حتى نحتاج الى ما تكلف بعيدا بل نجعله معطوفا على أطعنا قال
القاضي في قوله تعالى واليك المصير اقرار منهم بالبعث قال بعضهم في الحاشية ولك أن تجعله في
معنى اياك نستعين تأمل انتهى (أقول) بعيد جدا لانه يخالف السياق وتفسير القاضي يوافقه
لانه لما قال غفرانك كان قائلا يقول لم تحتاجون الى الغفران فهم يقولون لان مرجعنا بعد الموت
اليه سبحانه فلولا الغفران يعاقبنا ويأمر بنا بالنيران ولا يتيسر لنا القيام بين يدي الملك العلام
وأما ما ذكره البعض فلا يلتئم مثل هذا الالتئام على ما لا يخفى على ذوي الافهام (لا يكلف الله
نفسا الا وسعها) الله سبحانه لا يكلف نفسا الا ما تسعه قدرتها ولا يضيق عليها من محض فضله
وكرمه وقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها اما اخبار من الله تعالى ابتداء أو حكاية عن
الرسول والمؤمنين بأنهم قالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها على نسق قوله تعالى وقالوا سمعنا وأطعنا
فكأنهم يقولون كيف لا نطيع ولا نجيب لا يكلفنا الا بقدر وسعنا فحسن النظم بما قبله على
احتمال أن يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين (أقول) فعلى هذا الاحتمال الثاني الظاهر أن
قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها من قبيل العطف بلا عاطف أو الكلام على تقدير قالوا قال

عن جابر بن عبد الله رضي الله
تعالى عنهما يقول ما سئل
النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم عن شيء فقال لا وعن
أنس وسهل بن سعد مثله
وقال ابن عباس رضي الله
عنهما كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم أجود
الناس بالخير وأجود ما كان
في شهر رمضان وكان اذا
لقيه جبريل عليهما السلام
أجود بالخير من الريح
المرسلة وعن أنس أن رجلا
سأله فأعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى بلده فقال اسلموا
فان محمدا يعطي عطاء من
لا يخشى فاقة وجاء رجل
فسأله فقال له ما عندي شيء
ولكن ابتع علي فاذا جاءنا
شيء قضيناه فقال له عمر
ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ذلك فقال رجل
من الانصار يا رسول الله
أنفق ولا تخف من ذي
العرش اقلالا فتبسم عليه
السلام وعرف البشر في
وجهه وقال بهذا أمرت
ذكره الترمذي وذكر عن
معوذ بن عفراء أتيت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا
وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني
ملء كفه حليا وذهبا قال
أنس كان النبي صلى الله

بعضهم

بعضهم فى قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولك أن تجعله فى حيز القول وان يكون حكاية للاقوال المتفرقة الغير المعطوفة بعضها على بعض للمؤمنين ويكون مدحالهم بأنهم شاكرون لله تعالى فى تكليفه حيث يرونه بأنه لم يخرج عن وسعهم وبأنهم يرون أن الله تعالى لا ينتفع بعملهم الخير بل هو لهم ولا يتضرر بعملهم الشر بل هو عليهم انتهى (أقول) انه جعله من تصرفات نفسه وليس كذلك بل هذا الوجه هو المشار اليه فى التفسير الكبير اللهم الا أن يحمل على التوارد (لها ما كسبت) من الخير (وعليها ما اكتسبت) من الشر قال الواحدى الصحيح عند أهل اللغة أنه لا فرق بين الكسب والاكتساب وقيل الكسب أعم حيث يطلق على ما يكسبه لنفسه ولغيره والاكتساب اخص حيث لا يطلق الا على ما يكتسبه لنفسه وللكسب والاكتساب فرق آخر أشار اليه صاحب الكشاف حيث قال انما اختص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان فى الاكتساب اعتمالا فلما كان الشر مما يشتهيه النفس وهى منجذبة اليه وامارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجد فجعلت لهذا المعنى مكتسبة فيه ولما لم تكن فى باب الخير كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على اعتمال (أقول) ففى هذه الآية الكريمة أشعار بان للعبد كسبا فى أفعاله على ما هو المذهب الحق (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) فالآية تحتمل معنيين أحدهما ربنا لا تعاقبنا ان نسينا طاعتك أى بلا عمد أو أخطأنا فى أمرك بلا قصد (فان قلت) النسيان والخطأ معفوان عن الامة فما الفائدة فى طلب عفوهما أجابوا عنه بوجوه نذكر بعضا منها هو ان النسيان نوعان ما يؤاخذ فيه وما لا يؤاخذ وطلب العفو فى النسيان الذى يؤاخذ فيه وكذلك الخطأ منه ما يعذر ومنه ما لا يعذر والعفو مطلوب فى النوع الذى لا يعذر أما النسيان الذى يؤاخذ فيه كمن لا يواظب القرآن و ينساه فانه يؤاخذ وأما الذى لا يؤاخذ كمن يواظب فى قراءته و ينساه فهو معذور والخطأ الذى يلام فيه كمن رمى صيدا فى موضع فأصاب انسانا لكن عند الرمى لا يعلم الرامى أنه يصيب الصيد أو غيره فكان هنالك امارة الغلط وأما اذا لم تكن أمارة الغلط ظاهرة ثم رمى وأصاب انسانا كان هنالك معذورا (أقول) وبالله التوفيق يمكن أن يقال انما طلبوا العفو فى النسيان والخطا مع أنهما معفوان لان طالبيهما الرسول والمهاجرون والانصار وهم مقربون الى الحق سبحانه كأنهم يعدون النسيان من العصيان والخطأ من الخطيئة كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة الآية وكما قال قائلهم

ويجتنب الآثام ثم يخافها * فكأنما حسناته آثام

والثانى ما قيل معنى الآية لا تعاقبنا ان تركنا أمرك أو اكتسبنا خطيئة على أن يكون النسيان بمعنى الترك والخطأ من الخطيئة ومجيؤهما بهذا المعنى مذكور فى التفسير الكبير فعلى هذا لا يرد السؤال المذكور قال عصام الدين ويمكن أن يقال المراد بالمؤاخذة على النسيان الحرمان عن ثواب كان يجده بما يفعل لو لم ينس (أقول) مع ما فيه من التكلف ليت شعرى ماذا يقول فى الخطا وأيضا لو استقام ما قال لاستقام فى الافعال لا التروك فتدبر (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) الاصر فى الاصل الثقل ثم سمى به العهد لانه ثقيل قال بعض المفسرين معناه ربنا لا تشدد علينا فى التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال القفال ومن نظر فى السفر الخامس من التوراة التى يدعيها هؤلاء اليهود وقف على ما أخذ عليهم من غلظ العهود والمواثيق ورأى الاعاجيب الكثيرة فالمؤمنون سألوا ربهم أن يصونهم عن أمثال هذه

تعالى عليه وسلم لا يدخر شيا لغد والخبر بجوده وكرمه مثل سائر وان شئت تجد فى القرآن العزيز لذلك شواهد

(فصل فى الشجاعة والنجدة)

وقد خص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالحظ الاوفر من ذلك قد حضر المشاهد الصعبة وفر الابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد أحصيت عنه فرة وحفظت عنه جولة سواء وفى صحيح البخارى عن أبى اسحق انه سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أنا النبى لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على بن أبى طالب انا كنا اذا حمى البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون

التغليظات وهو تعالى بفضله ورحمته أزال عنهم ذلك كذا في التفسير الكبير (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) الطاقة اسم من الاطاقة كالطاعة من الاطاعة استعمل في موضع المصدر أي لا تحملنا ما لا قدرة لنا على حمله من البلاء والعقوبات وقيل ما لا يطاق هو الفرقة والصد بعد الوصال عن الملك المتعال (أقول) في الحقيقة هو المستعاذ منه كقول قائلهم

ليس البلاء بلية الاجساد * ومصيبة الاموال والاولاد
هجر الحبيب هو البلاء بعينه * والصد بعد تواصل ووداد
من لم يذب والبين يقطع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

عاذا بالله تعالى ألف عياذ فان قيل فلم استعمل في الامور الشاقة الحمل وفيما ليس بمقدور التحميل الجواب ان في الاول يمكن الحمل والتحميل وفي الثاني لا يمكن الا التحميل (واعف عنا) ذنوبنا (واغفر لنا) استرعيوبنا بعد العفو (وارحمنا أنت مولانا) تفضل علينا أنت سيدنا (فانصرنا على القوم الكافرين) في محاربتنا معهم وفي اعلاء دولة الاسلام على دولتهم كما قال تعالى ليظهره على الدين كله الآية من المحققين من قال فانصرنا على القوم الكافرين المراد اعانة الله تعالى بالقوى الروحانية الملكية على قهر القوى الجسمانية الداعية الى ماسوى الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ربنا لا تؤاخذنا حتى ختم السورة فكلما قالها جبريل وقالها النبي قال رب العالمين قد فعلت وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل فلنرجع الى صددنا وهو بيان فضل رسولنا وسندنا فالله سبحانه أثنى عليه وعظمه ومدحه في الآيتين وأعطاه ما لم يعط أحدا من المرسلين كما أشير اليه في الحديث الذي ورد في فضل الفاتحة وأعطاه شيأ من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده وكلما دعا بهذه الدعوات أجابه خالق البريات بقد فعلت مع أن في كل دعوة اصطفاء آخر يعرف بالتأمل ففيه للحبيب عليه السلام أنواع من المدحة وأصناف من الرحمة (أقول) وأيضا في بدء السورة الكريمة بذكره سبحانه نفسه مع ذكر حبيبه وختمها بهما فضل باهر وشرف ظاهر وفي هذه السورة الجليلة فضائل غير ما ذكرنا الآن بما ذكرنا كفاية لمن اكتفى بالاشارة تمت الفضائل الكائنة في سورة البقرة بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع بعض النبيين درجات وهو محمد عليه أفضل الصلوات (الفضائل المتعلقة بسورة آل عمران) قال الله تعالى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم) قال شهاب الدين السهروردي في تفسيره أي لم يختلف قريظة والنضير الا بعد مجيء محمد عليه السلام سمي النبي علما لانه كان معلوما عندهم (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فيه (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر به (أقول) ففيه ما يفخم أمر الحبيب عليه السلام حيث عبر عنه بالعلم وجعل في المعلومية كالعلم هذا مما وهبني ربي الاعلم قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) واللام في لما الملقية للقسم لما في أخذ الميثاق من معنى الاستحلاف وما في لما متضمنة معنى الشرط (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) وهو محمد عليه السلام وتنكيره للتعظيم (لتؤمنن به ولتنصرنه) ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط

أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أقتلك ان شاء الله تعالى فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي عليه الصلاة والسلام هكذا أي خلوا طريقه فتناول الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي عليه الصلاة والسلام فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه وقيل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون

(قال)

(قال أأقررتم وأخذتم) أى قبلتم (على ذلكم اصرى) عهدى لانه يؤصر أى يشد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا أيضا على اقراركم شاهد وهو تأكيد وتحذير عظيم (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والاقرار (فأولئك هم الفاسقون) فالله سبحانه أخذ ميثاق الانبياء كلهم وحلفهم أنهم لو أدركوا محمدا عليه السلام ليؤمنن به ولينصرنه وأكد اقرارهم بشهادته سبحانه وشهادتهم أو بشهادة الملائكة وحكم بفسق المتولى عن هذا الميثاق والحلف أيها الحريص لتفضيل محمد عليه السلام لو تأملت فى هذا الكلام لوجدت فيه ألف حجة على فضل محمد عليه السلام فما ذلك الا من مقتضيات مقام المحبة كما قال أبو الحسن القابسى اختص الله محمدا عليه السلام بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكر فى هذه الآية وهذه الآية أجل آية فى حقه عليه السلام حتى أفردها التقى السبكى برسالة سماها التعظيم والمنة ويناسبه ما رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس أنه عليه السلام قال أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انه من لقينى وهو جاحد باحمد أدخلته النار قال يارب ومن أحمد قال ما خلقت خلقا أكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل أن أخلق السموات والارض وان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وأمته قال ومن أمته قال الحامدون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم أسود بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا اله الا الله قال اجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلنى من أمة ذلك النبى قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) المحبة فينا ميل النفس الى الشئ لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا توجه الى الحق بكليته حصل فيه احالة يعرف بها أن لا كمال أكمل فى الحقيقة الا لله تعالى وان ما يشاهده من كمال الاغيار فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يوجب متابعة حبيب الله لانه هو المقرب اليه سبحانه وليكون حبه لله وفى الله (أقول) والى هذا المعنى أشار حبيب رب العالمين فى بعض دعواته اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك اللهم ما رزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب اللهم وما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب وأما معنى حب الله عباده فتجاوزه عن ذنوبهم وتبديل سيآتهم بالحسنات فى الجنات العاليات مع التجلى بالجمال وهو أعز الآمال (والله غفور رحيم) لمن يحبب اليه بطاعته وباتباع رسوله (قل أطيعوا الله والرسول) روى انه لما نزلت الآية السابقة قالوا ان محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول قرن طاعته بطاعته رغما لهم كذا فى شفاء القاضى عياض (فان تولوا) عن طاعة الله والرسول (فان الله لا يحب الكافرين) لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين كذا فى الشفاء ففى الآيتين الكريمتين فضل باهر للحبيب المجيد حيث لم يعتن الحق سبحانه محبة الناس اياه حتى تنضم متابعة الحبيب بل حبه أيضا وجعل متابعتهم الحبيب منتجة لمحبة الله

لا بأس بك فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق على لقتلنى فمات بسرف فى قفولهم الى مكة

*(فصل فى الحياء والاغضاء) وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات اغضاء قال الله عز وجل ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الآية وخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وروى عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد وانه كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره

*(فصل فى حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق) فقد سارت بنشر ذلك الركبان وتداول أخباره الثقلان عن على رضى الله تعالى عنه فى صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان أوسع الناس صدرا وأصدق

سبحانه اياهم ورغم لمن طعنه (أقول) ولتجدن مثلا لهذا فى الشاهد فان من أحب شخصا فحبته لاتتم حتى يحب محبيه ويبغض عداه كما قيل

تحب عدوّى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

والى الاوّل يشير قول رابعة العدوية رضى الله عنها

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

ولايخفى أن دعوى محبة الله مع عدم متابعة الحبيب عليه السلام عصيان قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) واختلف المفسرون فى لفظة كنتم فمنهم من جعلها تامة ومنهم من جعلها ناقصة ومنهم من جعلها زائدة ومنهم من جعلها بمعنى صار واخترنا الاوّل وبينا الكلام عليه والامة فى الاصل الطائفة المجتمعة على الشئ الواحد كاجتماعنا على حقية ما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقال لكل من جمعته دعوته عليه السلام الا أن الامة اذا ذكرت مطلقة يراد بها أمة الاجابة واذا أريد الطائفة المجتمعة على الدعوة يقال أمة الدعوة فالمعنى على ما قالوا وجدتم حال كونكم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار وقوله أخرجت للناس أى أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها أما قوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كلام مستأنف لبيان علة الخيرية لان ذكر الحكم مقرونا بالاوصاف المناسبة له يدل على كون الحكم معللا بالاوصاف المذكورة كما مر ذكره يعنى العلة لكونكم خير الامم كلها اتصافكم بالاوصاف الكريمة من كونكم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ومؤمنين بالله تعالى والخطاب فى قوله تعالى كنتم خير أمة وان كان للاصحاب لكنه يعم سائر أمته كقوله تعالى كتب عليكم الصيام (ولو آمن أهل الكتاب) بمحمد عليه السلام (لكان خيرا لهم) بأن حصلت لهم هذه الخيرية (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام (وأكثرهم الفاسقون) الكافرون عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل وقال عليه السلام ان الجنة محرمة على سائر الامم حتى تدخلها أمتى وفى هذا الباب أحاديث كثيرة فلنرجع الى خدمة بيان سمو مكانته عند الله تعالى وعلو شأنه على الانبياء والمرسلين وفى هذه الآية الكريمة ما يدل على فضيلته الباهرة ومدحته الظاهرة عند الله تعالى حيث جعل أمته خير الامم ولاشك أنه خير الانبياء والامة انما نالت هذه الرتبة بمتابعته عليه السلام كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين وفضيلة التابع تدل على فضيلة المتبوع فاذا كان خير تابعى الانبياء فمتبوعنا خير متبوعهم على ما مر فى الحجج المذكورة فى سورة البقرة قال البيضاوى فى قوله تعالى تأمرون بالمعروف استئناف بين فيه كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم قال بعضهم الاظهر أنه صفة ثانية للامة والمراد تفضيلهم على أمم موصوفين بهذه الصفات انتهى (أقول) لايخفى عليك أن قوله تعالى تأمرون بالمعروف خطاب فكيف يتصور كونه صفة للامم الغائبة فلنحمله على العثرات السابقة نعم لو كان على صيغة الغائب لكان له وجه تأخذه وعدم مدركات الالحاظ قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر) بانزال الملائكة وما النصر الا من عند الله (وأنتم

اذلة)

الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة عن قيس ابن سعد رضى الله عنهما فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب فأبيت فقال اما أن تركب واما أن تنصرف فانصرفت وفى رواية أخرى اركب أمامى فان صاحب الدابة أولى بمقدمها وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه وكان يجيب دعوة من دعاه عليه السلام ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال أنس خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله تعالى عليه

أذلة) والحال أنكم ذلائل وقلائل (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) ما أنعم به عليكم بتقواكم
من نصره وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي باسم صاحبه وكانت وقعة بدر أول
قتال قاتل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجملة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ست
وعشرون غزوة فأول غزوة غزاها وقاتل فيها بنفسه بدر الكبرى وآخرها تبوك وكانت سراياه
ستا وثلاثين سرية (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة
آلاف من الملائكة منزلين) انكار لعدم كفاية الملائكة المنزلين يعني يكفيكم قبل أمدهم
الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف (أقول) اكراما
للحبيب عليه السلام واطمئنانا للمؤمنين فهذه الآية الكريمة أظهرت اكرام الله تعالى حبيبه
على الوجه الاتم حيث خصه بانزال الملائكة لنصرته على مخالفيه كما يشعر به قول الله عز وجل في
سورة يس وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين هذا ما ألهمني الحق
سبحانه قال تعالى (وما محمد الا رسول) وقد ذكر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن
العظيم بمائة اسم نبي يا أيها النبي رسول يا أيها الرسول خاتم وخاتم النبيين أمي النبي الامي
رؤف رحيم بالمؤمنين رؤف رحيم مبشر نذير شاهد داعي شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه سراج منير وسراجا منيرا بشير انا أرسلناك بالحق بشيرا منذر انما
أنت منذر هاد ولكل قوم هاد صاحب ماضل صاحبكم عبد أسرى بعبده ليلا
كريم انه لقول رسول كريم ولي نصير واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا الاولى النبي أولى بالمؤمنين عزيز عزيز عليه ما عنتم رحمة وما أرسلناك الا رحمة نور
قد جاءكم من الله نور شهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا مبين انى لكم نذير مبين مرسل
انك لمن المرسلين مدثر يا أيها المدثر مزمل يا أيها المزمل مذكر فذكر انما أنت مذكر أمين
رسول أمين ذكر قد أنزل الله اليكم ذكرا أذن قل هو أذن خير بينة حتى تأتيهم البينة
هدى فاما يأتينكم مني هدى حق بل كذبوا بالحق لما جاءهم صدق والذي جاء بالصدق
حاكم واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم قاض اذا قضى الله ورسوله أمرا طه طه
ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى يس يس والقرآن الحكيم سلام سبل السلام عالم فاعلم أنه
لا اله الا الله مستقيم فاستقم كما أمرت مسلم وأمرت ان أكون من المسلمين شاكر أليس
الله بأعلم بالشاكرين مصطفى اصطفينا من عبادنا مجتبى واجتبيناهم مختار وربك
يخلق ما يشاء ويختار زرع كزرع أخرج شطأه نعمة اذكروا نعمة الله عليكم مرشد وليا
مرشدا سعيد وأما الذين سعدوا حبيب فاتبعوني يحببكم الله مطهر ويطهركم تطهيرا
طيب والطيبات للطيبين شفيع لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له مبارك رحمة الله وبركاته
عليكم أهل البيت مصدق ومصدقا لما بين يديه أنفس لقد جاءكم رسول من أنفسكم
برهان قد جاءكم برهان ناس أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله تال يتلو عليكم آياته
مخرج يخرجهم من الظلمات الى النور رجل أن أوحينا الى رجل منهم قدم قدم صدق
جند جند محمود حم عزيز سيد قادر عسق تذكرة وانه لتذكرة للمتقين مبعوث
هو الذي بعث في الاميين معصوم والله يعصمك من الناس مؤيد هو الذي أيدك بنصره

وسلم مادعاه أحد من أصحابه وأهل بيته الا قال لبيك وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس ما التقم أحد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحسن أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام وروى انه كان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الناس تبسما وأطيبهم

وبالمؤمنين منصور وينصرك الله مغفور ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر غالب
هم الغالبون معفو عفا الله عنك منبئ نبئ عبادى راض لعلك ترضى مسبح فسبح بحمد
ربك ساجد وكن من الساجدين عابد واعبد ربك حتى يأتيك اليقين مقتد فبهداهم
اقتده محفوظ يحفظونه من أمر الله مناد سمعنا مناديا ينادى للايمان مجاهد جاهد الكفار
والمنافقين مستغفر واستغفر لذنبك مرفوع ورفعنا لك ذكرك مصل فصل لربك وانحر
آمر ناه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا متهجد ومن الليل فتهجد به
نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا مهتد وان اهتديت متوكل فتوكل على الحى
الذى لا يموت حاشر عاقب ماح فى الحديث أنا الحاشر يحشر الله الخلق على قدمى وأنا
العاقب كنت عقب الانبياء وأنا الماحى محا الله بى الكفر أول وأمرت ان أكون
أول المسلمين أحمد يأتى من بعدى اسمه أحمد محمد محمد رسول الله واسمه صلى الله عليه وسلم
فى الانجيل طاب طاب أى طيب وفى التوراة مادماد أى المرجو وفى الزبور فارقليطا اى الفارق
بين الحق والباطل وفى صحف ابراهيم اخرايا قدمايا اى السابق الآخر وفى صحف شيث صام
صام أى القاطع بالحجة وفى صحف آدم مقنع وفى صحف اشعياء وأرمياء قانع وفى طوائف الطيور
عبد الجبار وعند البهائم عبد الغفار وعند الجن نبى الرحمة وعند الشياطين نبى الملحمة كذا
ذكره صاحب القاموس فى كتابه المسمى ببصائر ذوى التمييز فى لطائف القرآن العزيز (أقول)
فتفكر فيما ذكره واستقم وقد قال بعضهم ان له صلى الله عليه وسلم ألف اسم ولا يخفى ان كثرة
الاسماء تدل على علو درجته صلى الله عليه وسلم وسمو منزلته كما أن كثرة أسماء الله عز وجل تدل
على عظمته وجلاله ولا يخفى أيضا ما فى تشريك الله عز وجل حبيبه صلى الله عليه وسلم فى الاسماء
التسعة والتسعين عددا مع زيادة اسم من الاجلال الذى ينقطع عند فهمه نياط القلب ويتحير
فيه كل ذى لب (قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل قال أبو على الرسول
يجىء على ضربين أحدهما أن يراد به المرسل والآخر الرسالة والمراد هو الاول (أفان مات
أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فالمعنى أفان مات على فراشه أو قتل فى سبيل الله رجعتم الى دينكم
الاول وقلتم لو كان نبيا ما قتل والاستفهام انكارى (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيأ) بل يضر نفسه كل الضرر (وسيجزى الله الشاكرين) المجاهدين روى محمد بن جرير الطبرى
عن على رضى الله عنه المراد بقوله وسيجزى الله الشاكرين أبو بكر وأصحابه لما هزم الله تعالى
الكفار يوم أحد والرماة من الاصحاب أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبتوا فى أصل
الجبل ولم ينتقلوا عن ذلك المحل فلما عاينوا ان الكفار هزموا تركوا المحل الذى عينه رسول الله
لاجل أن يفوزوا بالغنائم فبمخالفتهم امر الرسول أصيبوا بما أصيبوا كما قال تعالى أولما
أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم روى انه لما رمى عبد الله بن
قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج رأسه ووجهه فذب عنه
مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى عليه
السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل والصارخ هو الشيطان وجعل
رسول الله يقول الى عباد الله تعالى فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وجوه حتى كشفوا عنه

نفسا ما لم ينزل عليه قرآن
او يعظ أو يخطب (أقول)
وناهيك انه كان خلقه
القرآن

*(فصل فى الشفقة والرأفة
والرحمة لجميع الخلق)*

فقد قال الله تعالى عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤف رحيم قال
بعضهم من فضله عليه
السلام ان الله تعالى أعطاه
اسمين من أسمائه فقال
بالمؤمنين رؤف رحيم
وتفصيل هذه الموهبة
العظمى مذكور فى كتابنا
المدحة الكبرى وقال تعالى
وما أرسلناك الا رحمة للعالمين
وروى ان اعرابيا جاءه صلى
الله تعالى عليه وسلم يطلب منه
شيأ فأعطاه ثم قال أحسنت
اليك فقال الاعرابى لا ولا
أجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه وأشار اليهم ان
كفوا ثم قام ودخل منزله
وأرسل اليه وزاده شيأ ثم
قال أحسنت اليك قال نعم
فجزاك الله من أهل وعشيرة
خيرا فقال له النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم انك قلت
ما قلت وفى أنفس أصحابى
من ذلك شئ فان أحببت
فقل بين أيديهم ما قلت بين
يدى حتى يذهب ما فى
صدورهم عليك قال نعم فلما

المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذلنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا ماقتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك ياقوم ان كان قتل محمد عليه السلام فان رب محمد حي لايموت وماتصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ماقاتل محمد عليه السلام ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه فشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (أقول) ففي هذه الآية الكريمة مايدل على محمدة محمد عند الحق سبحانه حيث سماه الله تعالى محمدا وذكره به واشتقه من اسمه محمود وفيه يقول حسان رضى الله عنه

ألم تر ان الله أرسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد *
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان فى الارض تعبد
فأرسله نورا منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند

ولعمر الله نعم ماقال عباس بن مرداس الصحابي رضى الله تعالى عنه فيه صلى الله عليه وسلم بالبركات والتسليم

ياخاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى الطريق هداكا
ان الاله بنى عليك محبة * من خلقه ومحمدا سماكا

قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم) فبرحمة عظيمة من الله لنت لهم فان الله سبحانه منحه من خلق عظيم وطبع كريم وجعله رؤفا رحيما كيف لايلين لهم فلفظ مازائدة جيء للتأكيد لا يمنع الباء عن العمل كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وقال بعض المفسرين ماغير زائدة بل استفهامية للتعجب لوجوب تنزيه كلام الله تعالى عن لفظ مهمل تقديره فباى رحمة من الله سهلت لهم أخلاقك وكثرا حتمالك فلم تغضب عليهم فيما كان منهم يوم أحد (أقول) الامام فى تفسيره رجح الوجه الثانى وجعله أصوب الوجهين لكون اللفظ فى الثانى غير مهمل وفى الاول كذلك لكن يخطر على بالى ان التعجب من الله تعالى يحتاج الى تأويل كما يقال فى الاول انه للتأكيد وغير ذلك فتساوى الوجهان فى الارتكاب بل الاول أسهل هذا بالنظر الى المعنى ويتجه أيضا بالنظر الى النظم أن يقال ان حذف الالف عن حرف الاستفهام مع حرف الجر كثير واثباته لغة قليلة (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) لو كنت خشنا فى القول قاسى القلب لايتأثر فيه شيء لتفرقوا من حولك ولكن الله جعلك طلقا لطيفا برا سمحا سهلا هكذا قاله الضحاك فان القوم لما انهزموا عن النبي عليه السلام يوم أحد ثم عادوا لم يخاطبهم الرسول عليه السلام بالتغليظ والتشديد ولذلك أثنى الله على عظم خلقه ورأفته ورحمته فكيف لاوهو رحمة للعالمين (فاعف عنهم واستغفر لهم) فاعف عنهم ما ارتكبوه يوم أحد من مخالفة أمرك واستغفر لهم فيما هو بينهم وبين الله حتى أشفعك فيهم وفى التفسير الكبير الفاء فى فاعف تعقيب لقوله تعالى ولقد عفا الله عنهم فى آية سابقة (أقول) يحتمل أن يكون تعقيبا لقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فيكون وجها جيدا يظهر بالتأمل ولم أره فيما عندى من التفاسير لكن العلم عند الله تعالى وأيضا لو كان تعقيبا لقوله تعالى ولقد عفا الله عنهم لم تظهر لقوله تعالى واستغفر لهم فائدة جليلة لانهم اذا عفا الله عنهم يرى أن يكون الاستغفار تأكيدا

كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ماقال فزدناه فزعم انه رضى أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتى فانى أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه جاءه جبريل عليهما السلام فقال له ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما زادوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله

لاتاسيسا فتامل واستقم (وشاورهم فى الامر) فى أمر الحرب استظهار المافى قلوبهم وتطييبا لنفوسهم وكونها سنة للامة (فاذا عزمت فتوكل على الله) اذا عزمت على شئ بعد المشاورة فثق بالله فى أمرك (ان الله يحب المتوكلين) عليه اختلفوا فى معنى التوكل فقال سهل بن عبد الله أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء لايكون له حركة ولا تدبير والمتوكل لايسأل ولا يرد ولا يحبس والى غير ذلك من المعانى ففى هذه الآية الكريمة ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين من تمجيد الله تعالى نبيه عليه السلام لانه تعالى أثنى عليه ومدحه على كون طبعه الكريم فى غاية الرحمة ونهاية الشفقة وكمال اللين على ماشهد به رب العالمين فى غير هذا الموضع أيضا وانما قلنا انه على نهاية ماقلنا الان فى مثل هذه المخالفة لابد ان يتكلم فيها الانسان بحدة ويؤيد ماقلنا ما الاستفهامية التعجبية فى قوله تعالى فبما رحمة من الله على أحد التفسيرين (أقول) فى اضافة الرحمة الكائنة فيه عليه السلام اليه سبحانه حيث قال فبما رحمة من الله مايدل على تفخيم شأنه وعلو مكانه قال البيضاوى بيض الله وجهه فى قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح انتهى قال بعضهم فى قول القاضى هذا الاعذب أن يقنع بمحبة الله المتوكلين فى اختيار التوكل ولا يتوسل فيه بأن محبته سبب النصر والهداية الى الصلاح لانه لاغاية لكل مايطلب الا رضاه ومحبته انتهى (أقول) ونعم ماقال لكن قول القاضى فينصرهم ويهديهم نتيجة حب الله تعالى بل معناه كما يقال محبة الله عفوه ونصرته وغفرانه وليس نتيجة التوكل حتى يقال الاولى ان لايتوسل فيه بان محبته سبب النصر والهداية الى الصلاح فلا ينافى أن يكون غاية المطالب للمتوكل محبة الله فاعذبية كلام القاضى على حالها (وما كان لنبى أن يغل) وماصح لنبى أن يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة فان منصب النبوة أعلى مناصب البشر فبما بينها والنبى لايميل الى الدنيا بطريق أطيب فكيف بالخيانة التى لايرتكبها الا أرذأ كل ردئ وأدنأ كل دنئ * روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فنزلت (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) ومن يخن يأت بما خان يحمله على عنقه أو بما احتمل من وباله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاء ما كسبت وافيا (وهم لايظلمون) مطيعهم وعاصيهم (أقول) فهذه الآية الكريمة مشعرة للحبيب عليه السلام حماية ومدحة اما الاولى فلتبرئته سبحانه ساحة حبيبه عما اتهموه به وأما الثانية فلعدم اتيانه تعالى اسم حبيبه فى جنب الخيانة اما بذكر اسمه صريحا أو بالعهد وان كان النفى يتداركه فكأن الحق تعالى يقول ان نبيا ما من افراد الانبياء لايتصور له الخيانة فكيف من هو ارتقى رتبة الكمال وصار صاحب اللقاء والرؤية والوصال فهذا كفاية فى المدحة والفضل هذا الهام الملك العلام (لقد من الله على المؤمنين) أحسن اليهم (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من نسبهم وجنسهم عربيا وقيل من جنسهم بنى آدم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن والقاضى فسر هنا تلاوة الآيات بقراءة القرآن وفى سورة البقرة بتبليغ مايوحى من دلائل التوحيد والنبوة تأمل (ويزكيهم) من دنس الطباع والعقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب) أى معانيه (والحكمة) أى السنة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان مخففة يعنى وانهم كانوا قبل بعثة الرسول لفى ضلال مبين قال الامام

تعالى عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله تعالى وحده ولايشرك به شيا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى أمر السماء والارض والجبال أن تطيعك فقال أأخر عن أمتى العذاب لعل الله تعالى أن يتوب عليهم ومن شفقته انه عليه السلام قال لايبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيأ فانى أحب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وقصص شفقته ورأفته لاانفصام لها وجل ذلك يظهر يوم القيامة للعصاة الخطائين. ان شاء الله تعالى نسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يغمدنا سبحانه بتلك الرحمة فى الدنيا وفى دار النعيم آمين

* (فصل فى خلقه عليه الصلاة والسلام فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم) *

خرج أبو داود عن عبد الله ابن أبى الحمساء قال بايعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث جئت فاذا هو فى

ان فى وجه النظم وجوها الاول ان الله تعالى لما بين خطا من نسبه الى الغلول والخيانة أكد ذلك بهذه الآية وذلك ان هذا الرسول ولد فى بلدهم ونشأ فيما بينهم ولم يظهر فيهم طول عمره الا الصدق والامانة والدعوة الى الاعراض عن الدنيا فكيف لمن هذا حاله الخيانة الوجه الثانى انه لما بين خطأهم فى نسبة الخيانة اليه فكأنه تعالى قال لا أكتفى فى حقه بان أبين براءته عن الخيانة والغلول ولكنى أقول ان وجوده فيكم من أعظم نعمى عليكم فانه يزيلكم عن الطرق الباطلة ويعلمكم العلوم النافعة فى دينكم ودنياكم فاى عاقل يخطر بباله أن ينسب مثل هذا الانسان الى الخيانة الثالث كأنه تعالى يقول انه منكم ومن أهل بلدكم وأقربائكم وأنتم أرباب الخمول والدناءة فاذا شرفه الله وخصه بمزايا الفضل والاحسان من جميع العالمين حصل لكم شرف عظيم بسبب كونه فيكم فطعنكم فيه واجتهادكم فى نسبة القبائح اليه خلاف العقل الرابع انه لما كان فى الشرف والمنقبة بحيث من من الله على عباده وجب على كل عاقل ان يعينه باقصى ما يقدر عليه فوجب عليكم أن تحاربوا أعداءه انتهى كلامه (أقول) فأجرى الله تعالى ينابيع فضل حبيبه بوجوه شتى فليتدبر فى كلام الامام حتى يتبين لك المرام قال البيضاوى فى تفسير قول الله عز وجل لقد من الله على المؤمنين وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها انتهى قال بعضهم انما احتاج الى نكتة التخصيص لحمله قوله من أنفسهم على من نسبهم أى من قومهم أو جنسهم عربيا أما لو حمل على جنسهم آدميا أو نسبهم من آدم لم يحتج الى هذه النكتة بل يحتاج الى نكتة تخصيص المنة بالانس دون الجن اه (أقول) يشعر كلامه بأنه لو فسر من أنفسهم من جنسهم آدميا أو نسبهم من آدم يعم المنة لكل المؤمنين بل لكل الانس فلا يحتاج الى نكتة وليس كذلك لعلمك أن المخاطبين بهذا الخطاب معهودون فكيف يعم الانس وليس كلهم مؤمنين فتأمل فسر البيضاوى قوله تعالى من أنفسهم من نسبهم أو جنسهم عربيا كما مر قال بعضهم فيه والاولى أن يفسر من نسبهم بكونه من ولد ابراهيم لا من ولد اسمعيل كما فى الكشاف لتشمل المنة بنى اسرائيل ويفيد أنه مبعوث اليهم أيضا انتهى (أقول) يشكل علينا هذا القول بأنه كيف يكون منة على بنى اسرائيل والله سبحانه من على المؤمنين وما هم بمؤمنين فى زمان الامتنان وأيضا اجتمع الكل فى ابراهيم فكلا التفسيرين واحد فتدبر قال البيضاوى وقرئ من أنفسهم أى من أشرفهم لانه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم انتهى قال بعضهم والاظهر أن يراد بأشرفهم أشرف المؤمنين فيتناول جميع الانبياء انتهى (أقول) نعم ما قال لكونه أوفق بما كنت فى صدده لكنه بعيد جدا لان المراد من المؤمنين المبعوثون اليهم والانبياء ليسوا كذلك وان قيل انه صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء هذا من السوانح عند الكتابة قال تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) فالهمزة للانكار والتقريع والواو لعطف الجملة على ما سبق من قصة أحد تقدير النظم أولما أصابتكم مصيبة قلتم أنى هذا فالمعنى أو حين أصابتكم مصيبة يعنى الانهزام فى يوم أحد قلتم أنى هذا أى قلتم من أين أصابنا هذا القتل والهزيمة تعجبا ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وأما قوله تعالى قد أصبتم مثليها قالوا معناه قد أصبتم مثليها يوم بدر وذلك لان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون يوم بدر منهم سبعين وأسروا سبعين وانما قيل مثليها مع أن

مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن أنس كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها تحب خديجة وعن عائشة ماغرت على امرأة ماغرت على خديجة لما كنت أسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد من الايمان وعن أبى قتادة وفد وفد للنجاشى فقام النبى عليه الصلاة والسلام يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بعضهم فقال كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ولما جىء باخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان أحببت أقمت عندى مكرمة محببة او

أحدهما أسر قلنا الاسر أخ القتل على مالا يخفى قال الامام الفائدة فى قوله تعالى قد أصبتم مثليها هو التنبيه على أن أمور الدنيا لا تبقى على نهج واحد فلما هزمتموهم مرتين فأى استبعاد فى أن يهزموكم مرة واحدة (أقول) فلم لا يجوز أن يكون تسلية وأما قوله فلما هزمتموهم مرتين ففيه مافيه تأمل فيه (قل هو من عند أنفسكم) من شؤم مخالفة أمر الرسول (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصرة ومنعه (أقول) فتضمنت الآية الكريمة اكرام محمد واجلاله حيث جعل مخالفة أمره سببا للخذلان مع أن صورة هذه المخالفة ترى أن لا تكون كل المخالفة كما يرشدك الى ذلك حكاية مخالفتهم التى مضت كما قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم قال تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) قال الزجاج الذين فى محل رفع على أنه مبتدأ وخبره قوله تعالى للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم استجابوا بمعنى أجابوا فالمعنى الذين أجابوا وأطاعوا الله والرسول من بعد ما أصابهم الجراحات العظيمة (للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) والجملة خبر لما قبله كما مر ومن بيانية والمراد من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روى أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر وألقى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت هذه الآية يمدح الله سبحانه فيها من أطاع الرسول بعد اصابة القرح فأظهر الحق سبحانه فى هذه الآية علو حال الحبيب وكمال قربه بالرب القريب حيث جعل اجابة حبيبه اجابته تعالى ومدح الذين أطاعوه قال الله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا وهم المنافقون من المتخلفين هذا تسلية للحبيب عليه السلام (انهم لن يضروا الله شيأ) أى لن يضر ولك واضافة ذلك الى نفسه سبحانه تشريفا للحبيب عليه السلام على ماذكره الامام النسفى فى تفسيره (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم) وفى ذلك الاضافة والتسلية من اعلاء شأن الحبيب واعظام قدره عليه التحيات قال تعالى (فان كذبوك) فى أمر النبوة (فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) بالمعجزات (والزبر) جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم (والكتاب المنير) هو فى عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام فلذلك عطف عليها أو يقال الكتاب المنير أشرف الكتب وأحسن الزبر فلذا حسن العطف كقوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية قال الامام الرازى المراد من البينات المعجزات ثم عطف عليها الزبر والكتاب وهذا يقتضى أن معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وذلك يدل على أن أحدا من الانبياء ما كانت كتبهم معجزة لهم فالتوراة والانجيل والزبور والصحف ما كان شئ منها معجزة وأما القرآن فهو وحده كتاب معجز وهذا أحد خواص الرسول انتهى (أقول) فهذه الآية الكريمة لتسلية للرسول ووجه التسلية ان المصيبة اذا عمت طابت فمن يكون أشرف حالا ممن تصدى الله سبحانه لتسليته وتطييب خاطره وعلى ماذكره الامام أشير فيها أيضا الى فضيلة الرسول عليه السلام بوجه آخر تمت بعون الله سبحانه الفضائل

متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها ومتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبى عليه السلام وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التى أرضعته وعن عمرو ابن السائب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبعث الى ثويبة مولاة أبى لهب مرضعته بصلة وكسوة ولما ماتت سال من بقى من قراباتها فقيل لا أحد أيها الأخ العزيز والذهب الابريز كيف يمكن أن يقضى حق أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم حق القضاء بما أوردناه أولم يكفك ان الله سبحانه أرسله رحمة للعالمين

* (فصل فى تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم على انافة منصبه وقربته وعلو جاهه ورتبته) * فكان أشد الناس تواضعا ربه عز

المتعلقة بسورة آل عمران * بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل حبيبه شهيدا الكل نبي ورسول ففاق الكل وله الفضل واليه يؤل هذا شروع في الفضائل الكائنة في سورة النساء قال الله تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله) في الاوامر (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) وتوحيد الضمير في يدخله باعتبار لفظ مرجعه وجمع خالدين باعتبار معناه (وذلك الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بها في الجنة (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) معانيه ظاهرة (أقول) بلطف الله تعالى ان توحيد الضمائر وافراد خالدا في هذه الآية وجمعه في الاولى يمكن أن يكون اشارة الى قلة الداخلين في النار من أمة محمد وكثرة الداخلين في الجنة من هذه الامة فهذا مما ألهمني به ربي فنقول أكرم الحق تعالى حبيبه في هذا الكلام بان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه بواو الجمع فما هو الا من مقتضيات مقام المحبة ووفور العناية وكمال الحماية وأمثال ذلك كثيرة في القرآن ولو التزمنا جمعها لاتسعها المجلدات وقل الانتفاع بكتابي هذا النقصان همم أهل الزمان في تحصيل المهمات ولكن نذكر الشموس ونشير الى البدور قال الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) كيف حال الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم ومن عادة العرب أنهم يقولون في الشئ الذي يتوقعونه كيف بك اذا كان كذا وكذا واذا جاء وقت كذا اذا جئنا من كل أمة بشهيد أي بنبيهم يشهد على عصيانهم وكفرهم كما حكى الله سبحانه عن عيسى عليه السلام وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الآية وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الانبياء الشهداء لعلمك بعقائدهم ومناقبهم وشرائعهم عن عبد الله بن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ فقلت كيف أقرأ وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمع من غيري قال فافتتحت سورة النساء فقرأت حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية فغمزني فقال حسبك فنظرت اليه وعيناه تدمعان كذا في تفسير السهروردي نقل عن الكشاف أنه بكاء فرح لا بكاء جزع لانه تشريف في غاية فانه جعل أمته شهداء على سائر الامم ثم جعله شهيدا على الكل كذا في حاشية الكشاف للتفتازاني (يومئذ يود الذين كفروا) بالله تعالى (وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) يحبون أن يدفنوا في الارض كالموتى (ولا يكتمون الله حديثا) لا يقدرون على كتمانه لشهادة جوارحهم عليهم فاخبرت الآيتان بعظيم قدر حبيب الله وشريف منزلته وفضيلته على الانبياء بحيث تلاشت العقول في فهم حقائقه وتحيرت البصائر في درك دقائقه لان الله سبحانه جعله شهيدا على الانبياء كلها ونص على عدالته وصدقه حيث لم يجعل أحدا عليه شهيدا مشيرا بأنه هو العلم في العدالة والصداقة وأظهر صداقة كل الانبياء بشهادته مع أن الحق تعالى جده شهيد على الكل فما هو الا اعلام للخلق كله أن حبيبه عليه السلام في أعلى مراتب العز والجاه فليس لاحد ان يتمناه وأقرب كل قريب من الله لانه تعالى خصه بالخلة والمحبة واصطفاه وفي الآية الثانية أيضا اعتناء بتشريف شأنه عليه السلام لانه تعالى لو اكتفى بقوله يومئذ يود الذين كفروا لكفى لدلالته على عصيانهم الرسول وأما ذكر الرسول فيحتمل أن يكون اشارة الى أن عصيانه من حيث انه عصيانه أمر شنيع ينتقم الحق تعالى لاجله اكراما له واجلالا وهنا اسرار أخر دالة على فضيلة خير الخلائق أجمعين لكنا لم نذكرها لما قلنا انها أسرار قال الله تعالى

وعلا وأعدمهم كبر العليه ان الكبرياء رداء المولى ويرشدك الى ذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وقال له اسرافيل عند ذلك فان الله تعالى قد أعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وخرج أبو داود عن أبي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم وتعظم بعضهم بعضا وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان عليه الصلاة والسلام يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته من مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها

(أم يحسدون الناس) بل يحسدون أى اليهود محمدا عليه السلام وانما صح اطلاق الناس مع أنه
واحد والناس جمع لانه عليه السلام واحد كألوف لانه اجتمع عنده من الخصال الحميدة مالا يحصل
متفرقا الا فى جمع عظيم كما يقال فلان أمة واحدة أى يقوم مقامها (على ما آتاهم الله من فضله)
والمراد من الفضل النبوة والكرامة الحاصلة بهما من كونه خير الاولين والآخرين وحبيب رب
العالمين وغير ذلك فانه كلما كان الفضل أوفر كان الحساد أكثر (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم
اسلاف محمد وأبناء عمه (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) الزام وتوبيخ لليهود
فانهم كانوا يزعمون أنهم يعرفون ابراهيم عليه السلام (أقول) دلت الآية على فضل الله على حبيبه
كما ذكره ههنا مشيرا بأنه فضل به على العالمين وعلى أنه عليه السلام واحد كألوف لانه أطلق عليه
عليه السلام الجمع تعظيما كأنه عليه السلام هو الناس كلهم لعدم الاعتداد بالاغيار فى جنب
الحبيب قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالنفاق
(جاؤك) تائبين (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) واعتذروا اليك
حتى رحمتهم وانتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة اجلالا لشأنه عليه السلام
وأفاد الامام الرازى فى وجه الاجلال أنهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته وأكرمه
بوحيه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته قال الزمخشرى
عدل الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعته من
اسمه الرسول من الله بمكان وعلله العلامة التفتازانى بقوله حيث عدل عن خطابه الى ماهو من
عظيم صفاته على طريقة حكم الامير بكذا مكان حكمت وتعظيم الاستغفار من جهة اسناده الى
لفظ ينبئ عن علو مرتبته والتنبيه من جهة التعليق بوصف الرسالة (أقول) وأيضا ان ذكر الانسان
بلقبه الدال على علو منصبه فى الدارين وتقربه برب العالمين اجلال واكرام لاسيما فى أمثال هذه
المواضع وأيضا فى ايقاع الفعل على صريح الاسم مزيد اهتمام ليس فى ايقاعه على الضمير فتأمل
(لوجدوا الله توابا رحيما) لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة فالله سبحانه أظهر بره
وأفضاله على حبيبه عليه السلام فى هذه الآية الكريمة بأن جعله شفيع المذنبين وجعل بابه
الكريم محل قبول توبة العاصين وهو أعلى مناصب المقربين كأن استغفارهم لا يتم الا
بانضمام استغفار خير الاولين والآخرين ولتجدن مثلا له فى الشاهد فان أعلى ما يتوسل به الى
المحب شفاعة الحبيب وأيضا فى الالتفات من الخطاب الى الغيبة اجلال آخر قال الله تعالى
(ومن يطع الله والرسول) زيادة ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم
قدرا أعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين) قال عكرمة النبيون ههنا محمد عليه السلام والصديقون أبو بكر
والشهداء عمر وعثمان وعلى والصالحون سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (فان قلت)
كيف يكون المطيعون لله والرسول مع النبيين ودرجتهم فى أعلى عليين قالوا الانبياء وان كانوا فى
أعلى المنازل فان غيرهم من المؤمنين يزورونهم ويستمتعون برؤيتهم فمن هذه الجهة يقال انهم
معهم كذا فى بعض التفاسير (أقول) ظاهر الآية وسبب النزول يدلان على أن المعية حقيقة
فتأمل قال البيضاوى قسمهم على أربعة أقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس

ويحمل بضاعته من السوق
ودخل عليه صلى الله تعالى
عليه وسلم رجل فأصابته
من هيبته رعدة فقال له
هون عليك فانى لست بملك
انما أنا ابن امرأة من قريش
تأكل القديد وعن أنس
أن كانت الامة من اماء
المدينة لتأخذ بيد رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فتنطلق حيث شاءت حتى
يقضى حاجتها وعن أبى
هريرة رضى الله تعالى عنه
دخلت السوق مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واشترى سراويل وقال
للوازن زن وأرجح وذكر
القصة قال فوثب الى يد
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقبلها فجذب يده
قال هذا تفعله الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما أنا
رجل منكم ثم أخذ
السراويل فذهبت لاحملها
فقال صاحب الشئ أحق
بشيئه أن يحمله وروى انه
لما فتح مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طأطأ على رحله
رأسه حتى كاد يمس قادمته
تواضعا لله تعالى أيها الاخ
الشفيق والصديق الصديق
انظر الى تواضع سيد البشر
ونبى النبيين فى القول
الاظهر والملتجا فى يوم
الضرر والمشفع لاراحة

على

على أن لا يتأخر عنهم النبيون وهم الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته وذلك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان فالاولون أن نالوا لوامع العيان القريب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء أولا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في أرضه واما أن يكون بأمارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون انتهى (وحسن أولئك رفيقا) فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك كذا في الكشاف (أقول) الظاهر من الكشاف وحواشيه ان حسن في مثل هذا المقام يستعمل بمعنى التعجب ورفيقا تمييز أو حال ولم يجمع لانه يطلق على الواحد والجمع كالصديق والخليط روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأل عن حاله فقال مابي من وجع غير اني اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لاني عرفت أنك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت (أقول) فدلت الآية الجليلة على كمال فضيلة نبينا عليه السلام حيث جعل رأس المال في تحصيل الآمال طاعته عليه السلام في الاقوال والاحوال كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وجمع ذكر ذي الجلال مع ذكره عليه السلام وأطلق عليه لفظ النبيين اشارة الى أنه جامع لفضائل الانبياء عليهم السلام ونص على أنه هو المنعم عليه ومن تبعه ومدح مرافقته بأن جعلها في كمال الحسن وفيه مدحة أخرى وهي أنه تعالى طيب قلب مشتاق حبيبه بأعظم التطييب وغير ذلك هذا ما وهبني ربي في هذا المقام جعلنا الله سبحانه بعميم احسانه ممن يرافق أولئك بحقك يارب وبحرمة أحبائك قال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله قال الامام والمعنى أن من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام الله تعالى فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله وقال قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله من أقوى الدليل على أنه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه الى الخلق عن الله لانه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله وأيضا وجب أن يكون معصوما في جميع أفعاله لانه تعالى أمر الغير بمتابعته في قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل أنه فعل ذلك فكان الآتي بمثل ذلك الفعل مطيعا لله تعالى في قوله واتبعوه انتهى كلامه روى أنه عليه السلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (أقول) تصديقا للحبيب عليه السلام ورغما للمنافقين وذكر في الشفا في تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع

أهل الحشر في المنشر وأما اليوم ترى الذين وجوههم مسودة واستعدادهم النار الله الموقدة وجوانحهم مملوءة بأنواع القاذورات وظواهرهم بأجناس الانجاس وهم يدعون الانتساب الى تلك العتبة العلية كيف تكبروا في بلاد الله وكيف أزعجوا عباد الله وكيف أفسدوا في أرض الله وكيف أباحوا ما حرم الله والى الله العدل المنتقم المشتكى متوسلا بالحبيب القمر الفرد المصطفى عليه صلوات الله عدد الرمل والحصى وما طلعت عليه شمس الضحى

*(فصل في أمانته وعدله وعفته وصدق لهجته) فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف بذلك محادّوه وعداه فكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله تعالى فيه من الاخلاق الصالحة وقال الله تعالى مطاع ثم أمين قال صاحب الشفاء رحمه الله تعالى أكثر المفسرين انه محمد عليه السلام ولما اختلفت قريش وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع

الرسول فقد أطاع الله الحديث كما ذكرنا فى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله (ومن تولى) عن
طاعتك (فما أرسلناك عليهم حفيظا) قال الامام الرازى معناه فلا ينبغى أن يغتم بسبب ذلك التولى
وأن يحزن فما أرسلناك لحفظ الناس عن المعاصى والسبب فى ذلك أنه عليه السلام كان يشتد
حزنه بسبب كفرهم واعراضهم فالله تعالى ذكر هذا الكلام تسلية له عن ذلك انتهى ففى هذا من
عظيم منزلته عند الله تعالى وكمال تقربه اليه لانه سبحانه جعل طاعة حبيبه طاعة نفسه تعالى
وصدقه فى هذا القول وأشار الى كمال عصمته فى أوامره ونواهيه كلها بحيث لا يوجد فيه عليه
السلام شئ من البشرية بل كلها لله وفى الله وسلامه سبحانه وتعالى وكل ذلك من مقتضيات المحبة
قال تعالى (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الامور (وكان
فضل الله عليك عظيما) قيل هو فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق فى الازل وأشار الواسطى
الى أنه اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يتحملها موسى عليه السلام ولقد علمت تصريح الله سبحانه
بفضله على حبيبه مع وصفه بالعظيم لاسيما المعظم هو الرب العظيم فما ظنك بعظيم عظمه الله
تعالى ولقد أشارت الآية الى تفضيل وتمجيد ليس عندى شئ أفضل منه أعنى احتمال الرؤية
ولو لم يكن غيره لكفى قال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال
القاضى وغيره جواب لاهل الكتاب فى اقتراحهم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم
بأن أمره فى الوحى كسائر الانبياء قال الامام الرازى نقلا عن الزجاج الايحاء الاعلام على
سبيل الخفاء (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس
وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فى النبيين تعظيما لهم
(ورسلا) نصب بمضمر كأرسلنا (قد قصصناهم عليك من قبل) أى من قبل هذه السورة أو اليوم
(ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) قال القاضى وهو منتهى مراتب الوحى
خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا عليه السلام بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم
انتهى قال بعضهم فى حواشيه على التفسير للبيضاوى قوله تعالى وأوحينا وقوله وآتينا وقوله
ورسلا وقوله وكلم الله موسى تكليما فى حيز التشبيه للوحى عليه عليه السلام وكأنه أشار اليه
بقوله وقد فضل الله محمدا عليه السلام بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم انتهى (أقول)
فعلى هذا أشار الكلام الى تفضيل خير الانام على الرسل الكرام جميعا وعموما وفى هذه السورة
الكريمة أصناف اكرام غير ما أوردناه لكن ذكرنا شموسها وأشرنا الى بدورها تمت الفضائل
الكائنة فى سورة النساء * بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أوضح السبل وأحسن الينا
بأفضل الرسل صلى الله عليه ما تناوبت الليالى وتعاقبت النهر * (المناقب المتعلقة بسورة المائدة) *
قال الله تعالى (يا أهل الكتاب) اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب) عن ابن عباس رضى الله عنهما أخفوا صفة محمد وآية الرجم ثم ان الرسول
بين ذلك فيكون معجزا لكونه أميا لم يقرأ كتابا قط وحد الكتاب لانه أريد به الجنس (ويعفو
عن كثير) اذا لم يضطر اليه أمر دينى (قد جاءكم من الله نور) أى محمد وانما سمى نورا لان الانوار
الظاهرة كنور الشمس مثلا يتقوى بها البصر فى ادراك المحسوسات فكذلك الانوار الباطنة
تتقوى بها البصيرة على ادراك المعقولات (أقول) ولك أن تقول ان اطلاق النور عليه حقيقة

لانه

الحجر حكموا أول داخل
عليهم فاذا بالنبى عليه
السلام داخل وذلك قبل
نبوته فقالوا هذا محمد هذا
الامين قد حكمناه ورضينا
به وعن الربيع بن خثيم كان
يتحاكم الى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فى
الجاهلية قبل الاسلام
وقال عليه السلام والله انى
لامين فى السماء أمين فى
الارض وقال النضر بن
الحرث لقريش قد كان محمد
فيكم غلاما حدثا أرضاكم
فيكم وأصدقكم حديثا
وأعظمكم أمانة حتى اذا
رأيتم فى صدغيه الشيب
وجاءكم بما جاءكم به قلتم
ساحر لا والله ماهو ساحر
وقصته فيها طول روى أن أم
كلثوم بنت النبى صلى الله
عليه وعليها لما هاجرت الى
المدينة وبقى زوجها بمكة
فعند ذلك قال
بنت الامين جزاها الله صالحة
وكل بعل سيثنى بالذى أضما(٣)
الابيات والزوج حين أثنى
عليه وعليها كان كافرا
والفضل ما شهدت به الاعداء
وفى الصحيح فى حديث ويحك
فمن يعدل ان لم أعدل خبت
وخسرت ان لم أعدل
والشاهد العدل على عدله
صلى الله تعالى عليه وسلم
كون خلقه القرآن وفى

(٣) قوله أضما كذا بالاصل وحرر اهـ

لانه عليه السلام خلق من نور الله تعالى كما مر ذكره فى أول سورة البقرة فتأمل (وكتاب مبين) أى القرآن (يهدى به الله) وحد الضمير لكونهما كواحد فى الحكم (من اتبع رضوانه) أى رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب أو سبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه) بارادته أو بتوفيقه من ظلمات الكفر الى نور الايمان (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو أقرب الطرق الى الله تعالى ومؤدّ اليه لامحالة اعلم أسعدنى الله واياك فى الدارين وأذاقنى واياك مذاق حب سيد الاوّلين والآخرين أن الله تعالى وتقدس أشار فى هذا الكلام الى علو شأن خير الانام عند الملك العلام بوجوه جعله مضافا اليه تعالى باضافة التشريف وذكره بالرسالة الدالة على علو منصبه المنيف وأورد ذكره على وجه التأكيد متضمنا نوريته عليه السلام لانه به يفتح عيونا عميا وشرفه بتشريكه فى وصفه تعالى وهو النور بل يقال وهبه اسما من أسمائه كما قيل فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم انه وهبه اسمين من اسمائه تعالى على ماسيجىء تحقيقه ان شاء الله تعالى وأيضا فى اضافة النور اليه سبحانه وفى نسبة العفو اليه عليه السلام من تفخيم أمره مالايخفى وههنا دقائق عالية لايسعها هذا المقام هذا ما منحنى الملك العلام قال الله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) أى الدين والشرائع أى حال كونه مبينا للدين (على فترة من الرسل) قال ابن عباس يريد على انقطاع من الانبياء قوله على فترة يتعلق بقوله جاءكم أى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل قيل كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو أقل أو أكثر وعن الكلبى بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة وألف نبى وبين عيسى ومحمد أربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسى (أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير) كراهة أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير (فقد جاءكم بشير ونذير) فانقطع اعذاركم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نوعى الارسال وعندى أن فى هذه دلالة على علوّ درجة الرسول حيث استعمله الرب الكريم فى المحل الاهم والمقام المهم حين ملأ العالم المشرق والمغرب ومابينهما بالشرك والظلام مع فترة من الرسل الكرام عليهم السلام وأرسل بالدعوة العامة ولم يتيسر تلك الخدمة العليا والسعى الاسنى لغير محمد المصطفى من الرسل والانبياء عليهم السلام قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جميع ما أنزل اليك من ربك بلا مخالفة أحد (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميع ما أمرتك (فما بلغت رسالته) فما أديت شيأ منها لانّ كتمان بعضها يضيع أجر ما أدى منها كترك بعض أركان الصلاة (والله يعصمك من الناس) أمان له عليه السلام من تعرّض الاعادى (ان الله لايهدى القوم الكافرين) لايمكنهم مما يريدون بك قال الامام اعلم ان الله تعالى خاطب محمدا عليه السلام بقوله يا أيها النبى فى مواضع كثيرة وما خاطبه بقوله يا أيها الرسول الا فى موضعين أحدهما هنا والثانى قوله تعالى يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر الآية وهذا الخطاب لاشك أنه خطاب تعظيم وتشريف ففى هذا الكلام غيرهذا من البر والاحسان الى الحبيب عليه السلام من الملك المنان فان الله تعالى خاطب جميع الانبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى بن مريم ولم يخاطب نبينا الا بالقابه الشريفة يا أيها الرسول يا أيها النبى يا أيها المزمل يا أيها المدثر فكان هذا من خصائصه

الحديث عنه ما مست يده يد امرأة قط لايملك رقها وذكر أبو جعفر الطبرى عن على عنه عليه السلام ماهممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بينى وبين ما أريد من ذلك ثم ماهممت بسوء حتى أكرمنى الله سبحانه برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة فسمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على أذنى فنمت فما أيقظنى الامس الشمس فرجعت ولم أقض شيأ ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء وفى حديث على فى وصفه عليه السلام أصدق الناس لهجة وما لنا ان نتوخى حجة على كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق الناس لهجة بعد قول الله عز وجل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى صلى الله تعالى عليه وسلم عدد الرمل والحصى (فصل فى وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروأته وحسن هديه)* وفى سنن أبى داود عن خارجة

ومن فضيلته عليهم أجمعين وفى هذه السورة الكريمة مايدل على خصال كماله وجلاله غيرماذ كرنا الا أناذ كرنا شموسها وأشرنا الى بدورها تمت الفضائل الكائنة فى آيات سورة المائدة جعل الله سبحانه بلطفه وكرمه هذا النظم والتقرير من العبد العاصى الفقير من الدرر المنثورات المتعلقة بحسن شمائل خير البريات الكائنة فى القرآن والآيات سيما النجاتى يوم العرصات ووسيلة لتقربى برب البريات من جنات عاليات انه مجيب الدعوات ورفيع الدرجات وصلى الله على محمد أفضل الصلوات وأكمل التحيات آمين * بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعلنا من أمة خير الانام وهو محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هذا شروع فى بيان اكرام الله والطافه اياه عليه السلام فى سورة الانعام قال الله تعالى (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) واختلفوا فى ان ذلك المحزن ماهو فقيل كانوا يقولون لمجنون كاهن ساحر شاعر وهو قول الحسن وغيرذلك من الاقوال (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فان قلت لاشك ان الجحود بآيات الله تكذيب له عليه السلام فما السر فى هذا النظم قلنا بينوه بوجوه الاول المراد بنفى تكذيبه عليه السلام استعظام تكذيبه واجراء تكذيبه مجرى تكذيب الله لان تكذيب الرسول يعود الى تكذيب المرسل والتعزية والتسلية له عليه السلام والثانى أن المراد نفى التكذيب بالقلب واثباته باللسان كما روى أن الاخنس بن شريق قال لابى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال والله ان محمدا صادق وما كذب قط ولكن اذا ذهبت بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت الثالث أن ليس قصدهم تكذيبك لانك عندهم موسوم بالصدق وانما يقصدون تكذيبى وجحود آياتى وكان أبو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق وانما نكذب ماجئتنا به قال البيضاوى فى قوله تعالى فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من أكذب اذا وجده كاذبا أو نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم وجحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روى أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما نكذب ماجئتنا فنزلت انتهى كلامه قال مولانا سنان فى حاشيته على البيضاوى قوله فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة تعليل لمقدر هو لا تحزن ثم ان هذا هو الوجه الثالث من الوجوه المذكورة فى الكشاف يدلك عليه قوله روى ان أبا جهل الخ وليس هذا اشارة الى وجه وذالك الى وجه آخر كما يوهمه النظر فى الكشاف والا فالوجه ايراده بالواو فتأمل فحاصل المعنى انهم لا يكذبونك فى نفس الامر لانهم يقولون انك صادق لكن اعترى عقلك نوع قصور فخيل اليك أنك نبى وليس الامر بذالك وماجئت به ليس بحق انتهى كلامه (أقول) لا يخفى عليك ان قول القاضى لا يكذبونك فى الحقيقة معناه أن تكذيبك راجع الى الله تعالى فهو الوجه الاول من الوجوه المذكورة فى الكشاف يرشدك اليه قول الكشاف فى بيان الوجه الاول فهم لا يكذبونك فى الحقيقة ولم يذكر هذا اللفظ فى الوجه الثالث ويؤيد كونه هو الوجه الاول من الوجوه المذكورة فى الكشاف وكون التكذيب فى نفس الامر غير منفى قول القاضى والكشاف فى الآية التى بعدها أعنى ولقد كذبت رسل من قبلك وهذا دليل على أن

ابن زيد رضى الله تعالى عنه يقول كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيا من أطرافه أقول انتهى الحديث وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعرض عمن تكلم لغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير قال ابن أبى هالة كان سكوته على أربع الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه وقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ان أحسن الهدى هدى محمد عليه السلام يقول ناظم الدرر الغالية كيف لا وقد قال الله تعالى عز وجل لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة الآية ومما يدل على كمال مروأته عليه السلام نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب والامر بالاكل

فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه لاسيما زاد الكشاف على قوله هذا قوله وانما هو من قولك للغلام ما أهانوك ولكنهم أهانوني ولا شك أن قوله وانما هو من قولك الخ هو الوجه الاول من الكشاف واذا كان المراد في قوله تعالى فانهم لا يكذبونك نفي التكذيب النفس الامري لا يحسن قوله وهذا دليل على أن فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه فدل هذا الكلام على أن المختار عند القاضي عدم نفي التكذيب النفس الامري فلا يصح كلام المحشي وأما قوله والا فالوجه ايراده بالواو فيجاب بجواز أن يكون العطف بلا عاطف فيكون وجها آخر على أنه لا يجب أن يكون الوجه المغاير للاول بالعاطف وأما قوله فحاصل المعنى الخ لا يساعده ماذكر في سبب النزول على هذا الوجه الثالث فليتأمل فهذه الآية الكريمة الجليلة أفادت أصناف تفخيم وأنواع تبجيل ووصف جميل للحبيب عليه الصلاة والسلام على ما لا يخفى على ذوي الافهام فان الله سبحانه عزاه وسلاه وطيب خاطره بكمال المجاملة وحسن المخاطبة بما يتحير في درك دقائقه كل لبيب ويتلاشى في فهم نكاته كل أديب قال الله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده فانهم موعودون بالنصر والظفر لقوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وغير ذلك (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم فهذه تسلية على تسلية قال الامام الرازي حاصل المعنى أن سائر الامم كذبوا أنبياءهم وأولئك الانبياء صبروا على تكذيبهم وايذائهم الى ان أتاهم النصر فأنت أولى بالتزام هذه الطريقة لانك مبعوث الى جميع العالمين فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ثم أكد وقوى تعالى هذا الوعد بقوله ولا مبدل لكلمات الله يعني ان وعد الله اياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبدل اليه قال الاخفش من في قوله تعالى من نبإ المرسلين صلة كما تقول أصابنا من مطر وقال غيره لا يجوز ذلك لانها لا تزاد في الواجب وانما تزاد في النفي فهنا للتبعيض كما أشرنا اليه ففي هذه الآية الكريمة عناية على عناية ولطف على لطف لان الله سبحانه بعد ما أزال عن حبيبه الحزن في الآية السابقة لم يكتف بذلك بل أكد ذلك بهذه الآية الكريمة فما ذلك الا من آثار مقام المحبة والخلة قال الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أمر من الله تعالى باكرام المتقين وعدم طردهم ولو بقصد الخير مع ان لا يكون عليهم فيه خير والمراد بدعائهم في الغداة والعشي دوامهم في ذلك الامر (يريدون وجهه) حال من يدعون أي حال كونهم مخلصين في الدعاء (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فتطردهم) وهو جواب النفي (فتكون من الظالمين) جواب النهي قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مر جماعة من المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار بن ياسر وغيرهم من ضعفاء المسلمين فأرادوا الحيلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطرد أصحابه فقالوا يا محمد لو طردت هؤلاء السفلة والعبيد عنك أتاك أشراف قومك ورؤساؤهم يسمعون مقالتك ويصدقونك وذكروا ذلك أيضا لعمر رضي الله عنه فذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على أشراف قومه فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بعض الذي طلبوه فأنزل الله تعالى هذه الآية كذا في تفسير الحدادي وزيد على هذه الرواية في الكبير وغيره هذا فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد

مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم واستعمال خصال الفطرة *(فصل في زهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا)* وقد بلغ في الشهرة الغاية القصوى بحيث لا يخفى على غبي ولا على ذوي النهى لكن أذكر لك أشياء من ذلك ليتعلق بها بالك ويتلذذ بها قلبك ويتعطر بها الآفاق والانفس وفي حديث أن جبريل عليه السلام نزل عليه عليه الصلاة والسلام فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب ان أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له فقال جبريل ثبتك الله بالقول الثابت قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شئ يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما أما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وعنها رضي الله تعالى عنها قالت ما شبع

المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا لايمانهم ثم
ألحوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى ليكتب فنزلت
قال الامام الرازى فى تفسيره فى هذا المحل احتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه الآية من وجوه
الاول انه عليه السلام طردهم والله تعالى نهاه عن ذلك الطرد فكان ذلك الطرد ذنبا الثانى انه
قال تعالى فتطردهم فتكون من الظالمين فقد ثبت انه طردهم فيلزم أن يقال انه كان من الظالمين
* الثالث انه تعالى حكى عن نوح عليه السلام انه قال وما أنا بطارد المؤمنين ثم ان الله تعالى أمر
محمدا عليه السلام بمتابعة الانبياء عليهم السلام فى جميع الاعمال الحسنة قال أولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده فبهذا الطريق وجب على محمد عليه السلام ان لا يطردهم ولما طردهم كان ذلك
ذنبا كذا ذكر الامام طعنهم وأجاب عن الاول أنه عليه السلام ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم
والاستنكاف عن فقرهم وانما عين لجلوسهم وقتا معينا سوى الوقت الذى كان يحضر فيه أكابر
قريش وكان غرضه فيه التلطف فى ادخالهم فى الاسلام ولعله عليه السلام كان يقول هؤلاء
الفقراء من المسلمين لا يفوتهم بسبب هذه المعاملة أمر مهم فى الدين والدنيا وهؤلاء الكفار يفوتهم
الدين والاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى فاقصى ما يقال ان هذا الاجتهاد وقع خطأ الا ان
الخطأ فى الاجتهاد مغفور وأما قولهم ثانيا ان طردهم يوجب كونه عليه السلام من الظالمين
فأجاب عنه بأن الظلم عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه والمعنى هؤلاء الفقراء كانوا يستحقون
التعظيم من الرسول عليه السلام فاذا طردهم عن ذلك المجلس كان ذلك ظلما الا انه من باب ترك
الاولى والافضل لا من باب ترك الواجبات وكذا الجواب عن سائر الوجوه فانا نحمل كل هذه
الوجوه على ترك الاولى انتهى ما أردنا نقله من كلامه رحمه الله (أقول) وبالله التوفيق
الجواب الاحق بالقبول عن الوجه الاول من الطعن أن يقال انه عليه السلام ما طردهم بل هم
به لمصلحة الدين فنهى الله عن ذلك فلا يكون ذنبا وأما الجواب عن الوجه الثانى فهو انه ما طردهم
حتى يكون من الظالمين ولا شك ان هذا هو النهى قبل الوقوع فيما يوجب العتب وكونه من
الظالمين على تقدير وجود الطرد ولم يكن وأما الجواب عن الثالث فهو أن يقال ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال وما أنا بطارد المؤمنين فيكون مقتديا بنوح عليه السلام يؤيد جميع ما قلنا ما روى
فى سبب النزول كيف لا وقد قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء عليهم السلام بعد الزلات
وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة والعجب ان
الامام كيف أرخى عنان البحث مع الخصم وأرسل الكلام ولم يجبه بما دل عليه الحديث المذكور
فى سبب النزول فتأمل ففى هذه الآية الكريمة أظهر الله تعالى احسانه وحبه وبره على حبيبه
عليه السلام حيث تدارك أمره قبل الوقوع فيما يوجب العتاب انه هو البر التواب قال الله تعالى
(أولئك الذين هدى الله) أولئك اشارة الى الانبياء الثمانية عشر الماضى ذكرهم قبل هذه الآية أى
أولئك الذين أكرمهم الله بالطريقة الحسنة (فبهداهم اقتده) فاقتد بسيرتهم الحسنة وأخلاقهم
الحميدة وصفاتهم الرفيعة وهذا الذى ذكرته على ما اختاره بعض المفسرين والهاء فى اقتده
جئ بها لتبين كسرة الدال فتسقط فى الوصل وتثبت فى الوقف وهذا مذهب حمزة والكسائى
والباقون يثبتونه فى الوصل والوقف (قل لا أسألكم عليه أجرا) أى على التبليغ أو القرآن جعلا

كما

رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا
من خبز حتى مضى لسبيله
وفى رواية أخرى من خبز
شعير يومين متواليين ولو
شاء لاعطاه الله تعالى مالا
يخطر ببال وفى رواية أخرى
ما شبع آل محمد عليه
السلام من خبز بر حتى لقى
الله تعالى عز وجل وعن
حفصة رضى الله تعالى عنها
كان فراش رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فى
بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام
عليه فثنيناه ليلة بأربع
فلما أصبح قال لى ما فرشتم لى
الليلة فذكرنا ذلك له فقال
ردوه بحاله فان وطأته منعتنى
الليل صلاتى وكان ينام
أحيانا على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر فى جنبه
وعن عائشة رضى الله تعالى
عنها لم يمتلئ جوف النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
شبعا قط ولم يبث شكوى
الى أحد وكانت الفاقة
أحب اليه من الغنى وان كان
ليظل جائعا يتلوى طول
ليلته من الجوع فلا يمنعه
صيام يوم ولو شاء سأل ربه
جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت
أبكى له رحمة مما أرى به وأمسح
بيدى على بطنه مما به من
الجوع وأقول نفسى لك

كما لم يسال من قبلي من النبيين (ان هو) اى التبليغ أو القرآن (الا ذكرى للعالمين) عظة بليغة للانس والجن كلهم فدلت الآية الكريمة على ان نبينا عليه السلام أفضل الرسل الكرام لانه عليه السلام أمر باستجماع اخلاقهم المتفرقة حققه الامام الرازى حيث قال احتج العلماء بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم السلام وتقريره هو أنا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة وأيوب كان صاحب الصبر على البلاء ويوسف كان مستجمعا لهاتين الحالتين وموسى عليه السلام كان صاحب الشريعة القوية والمعجزات الباهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس كانوا أصحاب الزهد واسمعيل كان صاحب الصدق ويونس كان صاحب التضرع فثبت انه تعالى انما ذكر كل واحد من هؤلاء الانبياء لان الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف ثم انه تعالى لما ذكر الكل أمر محمدا عليه السلام بأن يقتدى بهم بأسرهم فكأنه تعالى أمر محمدا عليه السلام أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التى كانت متفرقة فيهم بأجمعهم ولما أمره الله تعالى بذلك امتنع أن يقال انه قصر فى تحصيلها فثبت انه حصلها ومتى كان الامر كذلك وجب أن يقال انه عليه السلام أفضل منهم بكليتهم والله تعالى أعلم انتهى كلامه قال الله تعالى (واذا جاءتهم آية قالوا) أى كفار قريش مثل الوليد بن المغيرة وأبى جهل وغيرهما (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) من فرط حسدهم لا لطلب الحجة روى ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا كنت أولى بها منك لانى أكبر منك سنا وأكثر مالا فنزلت (الله أعلم حيث يجعل رسالته) كلام مستأنف للانكار عليهم بأن النبوة ليست بالسن ولا بمتاع الحياة الدنيا وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء فيجتبى لرسالته من يستعد لها وهو أعلم بالمكان الذى يضعها فيه قالوا النفوس البشرية مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها حرة طاهرة عن العلائق الجسمانية مشرقة بالانوار الالهية وبعضها خسيسة محبة للجسمانيات فالنفس مالم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحى والرسالة لكن هذا القسم يختلف بحسب الاستعدادات وقال بعضهم النفوس والارواح متساوية فى تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون البعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل كذا فى التفسير الكبير (سيصيب الذين أجرموا صغار) أى ذل وحقارة (عند الله) يوم القيامة (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بسبب مكرهم لا يخفى عليك ان قوله سبحانه الله أعلم حيث يجعل رسالته مشعر بانه عليه السلام بعث وليس فى المشرق والمغرب مثل محمد عليه السلام بل لم يكن ولم يوجد فيهما بحيث وسع نفسه الفضائل الحميدة والخصائل الرفيعة حتى استعد لان يكون رحمة للعالمين وخير الاولين والآخرين كيف لا وقد اصطفاه حبيبا بارئ النسم فمن هذا علمت ان هذه الآية الشريفة من الآيات الدالة على كمال فضيلته عليه السلام هذا مما خطر لى فى هذا المقام والله ولى الافهام قال الله تعالى (قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى كلها (ومحياى ومماتى) وما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والطاعة (لله رب العالمين لا شريك له) خالصة له لا أشرك فيها غيره (وبذلك) الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته أو يقال انه اشارة الى أولية عليه السلام على جميع الخلائق من الانبياء

الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدنى استحى ان ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم ومامن شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى وأخلائى فما أقام بعد الا شهرا حتى توفى عليه أعذب الصلوات وأكمل البركات *(فصل فى خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ربه سبحانه وطاعته له وشدة عبادته)* أما خوفه فعلى قدر قربه منه عز وجل وعلمه به وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وزاد فى رواية لابى عيسى الترمذى يرفعه الى أبى ذر انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما

والمرسلين وغيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم أنا أول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا وقال أول ما خلق الله نورى فأشارت الآية الكريمة الى كمال حال الحبيب عليه السلام لانه جعل العبادة وما كان عليه فى الحياة والممات كلها لله رب العالمين بحيث لا يتداخل فيها الاغيار وهذا أعلى مراتب الابرار وأشير الى أنه عليه السلام أولهم وأقدمهم وأشرفهم حشرنا الله سبحانه بلطفه العام فى زمرة الاصفياء والاخيار انه قريب مجيب وفى هذه السورة الكريمة أسرار تدل على علوّ حال الحبيب غير ما ذكرنا كاضافة الله سبحانه ذاته الكريم اليه عليه السلام بقوله ربك وذكره عليه السلام مقرونا بذكره الكريم على هذا الوجه مقدار عشرين موضعا بل أزيد فى هذه السورة يعرف بالتدبر فيها ولا شك ان هذا من آثار المقام الذى هو عليه السلام فيه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله وسلام على حزبه الذى اجتباه خصوصا على حبيبه ومصطفاه (الفضائل المتعلقة بسورة الاعراف) قال الله تعالى (المص) ذكر فى المواهب اللدنية انه من أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يذكر شرحه فلا محالة انه يتضمن فضلا كثيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه واللام الجارة للتخصيص أى اختص مجيئه لميقاتنا وجاء موسى الى الطور للكلام والكتاب بعد تكميل صوم أربعين يوما الذى أمر به (وكلمه ربه) من غير سفير كما يكلم الملائكة روى انه كان يسمع ذلك من كل جهة وبكل عضو فيكون هذا من خاصية كلامه سبحانه غير متكيف بكيفياتنا كما انه تعالى نراه ان شاء الله فى الجنة بلا كيف فتامل * لما أراد موسى الانطلاق الى الجبل استخلف هرون ولما أراد الله تعالى أن يكلم موسى أهبط الى الارض ظلمة سبعة فراسخ فلما دنا موسى من الظلمة طرد عنه شيطانه ونحى عنه ملكاه ثم كلمه وكشطت له السماء فرآى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وكان بعد ذلك لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له امرأته أنا أيم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرّت لله ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلنى زوجتك فى الجنة قال لك ذلك ان لم تزوجى بعدى فان المرأة لآخر أزواجها كذا فى تفسير السهروردى (قال رب أرنى أنظر اليك) أرنى نفسك بأن تمكننى من رؤيتك (أقول) ان موسى صلوات الله عليه لما شاهد الاثر اشتاق الى المؤثر واستغرق فى أنوار الجمال وهاج له شوق الوصال (قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) قوله تعالى لكن استدراك أراد ان يبين به انه لا يطيقه لكنا نقول لم يطقه الكليم لكن يطيقه الحبيب صلوات الله عليهما (فلما تجلى ربه للجبل) قال الزجاج تجلى أى ظهر (جعله دكا) مدكوكا مفتتا (وخرّ موسى صعقا) فسره ابن عباس بالغشى وقتادة بالموت (فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك) من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن (وأنا أول المؤمنين) ولا شك ان كل نبىّ أول مؤمنى قومه كما مرّ (أقول) فلما استياس الكليم من الرؤية فى الدنيا لكونه نصيب المصطفى كأنه يقول

أريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد

(قال ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) الموجودين فى زمانك (برسالاتى) باسفار التوراة (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) أعطيتك (وكن من الشاكرين)

تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت انى شجرة تعضد روى هذا الكلام لوددت انى شجرة تعضد من قول أبى ذر نفسه وهو أصح وفى حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفى رواية أنه كان يصلى حتى تورم قدماه فقيل أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلى فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن

على

على النعمة فيه عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة خير الامم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يؤمنون بالله و بالكتاب الاول و بالكتاب الآخر و يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال قال يارب اجعلهم أمتى قال هى أمة محمد ياموسى فقال يارب انى أجد أمة هم حامدون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعل ان شاء الله تعالى فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال يارب انى أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون و المستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور و الارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها ضعف عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت سيئة مثلها فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال انى أجد أمة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون فى صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هى أمة أحمد فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى محمدا و أمته قال ياليتنى من أصحاب محمد فاوحى الله تعالى اليه ثلاث آيات يرضيه بهن ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى و بكلامى الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا كذا ذكره محيى السنة فى تفسيره فعلى ما ذكر ناظهر من فضيلة محمد عليه السلام ما ينقطع عند فهمه نياط القلب و يتحير فيه كل ذى لب لانك سمعت ما تلوته عليك من اكرام الله تعالى اياه بعظيم الاكرام فبعد هذا تمنى أن يكون له أمة محمد فلم يجبه الحق لاختصاص هذا الشرف بمحمد عليه السلام ولا شك أن شرف التابع بشرف المتبوع ثم بعد ذلك تمنى أن يكون هو من امة محمد عليه السلام فبالآخرة سلاه الله تبارك وتعالى باصطفائه على الناس الموجودين فى زمانه و بتكليمه اياه وهذا ما وهب لى فى هذا المقام والله ولى الافهام قال الله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار مأخوذ من لفظ الخير يقال اختار الشئ أى أخذ خيره كذا فى التفسير الكبير قال جماعة من النحويين معناه واختار موسى من قومه ففيه الحذف والايصال وقال أبو على الاصل فى هذا الباب ان من الافعال ما يتعدى الى المفعول الثانى بحرف الجر ثم يتسع فيحذف حرف الجر فيتعدى الفعل الى المفعول الثانى كما يقال فى استغفر الله من ذنبى استغفر الله ذنبى كذا ذكر الامام الرازى ثم أردفه بقوله وعندى فيه وجه آخر وهو ان يكون التقدير واختار موسى قومه لميقاتنا وأراد بقومه المعتبرين منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم وقوله سبعين رجلا عطف بيان وعلى هذا الوجه فلا حاجة الى ما ذكروه من التكلفات انتهى كلامه (أقول) لا يخفى على المنصف ان فيما ذكره النحويون

عبد الله بن الشخير أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبى هالة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليس له راحة وعن على رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر زادى والرضا غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة وفى حديث آخر وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل أمتى وشوقى الى ربى سبحانه وظهر لى ان أختم هذه الفاتحة بالحديث الشريف المسطور فى سنن الترمذى ليكون ختامها مسكا وهو من الاحاديث المستفيضة الينا بسندنا المتصل الى الامام الترمذى لكن لم نذكر السند لامر يشتكى فيه الى الله عز وجل قال أبو عيسى بن سورة الحافظ الترمذى حدثنا

تكلفا واحدا بل ليس فيه تكلف لان الحذف والايصال من قواعدهم الشائعة وأن فيما ذكره تكلفات لانه تصرف فى النظم بالتقديم والتأخير وأطلق ماهو للكل على الجزء فتدبر (فلما أخذتهم الرجفة) اختلفوا فى الرجفة قيل انها رجفة أوجبت الموت وقيل ان تلك الرجفة ما كانت موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الحالة المهيبة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين منهم مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فعند ذلك بكى ودعا فكشف الله عنهم تلك الرجفة كذا ذكره الامام الرازى فى هذه السورة وذكر فى سورة البقرة فى قوله تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون حيث قال وللمفسرين فى الصاعقة قولان الاول انها هى الموت وهو قول الحسن وقتادة والقول الثانى وهو قول المحققين ان الصاعقة هى سبب الموت ولذلك قال فى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة واختلفوا فى ذلك السبب أى شئ كان على ثلاثة أوجه أحدها انها نار من السماء أحرقتهم وثانيها صيحة جاءت من السماء وثالثها ارسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين انتهى كلامه (أقول) لايخفى عليك ان ماذكره فى سورة البقرة يخالف ما فى هذه السورة لانه فى سورة البقرة أشعر بانحصار المعنى للصاعقة فى قولين اما الموت نفسه واما سبب موت أوجب الموت وفى هذه السورة بين القولين بأنه اما موت أو رجفة لم توجب الموت تامل فانه دقيق وبالتأمل حقيق روى انه تعالى أمره ان يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وروى انه لم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله اليه أن يختار من الشبان فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فذهبوا الى الميقات اختلفوا فى هذا الميقات بوجوه الاول انه ميقات التكليم الذى سأل موسى فيه الرؤية لنفسه كما ذكر فى الآية المتقدمة فلما دنوا من الجبل غشيته غمامة فدخل بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فعند ذلك أخذتهم الرجفة وقال موسى رب لوشئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا والمراد منه قولهم أرنا الله جهرة فعلى هذا يكون طالبوا الرؤية بعضهم الوجه الثانى ان المراد من هذا الميقات ميقات مغاير لميقات الكلام وطلب الرؤية وبيانه ان قوم موسى لما عبدوا العجل ثم تابوا أمر الله تعالى موسى أن يجمع السبعين ويحضروا موضعا يظهرون فيه تلك التوبة فاوحى الله الى تلك الارض فرجفت بهم فعند ذلك قال موسى رب لوشئت أهلكتهم من قبل واياى الآية وانما رجفت بهم مع انهم ماعبدوا العجل لانهم لما خرجوا الى الميقات ليتوبوا دعوا ربهم فقالوا أعطنا مالم تعط أحدا قبلنا ولا تعطيه أحدا بعدنا فانكر الله عليهم ذلك القول فأخذتهم الرجفة (أقول) كيف يعطيهم مسئلتهم هذه وقد خص الله بها أمة محمد الوجه الثالث ماروى عن على رضى الله عنه ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنادى (٣) هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى قالوا انه هو الذى قتل هرون فاختار موسى قومه سبعين رجلا ذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى فقال ماقتلنى أحد فأخذتهم الرجفة هنالك هذا واختار الكشاف الوجه الاول وأورد عليه انه لم يذكر جناية عبادة العجل بعد تمام قصة الميقات وطلب الرؤية لاجل

اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض عرقا انتهت النعوت التى اتفق عليها أهل الملكوت والجبروت والتى أردنا ايرادها فى هذا المختصر من غرر المآثر وزهر المناقب والمفاخر وشموس الفضائل التى تتحير فيها البصائر وكرائم الاخلاق التى يعجز عن احصائها كل دائر وسائر وتلك قل من كل وغيض من فيض والا فالانتهاء الى ذلك الامد والاستقصاء فى ذلك المقصد لايحصل لاحد الا لمانحها الفرد الاحد الصمد وقد جعلناها فاتحة وزيادة على الاصل وهو النسخة الكبرى بل تفاءلنا بذكرها رجاء أن ينزل علينا ربنا الرحمن سبحانه بذكرها رحمته فى الفاتحة والخاتمة وما بينهما نعمة أبدية دائمة فله الحمد سبحانه فى الاولى والآخرة وصلى الله تعالى على حبيبه مادار دائر وسارت سابلة وسائر *(بصيرة)* فى ان السلف والخلف لم ينفكوا

(٣) الى سفح جبل فنادى الخ هكذا فى أصله وحرر اه

القوم وذكر أولا طلب موسى الرؤية وخروره صعقا من غير تعرض لحالهم وأخر طلبهم الرؤية وأخذ الصاعقة اياهم من غير تعرض لحال موسى (أقول) وأيضا يرد عليه ان القصص الواردة في هذا الباب تدل على ان سبب رجفتهم اما نار من السماء فأحرقتهم أو صيحة جاءت من السماء أو ان الله أرسل جنودا فسمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وأما سبب صعق موسى فتجلي الله تعالى للجبل والكشاف جعل سبب صعق موسى ورجفة قومه واحدا وغير ذلك من الاشكالات الواردة عليه فمن هذا ذهب الاكثرون الى ان هذا الميقات مغاير للاول فاختاروا الوجه الثاني الذي ذكرته ويشير كلام الامام محيي السنة الى اختيار الثاني والامام الرازي رجح الوجه الثاني وضعف الاول (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي) والمعنى على ما قيل انه عليه السلام تمنى هلاكهم وهلاك نفسه قبل ان يرى ما يرى بسبب جرائم قومه سواء كان ذلك الهلاك بسبب أو بلا سبب على ما فهم من تفسير القاضي وبعض حواشيه أو أراد به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر فترحمت عليهم بالانقاذ منهما ولو ترحمت عليهم مرة أخرى فهو من مقتضى عميم احسانك (أقول) ذهب الكشاف الى انه عليه السلام تمنى هلاكه وهلاك قومه واقتفى القاضي أثره لكن قوله فيما بعده أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يأباه ظاهرا لأن تمني الهلاك بلا سبب او بسبب ثم استجابه لا يلتئم حسن الالتئام فالاولى الوجه الثاني قال المولى سنان في حاشية البيضاوي جعل المعنى على التمني لخلوه بدونه عن الافادة لكن لا يجعل لو للتمني والالم يحتج الى الجواب بل بمعونة المقام الى آخره (أقول) قوله لخلوه عن الافادة بدونه غير صحيح على اطلاقه كما يشهد به الوجه الثاني في بيان المعنى وأيضا قوله والالم يحتج الى الجواب محل بحث لان التمني أيضا يحتاج الى الجواب فتأمل (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) قال المبرد استفهام استعطاف أي لا تهلكنا وقد علم موسى ان الله تعالى أعدل من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره كذا ذكره الامام محيي السنة أي لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية بناء على الوجه الاول من الوجوه الثلاثة وأما على الوجه الثاني الذي وجهه العلماء فالمراد من فعل السفهاء عبادة العجل (ان هي الا فتنتك) أي التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا ابتلاؤك أضللت بها قوما حيث خلق في العجل خوار فزاغوا أو يقال اسمع السبعون كلاما فطلبوا الرؤية على اختلاف الروايتين (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا) مولانا القائم بأمرنا (فاغفر لنا) أقول وانما أدخل موسى عليه السلام نفسه النفيسة في صيغة المذنبين رجاء أن يرجو ابه وغرضه الانكسار والخضوع مع جناب الملك الجبار (وارحمنا وأنت خير الغافرين) لانه تعالى يغفر السيئة ويبدلها حسنة (واكتب) أوجب (لنا في هذه الدنيا حسنة) أي حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفي الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك وهاديهود اذا رجع وتاب ولبعضهم

يا راكب الذنب هدهد * واسجد كأنك هدهد

فمن عهد عزة الربوبية العفو والصفح عن العبيد المذنبين فلذلك جيء في طلب العفو بحرف التفريع ومن عهد ذلة العبودية الاستقبال بالتوبة والتضرع والخشوع واليه أشار بقوله انا هدنا اليك فاذا اجتمعا فلا سبب أقوى منهما (أقول) لكن الانسب بالمقام تقديم عهد العبودية الا انه قدم

من اظهار البهجة والسرور في شهر ولادة بدر البدور وبحر البحور وغير ذلك مما يناسبه ويقاربه من الامور اعلم أيها المشتاق الى جمال شمس الضحى وبدر الدجى والحبيب الابهى والحب الاسنى صلى الله تعالى عليه عدد الرمال والحصى أنه من أصدق امارات كمال الايمان وأبهى العلامات على صدق الايقان أن يستغرق المؤمن في حبه عليه التحيات بل يكون هو صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وولده ووالده والوالدة والقرابات كما نطق به كتاب رب البريات وان يجعل الشهر الذي ولد فيه عليه الصلوات عيدا وسورا وسرورا لاسيما العترة الطاهرة فان ذلك واجب عليهم أو فريضة وعندي في التحقيق ان اطلاق العيد على ليلة طلوع هذا النجم السعيد حقيقة وعلى سائرها مجاز وفي المواهب اللدنية ما حاصله ان أبا لهب رؤي في المنام فسئل عن أطواره في العذاب الاليم فقال اني مقيم في ألم الجحيم الا ان عذابي يخفف في ليلة كل اثنين وأمص اصبعي فيجري منه ماء الى حلقومي وأدفع به عطشي وكربي وسبب ذلك انه لما

الاوّل لشرفه وعظيم درجته (قال عذابى أصيب به من أشاء) من خلقى (ورحمتى وسعت كل شئ) عمت كل بر وفاجر فى الدنيا وهى خاصة يوم القيامة بالمتقين قال عطية العوفى وسعت كل شئ ولكن لاتجب الا للذين يتقون وذلك ان الكافرين يرزقون ويدفع عنهم بالمؤمنين لسعة رحمة الله تعالى للمؤمنين فيعيشون فيها فاذا صاروا الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضىء بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه (فسأكتبها) فسأثبتها فى الآخرة أو فا كتبها كتبة خاصة منكم يا بنى اسرائيل (للذين يتقون) المعاصى (ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) اعلم ان تكاليف الله تعالى قسمان أحدهما تروك واليه أشار بقوله للذين يتقون والآخر افعال وهى اما متوجهة الى مال الانسان وهو الزكاة المشار اليها بقوله ويؤتون الزكاة أو على نفسه فيدخل فيه ما يجب على الانسان علما وعملا أما العلم فالمعرفة واما العمل فالاقرار باللسان والعمل بالاركان فيدخل فيها الصلاة والى هذا المجموع أشار بقوله والذين هم بآياتنا يؤمنون هذا حاصل ما أفاده الامام (الذين يتبعون الرسول) أى محمدا ذكر عليه السلام بصفات تسع * الاولى الرسالة الى الخلق لتبليغ الاحكام وستقف على سائرها على الترتيب الذين اما بدل من الذين يتقون أو خبر مبتدا محذوف وهو هم * اعلم أنه تعالى لما بين انه من صفة من يكتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة التقوى وايتاء الزكاة والايمان بالآيات ضم الى ذلك أن يكون من صفته اتباع النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل كأنّ هذه الكتبة لاتحصل الا بذلك الاتباع على ما اخترناه وقال بعضهم المراد من ذلك أن يتبعوه باعتقاد نبوّته من حيث وجدوا صفته فى التوراة ومن حيث انهم سيجدونه فى الانجيل وقال بعضهم بل من لحق من بنى اسرائيل أيام الرسول فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لايكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوا الرسول النبى الامى فعلى هذا الوجه الثانى يكون المراد من قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة الى قوله المفلحون من لحق محمدا عليه السلام من بنى اسرائيل (فان قلت) كيف ينطبق هذا جوابا عن دعاء موسى عليه السلام فالجواب منقحا عن جواب الكشاف بأن موسى عليه السلام لما دعا لنفسه ولبنى اسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بنى اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله كرؤية الاجسام وعلى عنادهم بعد ما رأوا الآيات العظام التى أجراها الله على يد موسى عليه السلام وعرّض بذلك فى قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا بهم وترغيبا لبنى اسرائيل فى اخلاص الايمان بما جاء به موسى والعمل الصالح وفى أن يحشروا مع أعقابهم المؤمنين الخالصين من أمة محمد ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم عن الرحمة التى وسعت كل شئ فتأمل (النبى) وهو يدل على كونه رفيع القدر عند الله تعالى وهو الصفة الثانية من الصفات التسع (الامى) الذى لايكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله احدى معجزاته وهذه الصفة الثالثة (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) باسمه وصفاته الجليلة الكاملة وذلك من أعظم الدلائل على حقية نبوّته وهذا هو الوصف الرابع (يأمرهم بالمعروف) قال الزجاج يجوز أن يكون قوله يأمرهم بالمعروف استئنافا ويجوز أن يكون المعنى يجدون

مكتوبا

ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة الاثنين فى ربيع الاوّل أعتقت جاريتى ثويبة بسرور ولادته وجعلتها مرضعة له عليه الصلاة والسلام ونقل عن الجزرى ما معناه ان أبا لهب وهو الذى نزل فى ذمه القرآن اذا كان حاله كذلك بسبب مسرته فى تلك الليلة فما ظنك بموحد سر فى جميع عمره بمولده صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل يومه وليلته عيدا ونورا ومسرة وحبورا فلعمر الله عز وجل انّ جزاء هذا المؤمن من الله الكريم أن يدخله جنة النعيم بفضله العميم انتهى النقل * ثم اعلم ان السلف والخلف لم يزالوا من اتخاذ شهر ميلاد خير العباد أعيادا واحتراقهم باظهار الاشواق الى جماله أكبادا مجتمعين فى المجالس العالية وأفرادا باكين بقراءة كتاب مولده موقدين فى الحشا نار المحبة ايقادا فرحم الله تعالى امرأ أبرز المسرات وأظهر المبرات فى تلك الاوقات والساعات تقربا الى رب العباد ورغما لاهل النفاق والعناد وقد جرب ان من أظهر السرور ورفع القدور فى تلك الايام والليالى محبة لنور النور ونور الصدور أمن فى تلك السنة

مكتوبا عندهم انه يامرهم بالمعروف وجامع الامر بالمعروف محصورة في قوله عليه السلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله لان الموجود اما واجب لذاته أو ممكن لذاته والواجب لذاته هو الله تعالى ولا معروف أشرف من تعظيمه واظهار عبوديته والخشوع على باب عزته وغير ذلك مما يليق بذاته ٣ واما الممكن لذاته فكله مخلوق لله تعالى اما اذا لم يكن حيوانا ففي كل ذرة منه أسرار عجيبة ودلائل ظاهرة على وجوده تعالى فيجب أن ينظر اليه بعين الاحترام واما اذا كان من أشرف المخلوقات كالانبياء والاولياء والصالحين فهم أولى بالشفقة والاحترام واما الحيوانات فكلها مما يلزم فيها الشفقة لما ذكرنا في صدر الكلام فثبت أن قوله عليه السلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله كلمة جامعة لجميع جهات الامر بالمعروف هذا حاصل ما ذكره الامام في تفسيره الكبير هذه هي الصفة الخامسة للرسول عليه السلام (وينهاهم عن المنكر) ينهاهم عن عبادة الاوثان والقول في صفات الله تعالى بغير علم والكفر بما أنزل على النبيين وقطع الرحم وعقوق الوالدين وهذه هي الصفة السادسة (ويحل لهم الطيبات) ماحرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها هذا هو الوصف السابع (ويحرم عليهم الخبائث) مايستخبث من نحو الدم ولحم الخنزير والميتة وما أهل لغير الله أو ماخبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما كذا في الكشاف قال العلامة التفتازاني الاولى جعل ما أهل لغير الله مما خبث في الحكم انتهى ولايخفى عليك ان المراد من الاستخباث ان كان استخباث جميع الناس فجميع الناس لايستخبث الخنزير فيلزم أيضا جعله مما خبث في الحكم وان كان المراد الاستخباث الكائن في الطبائع السليمة فلاشك ان الطبع السليم يستخبث ما أهل لغير الله تعالى تامل هذه هي الصفة الثامنة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وغيرها كذا ذكره البيضاوي وفي كلامه اشارة الى أن في الكلام استعارات ثلاثا الوضع والاصر والاغلال والوضع ترشيح لهما وأما المفهوم من كلام الكشاف فأن يكون الكل استعارة تمثيلية الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله هذه هي الصفة التاسعة (فالذين آمنوا به وعزروه) أي وقروه كذا ذكر الامام الرازي وأصل العزر المنع ومنه التعزير وعلى هذا قال الكشاف وعزروه أي منعوه حتى لايقوى عليه عدو (أقول) كأن الامام فسره بلازم معناه (ونصروه واتبعوا النور) أي القرآن (الذي أنزل معه) أي أنزل مع نبوته فيكون مجازا بالحذف واستعير النور للقرآن تشبيها له به لانه كاشف الحقائق مظهر لها كما ان النور كذلك (أولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية تم جواب دعاء موسى عليه السلام اعلم نور الله تعالى قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك وتقبل من هذا العبد العاصي ذلك المسعى واكال لي بسببه من الحسنات بالكيل الاوفى أنك اذا نظرت في هذه الآيات بعين العيان وجدت من أنواع الاكرام والالطاف والبر والاحسان لمحمد المبعوث بخير الاديان ما فهمه خارج عن مقدور الانسان فانظر أيها الحريص على تشريف خير الانام ان الملك العلام ذكره عليه السلام عصر مكالمته مع موسى بمزيد الانعام حين حان العذاب للمتجاسرين بطلب رؤية الملك المنعام والحال ان موسى دعا ربه بما دعا من كتابة الحسنة في الاولى والاخرى

من البليات والمكروهات وصلى الله تعالى على أفضل المخلوقات وأكمل البريات (وحكي) أن الملك المظفر التركماني صاحب اربل كان يجعل الشهر الذي وجدت فيه النسمة الكبرى ومن عرج الى السموات العلا كله عيدا ويتخذ أيامها ولياليها ضيافات للعوام والخواص والسادات وكان يرتحل اليه فيه من الاطراف العلماء والاشراف وكان حسن سمته رحمه الله ولطافة طوره في ذلك المسعى خارجا عن حد الاحاطة وكان جل همته ومعظم نيته بصدق طويته أن يكون ماصرفه في عشقه ومحبته صلى الله تعالى عليه وسلم من أطيب ماحوته خزانته وحسب المصروف في اليوم المعروف له فوجد ثلثمائة ألف من الذهب الابريز ابتغاء لوجه الله الملك العزيز وذكر ابن الجوزي في تاريخه ما حاصله اني سمعت ممن حضر مائدة الملك المظفر في ذلك اليوم المعطر أنها زينت بأنفس المأكولات وأعذب المشروبات وكان فيها مائة ألف صحفة من ألوان الاطعمة وثلاثون ألف طبق مملوءة بالحلويات القندية وعشرة آلاف من

لنفسه وللسبعين الحاضرين في الميقات والحق سبحانه أجابه بذكر كتابة رحمته لمن تبع محمدا
باعتقاد حقية نبوته وذكره بتسع صفات من صفات الكمال وكأن الله تعالى يقول لا اعتناء لنا
بكم أيها التائبون حتى تتبعوا حبيبي محمدا باعتقاد حقيته كما تجدونه في التوراة والانجيل هذا
على التفسير الاول أو كأنه سبحانه يقول هذه الكتابة مخصوصة لمن لحق منكم محمدا وآمن به
كعبد الله بن سلام وغيره بناء على التفسير الثاني للمتابعة للنبي الامي الذي مر ذكره فأنت ترى أن
الله تعالى لم يجعل تكليمه لموسى بأنواع الخيرات والمبرات خاليا عن ذكر حبيبه خير البريات كما
هو مقتضى المحبة ونثر على موسى درر أوصاف ذكر حبيبه وزاد الله تعالى بذكره نورا على نور
وجعل متابعته ملاك الامر كله ولك أن تقول سكن القهر عن المعاندين المتجاسرين بذكره
تدبر فيه أيها المحب للحبيب الكريم والله سبحانه اعتنى بذكره ومتابعته وتوقيره وتعظيمه والوعد
بالفلاح لتابعيه عند المكالمة لموسى وبينه وبين موسى مقدار ألف وستمائة سنة ففي هذه الآيات
مأخذ عظيم لبيان فضل مفخر الموجودات لانك اذا تأملت أخرجت منها فضائل لا تسعها
المجلدات الأنى ببنتها مع قلة رأس مالي في العرفان كيف وبضاعتي مزجاة والى الله المرجع
رفيع الدرجات قال الله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) حال من المجرور
في اليكم مفيدا استغراق الخطاب لجميع الناس فيقطع احتمال أن تكون اللام للعهد أو
الاستغراق العرفي (أقول) ويشبه أن يكون الكلام من قبيل المفسر الذي لا يحتمل التخصيص
فقوله تعالى يا أيها الناس خطاب عام وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مبعوثا الى عامة
الناس وسائر الرسل الى أقوامهم وأما تخصيص الناس بالذكر مع انه عليه السلام مرسل الى كافة
الجن أيضا فلان الآية نزلت ردا للذين يزعمون انه عليه السلام مبعوث الى العرب خاصة (الذي
له ملك السموات والارض) نعت لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه
(لا اله الا هو) ذهب الزمخشري الى انه بدل من الصلة وهي له ملك السموات والارض وفي البدل
بيان للمبدل منه لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة والابدال لا ينافي البيان كيف
ونقل عن سيبويه ان البدل بيان ولم يجوز كونه عطف بيان لتغاير المدلولين وكلامه مشعر بانه بدل
اشتمال لكنه يكون من التوابع التي لا محل لها من الاعراب وفيه انه نقل عن أبي حيان ان ابدال
الجمل من الجمل الغير المشتركة في عامل لا نعرفه قال سنان في حواشيه على البيضاوي ان كلام أبي
حيان على ان البدل من التوابع وقد عرفت بكل ثان أعرب باعراب سابقه ولا محل للصلة من
الاعراب ويجاب بان الكلمة مقيدة بما اذا كان للمتبوع محل منه انتهى كلامه (أقول) لا يخفى
عليك ان مثل هذه العناية في التعريفات لا تجدي نفعا لان الكلمة المأخوذة في التعريف لا بد من
اشتمالها على جميع أفراد المعرف والبدل بجميع أصنافه من أفراد المعرف فتأمل (يحيي ويميت)
قال الكشاف وكذلك يحيي ويميت وفيه بيان لاختصاصه بالالوهية لانه لا يقدر على الاحياء
والاماتة غيره قال البيضاوي انه مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية قال سنان في حاشيته وعليه منع
ظاهر وهو أن هذا انما يدل على ثبوتها لله لا على اختصاصها به الا أن يقال مبني ما قاله على تقدير
المبتدا مع اعتبار التقديم والتأخير أي هو يحيي ويميت انتهى (أقول) كأنه توهم ان هذا
الاختصاص مستفاد من قوله تعالى يحيي ويميت كما يشعر به جوابه بل الاختصاص مستفاد من

قوله

الدجاجات المشوية وغير ذلك
مما لا يحصى وقد ألف الحافظ
ابن دحية كتاب مولده صلى
الله تعالى عليه وسلم وعظم
ونصر وأهداه الى الملك
المظفر فأعطاه ألف دينار
ملكية جائزة لهذه الخدمة
العلية (وحكي) عن وهب بن
منبه ما مفهومه كان في بني
اسرائيل رجل عصى الله
عز وجل مائة سنة فلما مضى
لسبيله وشرع أهله في نعيه
وعويله اتفقت كلمة بني
اسرائيل على القائه في
المزبلة قصدا الى تذليله
لتساهله في حق حقيره وجليله
فأمر الله عز وجل موسى
باخراجه من المزبلة والصلاة
عليه فعند ذلك دعا موسى
ربه وناجاه وقال يارباه ان
بني اسرائيل شهدوا على
عصيانه ربه سبحانه مائة
سنة فاوحى اليه ان الامر كما
بدا لكنه كان من عادة هذا
العبد عند قراءة التوراة
أنه كلما رأى اسم محمد فيها قبله
وصلى عليه ومن أحب
حبيبنا واشتاق اليه لا نخزيه
بعذابنا بل نغفر ذنوبه وندفع
كروبه ونسكنه في جنة
الخلد ونزوجه بسبعين
زوجة من الحور العين
(وروى) أن عمرو بن
الليث بعد أن لقي رب
الانام رؤي في المنام فقيل
له ما فعل بك الملك العلام

قوله تعالى له ملك السموات والارض ومن قوله لا اله الا هو وقوله يحيي ويميت زيادة تقرير لاختصاصه بالالوهية لانه مستقل بالافادة كما صرح به القاضي ويشير اليه تعليل الكشاف بقوله لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فتدبر (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته) كلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له كذا ذكره البيضاوي قال بعضهم يعني لم يقل وبي بدل ورسوله وانما جعل هذا من العدول مع سبق لفظ الرسول لانه حد أوسط وبي أصغر والاول في حكم السقوط فتأمل انتهى كلامه (أقول) لا يخفى عليك انه ليس هنالك حد أوسط لان الحد الاوسط هو المكرر بين مقدمتي القياس ولم يكن هنا تكرر كما ترى وبي وما يقوم مقامه حد أصغر كما ذكره فالاولى أن يقال المراد العدول عن التكلم الذي مبنى أول الكلام عليه فلا يرد ما أورد تدبر (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة كما ذكره القاضي (أقول) ففيها افضل باهر لمحمد صلى الله عليه وسلم حيث جعل خدمته في الله تعالى أكثر فكلما كان الشغل أكثر يكون أمره أشق وأفضل الاعمال أحمزها وأيضا في كثرة المستجيبين أثر في علو شأن المتبوع وأيضا في تكرر اضافته عليه السلام اليه سبحانه ما فيه وكذلك في نعته بنعوت جليلة قال الله تعالى (خذ العفو) وهو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أعمال الناس وأخلاقهم وتسهل من غير كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم كقوله عليه السلام يسروا قال الشاعر

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

(وامر بالعرف) المعروف المستحسن (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئهم بمثل أفعالهم روى أنه لما نزلت هذه الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ربي ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها قال القاضي رحمه الله وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق وآمرة للرسول باستجماعها انتهى (أقول) ولا شك أنه عليه السلام امتثل بأمرها وأجاب بمضمونها فالآية الكريمة مشعرة بمكارم أخلاقه ومحاسن أوصافه وسعة جنانه كيف لا وهو مستجمع لجميع الفضائل النفسانية فمن يكون أشرف وأكمل عند الله ممن استجمع فيه مكارم الاخلاق بجملتها قال الله تعالى (واذكر ربك في نفسك) المراد بذكره في نفسه كونه عارفا بمعاني الاذكار التي يقولها بلسانه مستحضر الصفات الكمال والعز والعظمة والجلال وذلك لان الذكر باللسان عاريا عن الذكر بالقلب كأنه عديم الفائدة كذا استفيد من كلام الامام الرازي وعن مجاهد وابن جريج المراد من الذكر في النفس ذكره تعالى في الصدور (أقول) أي في القلوب وهذا التفسير أوقع في القلوب (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا على أن يكون المصدر بمعنى الفاعل حالان من فاعل اذكر قال الزجاج أصل خيفة خوفة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما فوق السر دون الجهر فانه أدخل في الخشوع والاخلاص كذا ذكر القاضي مقتديا بالكشاف قال الامام الرازي المراد أن يقع الذكر بحيث يكون متوسطا بين الجهر والمخافتة كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت

قال غفر لي الذنوب والآثام وسئل عن سبب الغفران مع كثرة العصيان فقال كنت يوما على جبل وعسكري في أرجائه منتشرون كالجراد بل كالاعلام والاوتاد فتمنيت وقلت أن لو كنت في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجاهدت بين يديه الكريمتين ونصرته وعزرته فذلك التمني سبب لغفراني والتجاوز عن عصياني *(تنبيه)* ذكر الامام العلامة الشيخ نجم الدين الغيطي في كتابه بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الاولين والآخرين جرت العادة بانه اذا ساق الواعظ والمداح مولده صلى الله تعالى عليه وسلم وذكروا وضع أمه له صلى الله تعالى عليه وسلم قام أكثر الناس عند ذلك تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها لكن لا بأس به لاجل التعظيم بل هو فعل حسن ممن غلب عليه الحب والاجلال لذلك النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم * وما أحسن قول الامام البليغ حسان زمانه أبو زكريا يحيي الصرصري الحنبلي من بعض قصائده النبوية

بها الآية قال بعض الافاضل ان المعطوف على ماذكره القاضي محذوف والعاطف داخل على
صفة لموصوف محذوف مع حذف قرين تلك الصفة أيضا وهذا تمحل ظاهر فالوجه أن يعطف على
في نفسك أي ذكرا في نفسك أي في صدرك وذكرا بلسانك دون الجهر فالمعنى على تقسيم ذكر
الله المأمور به الى ذكر نفسي ولفظي انتهى كلامه (أقول) نعم الوجه ما قال لكن لا يخفى عليك انه
نقح هذا الوجه عن تفسير مجاهد وابن جريج وبعض اشارات الامام وان كان في هذا الوجه أيضا
نوع تكلف تمحل القاضي الا أن هذا أقل والقاضي لما اختار كون المراد من الآية ذكره تعالى
على وجه الاخلاص بالتضرع والخوف مع كون الذكر بين السر والجهر كما علمه أكثر المفسرين
لا ماذكره من قسمي الذكر احتاج الى هذه التقديرات فلم يختر ماذكر من الوجه فلا يرد عليه
أنه تمحل ظاهر الا أنه بقي عليه انه لو قدر المعطوف وذكرا فوق السر دون الجهر لكان أوفق بنظم
القرآن تأمل (بالغدو والآصال) وفي الغدو وجهان الوجه الاول انه مصدر يقال غدوت
غدوا ثم سمي وقت الغدو غدوا كما يقال دنا الصباح أي وقته فعلى هذا يكون المعنى اذكر في أوقات
والقول الثاني أن يكون الغدو جمع غدوة قال أبو الليث الغدو جمع غدوة مثل الغدوات فعلى
هذا المعنى ظاهر قياسا على الاول قال الفراء الآصال جمع أصل وهو جمع أصيل والاصيل
في اللغة ما بين العصر الى الليل وتخصيص الذكر بهذه الاوقات لشرفها وقال بعضهم المراد من
الغدو والآصال دوام ذكر الله تعالى كما قال ابن عباس في قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم المراد دوام الذكر (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله تعالى قال
الامام الرازي ان قوله تعالى بالغدو والآصال دل على أنه يجب أن يكون الذكر حاصلا في جميع
الاوقات وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائما وأن
لا يغفل الانسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه بقدر الطاقة البشرية ثم
قال واعلم ان قوله تعالى واذكر ربك في نفسك وان كان ظاهره خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا أنه عام في كل المكلفين ولكل أحد درجة مخصوصة ومرتبة معينة حسب استعداد جوهر
نفسه الناطقة كما قال الله تعالى في صفة الملائكة وما منا الا له مقام انتهى كلامه (أقول) لا يخفى
عليك بعد هذه التحقيقات انه اذا كان المراد بالغدو والآصال الاشارة الى دوام ذكر الله تعالى
فلا بد أن يكون المراد من الذكر في النفس الذكر في القلب كما ذهب اليه مجاهد وابن جريج لان
دوام الذكر لا يمكن الا بالذكر القلبي كما أشير اليه في بعض كتب أصحاب القلوب وقال الامام الرازي
انه تعالى قال واذكر ربك في نفسك ولم يقل واذكر الهك ولا سائر الاسماء وانما سماه في هذا المقام باسم
كونه ربا وأضاف نفسه اليه لأن كل ذلك يدل على نهاية الرحمة والتقريب والفضل والاحسان
انتهى كلامه (فنقول) بلطف الله تعالى وتوفيقه انه تعالى لما أمر حبيبه بتزيين ظاهره وباطنه
بذكره على الدوام ناسب كل المناسبة أن يضيف نفسه الكريمة اليه لانه لما حصل دوام الذكر فلا بد أن
تتجلى عليه أنوار الحق فيحصل قرب أي قرب فتشتد المناسبة بينه وبين ربه تعالى فيضاف ويضف
كما قال تعالى في الكلام القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان
سالني أعطيته ولان استعاذني لاعيذنه رواه البخاري لكن طويت أول الحديث لمساس كلامنا

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب
على فضة من خط أحسن من كتب
وأن ينهض الاشراف عند سماعه
قياما صفوفا أو جثيا على الركب
أما الله تعظيما له كتب اسمه
على عرشه يا رتبة سمت الرتب
وقد اتفق أن منشدا أنشد هذه القصيدة في ختم درس شيخ الاسلام بقية المجتهدين الاعلام تقي الدين أبي الحسن علي السبكي رحمه الله تعالى وكان القضاة والاعيان مجتمعين عنده فلما وصل المنشد الى قوله * وان ينهض الاشراف عند سماعه * الى آخر البيت قام الشيخ في الحال على قدميه امتثالا لما ذكره الصرصري وقام الناس كلهم وحصلت ساعة طيبة ذكر ذلك ولده التاج السبكي في ترجمته في طبقاته انتهى ما اردنا نقله من كلام الشيخ نجم الدين الغيطي
(فائدة) جليلة في الفضل العتيد في حق النبي الكريم الرشيد ولا يخفى مناسبتها لما قبلها على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قال ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري أنبأني غير

فى بعضه فهنا كلمات لا يسعها هذا المقام فهذه الآية الكريمة آمرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدوام الذكر بحيث تضمحل الاغيار كما أن الآية السابقة آمرة بجميع مكارم الاخلاق ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الامر بكمال القبول فيستجيبه غاية الاستجابة فمما ذكرنا من التحقيقات ظهر لك ان الله تعالى كيف فضل حبيبه بالآيات وكيف قربه اليه بأنواع الفضل والاحسانات بحيث أراد الحق سبحانه أن لا يعزب عن ظاهره وباطنه عليه السلام شئ من مكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف ولا يخفى ما فى نظم واذكر ربك فى نفسك من السر العظيم لاهله وغير ذلك من الحماية والكرامة يظهر بالتأمل فيما ذكرنا وفى بدء الله تعالى أول السورة بمخاطبة الحبيب وذكره حيث قال المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج وفى ختمه بخطابه وذكره نوع من التفخيم يعرفه أصحاب الطباع وفى هذه السورة الكريمة فضائل أخر غير ما ذكرنا الآن فيما ذكرنا كفاية لمن اكتفى ولمن تجلى له حب المصطفى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى نصر عبده وهزم الاحزاب وحده والصلاة على حبيبه الذى أنزل عليه للاكرام جنده (الفضائل المتعلقة بسورة الانفال) قال الله تعالى (يسألونك عن الانفال) والمراد من الانفال الغنائم وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى وفضل قيل وانما سألوا عن الغنائم لانها كانت حراما على من قبلهم كما قال عليه السلام لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤس قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها (قل الانفال لله والرسول) أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله قيل سبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له بلاء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء (فاتقوا الله) فى الاختلاف والمشاجرة (وأصلحوا ذات بينكم) أحوال بينكم أى أصلحوا أحوال ما بينكم حتى تكون أحوال ود وألفة لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك يريدون ما فى الاناء من الشراب (وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فان ذلك موجب الايمان أى وان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بطاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان فليعلم أن الرب تعالى أشار فى آية واحدة الى تعظيم حبيبه واعلاء قدره مرتين الاولى فى قوله تعالى قل الانفال لله والرسول فان الاصحاب لما سألوا لمن الحكم فى تقسيم الغنائم أجابهم بذلك ولو قال سبحانه قل الانفال للرسول لكفى ولكن الله تعالى لما أراد تعظيم رسوله وتشريفه بمقارنة اسمه باسمه قال لله والرسول والثانية فى قوله تعالى وأطيعوا الله ورسوله حيث قرن طاعته بطاعته بواو الجمع ولا يجوز ذلك فى غير النبى عليه السلام وذكره بذكره وأضافه عليه السلام اليه تعالى كما مر مرارا قال الله تعالى (اذ تستغيثون ربكم) أغثنى أى فرج عنى كذا فى التفسير الكبير والعامل فيه اما قوله تعالى ويبطل فى الآية السابقة فتكون هذه الآية متصلة بما قبلها أو المقدر وهو اذكروا فتكون مستأنفة وفى قوله تعالى اذ تستغيثون قولان الاول ان هذه الاستغاثة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان

واحد عن القاضى ابن الصائغ الدمشقى قال حدثنى سيف قليج المنصورى قال أرسلنى الملك المنصور قلاون الى ملك المغرب أو الى ملك الافرنج فى شفاعة فقبلها وعرض على الاقامة فأبيت فقال لأتحفنك بتحفة سنية فأخرج لى صندوقا مصفحا بذهب فأخرج منه مقلمة ذهب فاخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن وأوصانا آباؤنا عن آبائهم الى قيصر ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا ويؤيد ذلك ما روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاءه جواب هرقل قال ثبت الله ملكه والله تعالى أعلم انتهى كلامه

(الباب الاول)

فى بيان خلقة نور نور العيون وانها مقدمة على كل الشؤن اعلم أيها المتشرف بحب الحبيب والرسول المؤدب بأدب الملك القريب انه ورد فى الآثار وانتشر فى الاخبار ما محصله أنه لما أراد الملك الجبار ان يخلق

يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف ونظر الى أصحابه وهم ثلثمائة ونيف فاستقبل الى القبلة ومدّ يديه وهو يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ورده أبو بكر ثم التزمه ثم قال كفاك يا نبي الله مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية القول الثاني كانت من جماعة المسلمين على ماروى فعلى ماروى من كون الاستغاثة من النبي صلى الله عليه وسلم اطلاق صيغ الجمع عليه لكونه كالجماعة عند الله تعالى لكنه لم يثبت فيما عندنا من التفاسير (فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) قوله تعالى اني ممدكم أصله بأني ممدكم حذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب واختلف في ان الملائكة حين نزلوا هل كانوا يقاتلون أم يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين فقط فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخوا اذنابها بين أكتافهم فقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وقيل لم يقاتلوا واقط وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك قوم ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقوله مردفين متبعين للمؤمنين أو بعضهم بعد بعض من أردفته اذا جئت بعده قال الشاعر اذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا أو متبعين بعضهم بعضا المؤمنين من أردفته اياه فردفه (وما جعله الله) أي الامداد بالملائكة (الا بشرى) بشارة (ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله) ليس النصر بقلة العدد ولا بكثرته ولا من جهة الملائكة ولكن النصر من عند الله (ان الله عزيز) العزيز الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر (حكيم) فيما يفعل من النصرة فيضعها في موضعها اعلم ان الله سبحانه أظهر في هذه الآية الكريمة برّه واحسانه وعونه وافضاله وتخصيصه عزيد اكرامه واجلاله في حق حبيبه وخير أوليائه حيث استجاب له بلا تأخير عن استدعائه وأعطاه النصرة بالملائكة ولم يعطها غيره كما مر في سورة آل عمران وكما سيجيء ان شاء الله تعالى وعظمه باطلاق صيغ الجمع عليه السلام وغير ذلك من الانعام قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) قال أبو عبيد استجيبوا معناه أجيبوا قال الشاعر * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله وسلامه عليه مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحى الي استجيبوا لله وللرسول قال ابن كعب لا جرم لا تدعوني الا أجبتك وفيه قولان أحدهما أنه مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني أن دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته (اذا دعاكم لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل ممات قال الشاعر

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وانما وحد ضمير دعاكم لان اجابة الرسول اجابة الله تعالى (أقول) أو تقول لان اجابة الحبيب اجابة المحب (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال سعيد بن جبير وعطاء يحول بين المؤمن

نور سيد الابرار قبض من الانوار المنسوبة الى جناب العزة وحضرة القربة قبضة وشرفه بالخطاب المستطاب بما معناه أيها النور كن عبدي محمدا وبحبي مخصصا فلبى النور ذلك الخطاب المسطور باحسن التلبية بالسمع والطاعة فصار عمودا من نور فاشتغل بالتحميد والتسبيح من تلك الساعة وذلك قبل أن يخلق الانس والجان بل قبل الامكنة والازمان وروى عن علي ابن أبي طالب أسد الله الغالب رضوان الله تعالى عليه ما معناه ان الله عز وجل خلق نور حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يخلق السموات والارض والعرش والحجب والجنة والنار وآدم وشيثا ونوحا وابراهيم وسليمان وموسى وعيسى بستمائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة ثم أوجد الله عز وجل اثني عشر حجابا حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المنة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب الهداية وحجاب النبوة وحجاب الرفعة وحجاب الطاعة وحجاب الشفاعة وبعد ما أبدع الله عز وجل

والكفر

والكفر وبين الكافر والايمان وقال الضحاك يحول بين الكافر والطاعة وبين المؤمن والمعصية وقال السدى يحول بين الانسان فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر الا باذنه وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال فى حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجبن جراءة وعن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك قالوا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال عليه السلام القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء كذا ذكر الامام محيي السنة فى التفسير (وأنكم اليه تحشرون) كانوا فيه ترغيب للعمل وتحذير عن الكسل ففيه تفخيم وتعظيم واجلال لنبينا صاحب الجمال والكمال من الله تعالى ذى الجلال من قران اسمه سبحانه باسمه ومن جعل استجابته مقرونة باستجابته تعالى وفى توحيد الضمير فى دعاكم ما فيه من الأسرار وفى اعادة الجار فى المعطوف ما يشعر بالاعتناء ويوضح جميع ما أوردناه حديث أبى هريرة الذى ذكرناه آنفا قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم لا يوجد تعظيما لك ولانه غير مستقيم فى الحكمة لان سنة الله تعالى وقضية حكمته أن لا يعذب قوما استئصالا ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم قال ابن عباس رضى الله عنهما قال الحرث بن عامر بن نوفل يا محمد والله انك لصادق بيننا ولا نتهمك ولكنا متى نؤمن غزانا العرب فنزل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أى مقيما بين أظهرهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وعن عبد الرحمن بن أبزى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فنزل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فنزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان من المسلمين بقية بمكة لم يهاجروا وكانوا يستغفرون الله ويصلون فلما هاجر المسلمون أيضا عذبهم الله تعالى بما عذب عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله على أمانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار (فنقول) اعلم جعل الله حبه وحب حبيبه أحب الينا من حب سواهما أن الله تعالى عظم أمر حبيبه فقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم نفى عنهم العذاب بشرف وجوده الكريم وأكد ذلك النفى وأدخله على المضارع الدال على التجدد والاستمرار ليدل ذلك على أن عذابهم منتف ما دام الحبيب فيهم ولو أبد الآبدين بخلاف امهاله بسبب الاستغفار لانه تعالى لم يؤكده ولم يذكر فيه ما ذكر فيه فذلك من الملهمات فى بيان تفضيل خير الموجودات (وما لهم أن لا يعذبهم الله) وأى شئ لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون قالوا لما هاجر المؤمنون الذين لم يقدروا على الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وما لهم أن لا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) هو رد لقولهم نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياؤه الا المتقون) والضمير راجع الى المسجد الحرام وقيل الى الله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن لا ولاية لهم عليه ولقد علمت مما تلى عليك ان فى الآية السابقة وما يليها أظهر الله تعالى تنويها

تلك الحجب أمر سبحانه نور حبيبه بالاقامة فى حجاب القدرة اثنى عشر ألف عام وكان ورده المنيف فى ذلك الموقف الوريف سبحان ربى الاعلى وبعدما نور ذلك المقام الاسنى بذكره عز وعلا فى تلك المدة نقل ذلك النور الى حجاب العظمة بالتعظيم والحبور وكان حزبه الشريف فى ذلك المنزل اللطيف سبحان عالم السر الخفى ومدة مكثه فيه احد عشر ألف سنة ثم ارتحل من ذلك المحل الاجل بامر الله عز وجل الى حجاب المنة فمن الله تعالى عليه باصناف المنن مقيما فيه عشرة آلاف سنة وكان ذكره الجميل فى تلك المنزلة العليا سبحان الرفيع الاعلى ثم نقل منه الى حجاب الرحمة بالرحمة والتبجيل فاشتغل فيه بالتسبيح والتهليل وكان ورده العظيم سبحان الرؤف الرحيم مقيما فيه تسعة آلاف سنة ثم نقل منه بالكرامة والسيادة الى حجاب السعادة وبعدما شرف ذلك المكان بالتمكن والحلول كان ذكره فيه سبحان من هو دائم لا يزول مقيما فيه ثمانية آلاف سنة ثم توجه الى حجاب الكرامة بالتفخيم والتكريم مشتغلا بالذكر

عظماوا كراما بليغا لحبيبه عليه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات واعلم أن فى هذه السورة الجليلة تعظيمات وتفخيمات لنبينا عليه السلام غير ماذكرنا لكنا لم نذكرها الاشتمال ماذكرنا عليها

تمت الفضائل المتعلقة بسورة الانفال

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أعز الاسلام بارسال حبيبه عليه الصلاة والسلام (الفضائل المتعلقة بسورة التوبة) قال الله تعالى (براءة من الله ورسوله) خبر مبتدا محذوف أى هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف والتقدير واصلة من الله ويسوغ أن يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بالصفة والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين) والمعنى أن الله ورسوله برئا عن العهد الذى عاهدتم به المشركين وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب فنقضوا الا ناسا منهم من بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين فامهلوا المشركين أربعة أشهر ليسيروا الى حيث شاؤا (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) أى سيروا فى الارض الى أن يمضى أربعة أشهر وقيل هو على الخطاب أى قل لهم سيروا فى الارض أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال كذا فى البيضاوى وفيه بحث بالنظر الى هذه الرواية الآتية فتدبر روى أنها لما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر رضى الله عنه أميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على رضى الله عنه سمع أبو بكر رضى الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت باربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا تدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم كل ذى عهد عهده (واعلموا انكم غير معجزى الله) غير فائتين عن الله وان امهلكم (وان الله مخزى الكافرين) بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (وأذان من الله ورسوله الى الناس) أى اعلام فعال بمعنى الافعال وان شئت رفعته على الابتداء أو على الخبرية كما فى براءة (يوم الحج الاكبر) يوم العيد لان فيه تمام الحج وقيل عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر (أن الله) بان الله (برىء من المشركين) من عهدهم (ورسوله) عطف على المستكن فى برىء (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) أى التوب (خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله) لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) فى الآخرة وقوله وبشر الذين كفروا استعارة تهكمية وهى التى استعيرت فى ضدها فان أصله أنذر الذين كفروا استعيرت البشارة التى هى الاخبار بما يظهر سرور المخبر به للانذار الذى هو ضدها بادخاله فى جنسها على سبيل التهكم اعلم جعلنى الله واياك من المحشورين تحت لواء محمد عليه السلام ان الآيتين المذكورتين دلتا على تعظيم الله تعالى محمدا عليه السلام حيث قال فى الآية الاولى براءة من الله ورسوله ولو قال سبحانه براءة من الله لكفى ولاشك أن براءة الله توجب براءة الرسول فذكر الرسول مقارنا لذكره الكريم من العناية الابدية والكرامة السرمدية والمحبة الالهية وأيضا فى قوله

الحكيم والحزب العظيم وهو قوله سبحان العليم الحليم مدة سبعة آلاف سنة ثم نقل منه الى حجاب المنزلة وأقام فيه ستة آلاف سنة وكان ورده الدائم فى ذلك المقام الجسيم سبحان ذى الملك العظيم ونقل منه الى حجاب الهداية فمكث فيه خمسة آلاف سنة وورد ذلك المهدى فى المقام المسفور بالهام الملك العليم سبحان رب العرش العظيم ومنه صعد الى حجاب النبوة فلبث فيه أربعة آلاف سنة وكان ورده على الدوام فى ذلك المقام سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ثم ارتقى منه الى حجاب الرفعة فاقام فيه ثلاثة آلاف سنة وكان حزب ذلك النور فى المقام المأنوس سبحان الملك القدوس ومنه ارتقى الى حجاب الطاعة ومدة الاقامة فيه ألفا عام مستغرقا فى ذكر ربه على الدوام بقول سبحان القديم الازلى ثم انتقل بحسن الدل والاتقال الى حجاب الشفاعة وأقام فى ذلك المقام ألف عام مشتغلا بذكر الملك العلام وهو سبحان الملك القدوس فلما تم ركوب نوره صلى الله تعالى عليه وسلم طبقا عن طبق فى تلك الطباق أمر ذلك النور

تعالى وأذان من الله ورسوله لو قيل ما قلنا فى الاولى لكن فذكره عليه السلام مقارنا الذكره لما قلنا من أنه لتعظيمه واكرامه وانظر جعل الله قلبى وقلبك مملوأ بحبهما عجبا أنه تعالى كيف أشار بكمال لطفه عليه عليه السلام حيث قرن ذكره بذكره فى كلام واحد مرتين ولو اكتفى بقرانه فى الاولى لاستغنى عن الاخرى فما هو الا من كمال العناية * قال الله تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم مأخوذ من العشرة قال الواحدى عشرة الرجل أهله الاقربون وهم الذين يعاشرونه (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاذها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) لا يرشدهم قال القاضى وفيه تشديد وقل من يتخلص منه اعلم أن الله تعالى صرح فى هذه الآية الكريمة أنه لا يتم ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من كل شئ ففيها من تعريف شأن المصطفى ما لا يخفى حيث أدرج سبحانه فى وجوب أحبيته من كل شئ أحبيته عليه السلام من كل شئ والكلام مشعر بانه لا يتم الايمان حتى يكون الحبيب أحب من كل شئ مع التصريح لمن لم يكن له هذه الحالة بالعذاب الشديد * قال الله تعالى (يريدون أن يطفؤا) يخمدوا (نور الله) نبوة محمد عليه السلام (بأفواههم ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ولا يريد الا أن يتم نوره وبهذا التأويل صح وقوع الاستثناء لان الاستثناء المفرغ لا يقع فى الموجب وعد الله سبحانه نبيه عليه السلام بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة وكمال المرتبة ويجوز أن يكون فى الكلام استعارة تحقيقية مع ترشيحها او أن تكون تمثيلية مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه غاية قصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه وطمسه (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) أى الرسول (على الدين كله ولو كره المشركون) كالبيان لقوله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولذلك كرره واللام فى الدين للجنس أى على سائر الاديان فينسخها أو على سائر أهلها فيخذلهم عن أبى هريرة أنه قال هذا وعد من الله أن يجعل الاسلام عاليا على جميع الاديان وتمام هذا انما يحصل عند نزول عيسى عليه السلام وقال السدى ذلك عند خروج المهدى لا يبقى أحد الا دخل فى الاسلام وأدى الخراج وفيه وجوه أخر اكتفينا عنها ففى الكلام القديم تنويه وتعظيم بكمال قرب نبينا عليه السلام بربنا الملك العلام حيث عبر عن أمره بالنور وأضافه اليه تعالى وأضاف حبيبه أيضا اليه سبحانه ووعد باعلائه عليه السلام على أهل الاديان كلها ولم يكن ذلك لاحد من الانبياء كيف لا وسينزل كلمة الله عيسى بن مريم صلوات الله عليه ويحكم بشرعه وينصره ويعز دينه اللهم اجعلنا منطيقا فى بيان مدحة حبيبك ومحمدة صفيك واحشرنا معه بحبك اياه يا الله * قال الله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) فان قلت كيف يكون فقد نصره الله جوابا للشرط فجوابه على أحد الوجهين المذكورين فى الكشاف ان التقدير الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الى أنه ينصره فى المستقبل فنصرته فى الزمان الماضى سبب نصرته فى المستقبل فاقيم السبب فى موضع

بالسير فى عشرة أبحر بحر النظرة وبحر الرحمة وبحر المحبة وبحر القدرة وبحر الكرامة وبحر السخاوة وبحر الهداية وبحر الشفاعة وبحر الحكمة وبحر المعرفة فعند ذلك غاص غواص فرائد المعارف والعلوم وحبيب الملك القيوم فى تلك البحار باذن الملك الغفار ففى بحر النظرة اختص بنظرة سبق بها الاولين والآخرين وفى بحر الرحمة صار رحمة للعالمين وفى بحر المحبة اصطفاه ربه سبحانه بها على الانبياء والمرسلين وفى بحر القدرة اقتدر على الفضائل النفسانية على وجه الكمال بقدرة مانحها وفى بحر الكرامة اختص بالكرامات التى لا يعلمها بحقائقها الا واهبها وفى بحر السخاوة تحلى بحلية الجود والسخاء فكان من جوده الدنيا وضرتها وفى بحر الهداية صار هاديا للامة الضالة وفى بحر الشفاعة أخذ منها بالحظ الاكمل الاوفر حتى غرق فى بحار شفاعته من تقدم ومن تأخر وفى بحر الحكمة نال حكما عجز الاشراقيون والمشائيون وانحطت حكمهم عن محط الاعتبار فلم يلتفت اليها الراسخون وفى بحر المعرفة غشيه من أنوار

المسبب واسناد الاخراج الى الكفرة لان هممهم باخراجه أو قتله سبب لاذن الله بالخروج
ونصب قوله ثانى اثنين على الحالية وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق يروى
ان جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معى قال أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه
(اذ هما فى الغار) بدل من اذ أخرجه اذ المراد زمان متسع والغار نقب فى أعلى ثور وهو جبل
فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)
بالعصمة والمعونة وحبيب الله عليه سلام الله قدم ذكر الله جل جلاله على قوله معنا وكليم الله
عليه تحية الله أخره عنه حيث قال ان معى ربى الآية ففضل كلامه على كلامه كفضله عليه
عليهما الصلاة والسلام يروى أنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أول
الليل الى الغار وأمر عليا رضى الله عنه أن يضطجع على فراشه ليمنع السواد من طلبه حتى يبلغ هو
وصاحبه الى ما أمر الله تعالى به فلما وصلا دخل ابو بكر الغار أولا يلتمس ما فى الغار فقال له الرسول
صلى الله عليه وسلم مالك فقال بأبى وأمى الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان لابى
بكر وكان فى الغار جحر فوضع عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذى الرسول عليه السلام فلما طلب
المشركون الاثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فقال لا تحزن ان
الله معنا قال أبو بكر وان الله لمعنا فقال نعم فجعل يمسح الدموع من خده وروى ان الحسن
البصرى كان اذا ذكر بكاء أبى بكر رضى الله عنه بكى واذا ذكر مسحه الدموع مسح هو الدموع عن
خده كذا ذكره الامام الرازى وفيه روايات أخر (فأنزل الله سكينته) أمنته التى تسكن عندها
القلوب (عليه) أى على النبى عليه الصلاة والسلام وقيل على أبى بكر وهو الانسب لان
الاضطراب كان فيه (وأيده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة أنزلهم ليحرسوه فى الغار (وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى الشرك أو دعوة الكفر (وكلمة الله هى العليا) يعنى التوحيد
أو دعوة الاسلام والمعنى جعل ذلك بتخليص الله عز وجل الرسول عليه السلام من أيدى الكفار
الى المدينة (أقول) ورد ههنا فى خاطرى شئ لم أجده فيما عندى من كتب التفاسير وهو أنه
ما الحكمة ان الله سبحانه قال وكلمة الله هى العليا مع ان الانسب بحسب الظاهر أن يقال وكلمة
الذين آمنوا هى العليا ليوافق التقابل وأجبت أنا بأنه انما قال ذلك تنبيها على ان كلمة الذين آمنوا
فى أمر التوحيد كلمة الله تعالى وأيضا لو قيل ما قلنا لاحتيج الى عطف الكلمة الثانية على الاولى
وكونها جملة مستقلة أبلغ لاشعاره بأن كلمة الله عالية فى نفسها على الدوام فتأمل (والله عزيز
حكيم) فى أمره وتدبيره ففى هذه الآية اشعار بعلو حال حبيب الله وعظم رتبة نبى الله عليه
صلوات الله حيث أشار الحق سبحانه بأنه عليه السلام منظور بعين العناية ومحروس بكمال
الحماية وأيضا أثنى الله تعالى عليه على كمال اطمئنانه وتشبثه بجناب ربه حيث قال اذ يقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وأيضا ذكر تأييده بجنوده وهو من خصائصه عليه السلام كما مر
مع أنه تعالى معه فما هو الا اعلام للعالمين ان حبيبه خير الاولين والآخرين * قال الله تعالى (عفا
الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قال
بعضهم العفو يقتضى سابقة الخطا فيكون الاذن لهم خطأ (أقول) والقائل أخطأ خطأ كبيرا
عجبت منه انه كيف لم ينشق قلبه حين تجاسر للتكلم ولو كان فى نفس الامر كذلك فالادب أن

المعارف ما غشيه وذلك
بقدر منزلته وعلو رتبته
وجاهه ومنصبه ومحبته
وقد خرست الالسنة فى
استقصاء تلك وما ذكرنا
ههنا من الحجب والبحار
مذكور أيضا فى كتاب
بصائر ذوى التمييز فى لطائف
القرآن العزيز للعلامة مجد
الدين الفيروزابادى نقلا عن
جعفر بن محمد الصادق الا أن
البحار فيه أربعون وفى
التسبيحات مخالفة يسيرة
ثم اعلم ان نوره صلى الله تعالى
عليه وسلم بعد ما أحرز تلك
الرتب العلية أمر أن يقطر
منه مائة ألف وأربعة
وعشرون ألف قطرة وكان
كذلك فتكون منها أنوار
الانبياء والمرسلين صلوات
الله تعالى وسلامه عليهم
أجمعين

سيدى أنت بحر نور بهاء
رشحات من فيضك الانبياء
أنت أصل لكل جود وعطاء
بك نالت مرامها الاتقياء
مفزع أنت فى كل هول وداء
وإليك الرجاء والالتجاء
سندى أنت شافعى فى بلاء
ولربى السجود والانحناء
وله الفضل فى قبول رجاء
واليه الرجوع والاتكاء

ثم أمر نور الانوار ومبدأ
الكل فى تلك الاطوار أن
يسبح فى العوالم كلها

لايتفوهبه وليس الامر كذلك (أقول) وعندى انه لايمكن تصور العتب والذنب فى حق المصطفى عليه من صلوات ربه أزكاها لانه جل وعز غفر له ماتقدم وماتأخر بوعده المصدوق على لسان نبيه الصادق وهو سبحانه أصدق الصادقين وأكرم الاكرمين وأنزهه سبحانه من أن يذكر الذنب والخطأ ويعاتب عليه بعد الغفر فهل سمعت كريما قال لاخص أصحابه وأحب أحبائه انى غفرت لك ماصدر عنك ومايصدر ولامؤاخذة عليك أصلا ثم عدّله ذنوبا وعاتبه عليها كيف الذنب والعتب وقد قال بعضهم فى تفسير قول الله عز وجل ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ان هذه وردت مورد التشريف له صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد اظهار محبته لو كان لك ذنب قديم غفرناه لك ولم يرد اثبات ذنب ولامغفرة هذا ان شاء الله تعالى مما ألهمنى به رب محمد صلى الله عليه وسلم وشفعه فينا بجاهه الاعلى وذكر فى بعض حواشى الشفاء قال فى الكشاف وتبعه البيضاوى ان هذا كناية عن خطئه فى الاذن فان العفو من روادفه وقد شنع الناس عليه فى هذا حتى كان سببا لمنع قراءة كتابه كما حكى عن الامام السبكى لما فيه من ترك الادب انتهى وأجيب عنه انا لانسلم ان قوله عفا الله عنك يوجب الذنب ولم لايجوز أن يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى فى تعظيمه وتوقيره كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ماصنعت فى أمرى ورضى الله تعالى عنك ماجوابك عن كلامى فلا يكون غرضه من هذا الكلام الامزيد التبجيل والتعظيم كذا ذكره الامام الرازى قال أبو محمد مكى قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة صلحك الله وأعزك الله وحكى بعضهم عن السمرقندى عن بعضهم أن معناه عافاك الله ياسليم القلب لم أذنت لهم قال ابن المنير فى تفسيره المسمى (٢) عفا الله عنك دعامة فى الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب فى التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء قال نفطويه ذهب ناس الى أن النبى صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه فى ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله انه لولم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لاحرج له فى الاذن لهم وظهر لك من جميع ماذكرنا أن فى هذا من عظم منزلته عليه السلام عند الله تعالى مالايخفى على ذى لب ومن اكرامه اياه وبره به ماينقطع عنده معرفة غايته نياط القلب جعلنا الله سبحانه من الذائقين حلاوة حب حبيب الله صلوات الله عليه * قال الله تعالى (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن) الاذن الرجل الذى يصدق كل مايسمعه ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كان جملته سامعة كما سمى الجاسوس عينا وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن روى ان الجلاس بن سويد قال نقول ماشئنا ثم نذهب اليه ونحلف انا ماقلنا فيقبل قولنا فان محمدا أذن سامعة فنزلت (قل أذن خير لكم) تصديق لهم بأنه أذن ولكن لاعلى الوجه الذى ذموه به بل حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله (يؤمن بالله) يصدق بما أنزل الله عليه ولايمانه بالله لايعمل الا بالحق (ويؤمن للمؤمنين) يصدق المؤمنين فيما يخبرونه لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للفرق بين التصديق والايمان كما فى قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين أى مصدق (ورحمة) أى وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن أظهر الايمان حيث يقبله ولايكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا وترحما عليكم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وعيد من الله تعالى لهؤلاء المنافقين على مقالتهم تلك (يحلفون بالله

ويشتغل فى ذلك المسير بذكر الملك الخبير ويكون حزبه فى هذا السعى الاجل سبحان العالم الذى لايجهل سبحان الجواد الذى لايبخل ثم ان الله عز وجل أبدع من نور حبيبه جوهرة نيرة ففلقها فانفلقت فلقتين فنظر سبحانه لاحدى الفلقتين بنظرة الهيبة وللاخرى بنظرة الشفقة أما الفرقة التى اختصت بنظرة الهيبة فتكون منها المياه الجارية والبحار والانهار فهذا هو السر فى عدم الاستقرار للبحار والانهار والنصف الآخر الذى تشرف بنظر الشفقة خلق الله سبحانه منه أربعة أشياء العرش العظيم والكرسى الجسيم واللوح المحفوظ والقلم المصون وبعد خلق القلم نظر الذى علمنا مالم نعلم الى القلم بنظرة الهيبة فانشق وأمر بالكتابة على اللوح المحفوظ فقال القلم متضرعا أى ربى الاعلى ماأكتبه وأى شئ أثبته وقال الله عز وجل مامعناه اكتب قولى لااله الا أنا وحدى لاشريك لى فى ملكى وان محمدا عبدى ورسولى فلما تشرف القلم بذلك الخطاب ألقى نفسه حيران وسكران من لذة التوحيد فى ذلك الجناب

(٢) قوله المسمى كذا بالاصل من غير ذكر المسمى به اهـ مصححه

لكم) على معاذيرهم فيما قالوا (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أحق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين أولان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه أولان التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقاء (أقول) أظهر الله سبحانه في هذا الكلام اجلال حبيبه عليه السلام حيث ذكره باوصافه الجميلة مع الرد على المخالفين من ايمانه بالله وتصديقه للمؤمنين وكونه رحمة للذين آمنوا وما في اطلاق الرحمة عليه من المبالغة لا يخفى وأيضا في ذكره بالنبوة الدالة على الرفعة واضافته عليه السلام اليه سبحانه على وجه التكرار مع قران رضائه برضائه ما فيه من التشريف وأيضا أوعد الله الذين يؤذونه بعذاب أليم وخاطب المؤمنين بان الاليق والاحق ارضاء الرسول ورضاء الله فيه وارضاء الغير في جنب رضاء الحبيب في رتبة الانعدام فهذا فضل عظيم ولطف جسيم * قال الله تعالى في هذه السورة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ان تخلف هؤلاء فقد جاهد من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة كذا فسره البيضاوي (أقول) لو أول منافع الآخرة بعلا قات قرب البريات والجنات العاليات لكان أعذب لانه رئيس المطالب لاسيما للاحباب مع أن اللفظ عام والخيرات جمع خيرة مخفف خيرة وهي الفاضلة في كل شئ (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية أعد الله لهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الانهار خالدين فيها مقيمين دائمين لا يموتون ولا يخرجون منها الفوز العظيم النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونعيمها ونجوا من النار وحسيسها (أقول) قد تضمنت هذه الآية الكريمة مناقب سيد المرسلين ومنازل مفخر الاولين والآخرين حيث أثنى الله تعالى عليه على جهاده بماله ونفسه النفيس ثم وعدهم الخيرات كلها ثم أكد ذلك بأنهم هم الفائزون ثم بين ما هو لهم من الخيرات الاخروية ولو تأملت فيها لوجدت للحبيب عليه السلام كمال قرب وعلو جاه من الله جل وعلا * قال تعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) أي سبب قربات (وصلوات الرسول) أي سبب صلوات الرسول لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل أبي أوفى لانه منصبه فله أن يتصدق به على غيره وقولي يتصدق ألطف من قول البيضاوي أن يتفضل يعرف بأدنى تامل (الا انها قربة لهم) والضمير لنفقتهم (سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم) وعد لهم باحاطة الرحمة وفيها فضل بليغ للحبيب المعظم لانه تعالى قابل قربات الله بصلواته عليه السلام كأنه لا حصول للقربات عند الله الا مع الصلوات ويشير اليه حرف العطف وجعل هذين الامرين أعني القربات والصلوات جميعا سببا لدخول الرحمة ولانه قرن اسمه باسمه الكريم فتأمل * قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أي من جنسكم عربي مثلكم ونظيره قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم وقدمر تفصيل هذا الكلام والمقصود ترغيب العرب في نصرته والقيام بخدمته كأنه قيل لهم كل ما يحصل له من العزة والرفعة في الدنيا فهو سبب

وسجد وبكى في ذلك المقام ألف عام ثم رفع رأسه من السجدة وقال يا الهي وسيدي انك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ومن محمد الذي جمعت اسمه مع اسمك الاعظم فخوطب القلم من الرب الاكرم بما مفهومه أيها القلم بعزتي وجلالي لولا محمد ما خلقت العرش والسماء والارض والجنة والنار والليل والنهار وما خلقت الخلق الا كرامة لمحمد ثم دهش القلم من حلاوة ذكر مناقب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبقي على ذلك الحال زمانا طويلا وألهم القلم أن يقول السلام عليك يا محمد فأجاب عزوجل من طرف حبيبه وقال وعليك السلام أيها القلم ورحمتي وبركاتي ومن هذا السر أن السلام سنة ورده واجب ثم أمر ربنا الارحم القلم بكتابة ما يكون الى يوم القيامة على اللوح المحفوظ وألهمهم بكل ما هو كائن الى يوم القيامة فشرع القلم في الرقم فلما آل أمر الكتابة الى أحوال الامم كتب في حقهم ان أتقيائهم ومطيعهم في الجنان وان عصاتهم وبغاتهم في النيران حتى انتهى الكلام الى

لعزكم ونفركم لانه من نسبكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم (عزيز عليه) شاق عليه (ماعنتم) عنتكم ولقاؤكم المكروه فتكون ما مصدرية ويحتمل أن تكون موصولة (حريص عليكم) أى على ايمانكم وصلاح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قال القاضى قدم الابلغ وهو رؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل انتهى والقاضى جعل الرؤف بمعنى الرحيم لكنه أبلغ من الرحيم ويخالفه ظاهر ما ذكره الامام القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى وقول الله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة الآية وحيث ذكر هذان الوصفان قدم الرؤف على الرحيم فى الذكر وسببه ان الرحمة فى المشاهد انما تحصل بمعنى المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته وان الرأفة عندنا تطلق على ما يحصل الرحمة من شفقته على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذى جاد بلطفه انتهى ووجه المخالفة ظاهر فليفهم قال فى التفسير الكبير قال ابن عباس سماه تعالى باسمين من أسمائه وذكر فى شفاء القاضى عياض اعطاه اسمين من أسمائه الرؤف الرحيم قال فى الكشاف لم يجمع الله تعالى اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله رؤف رحيم وفى بدائع ابن القيم الاسماء التى تطلق على الله وعلى غيره كحى وعليم هل هى حقيقة فى الله مجاز فى غيره أو على العكس أو حقيقة فيهما هذه أقوال ثلاثة أظهرها الاخير انتهى (أقول) الظاهر ان الاظهر كونها حقيقة فيهما بمعنى الحقيقة العرفية أو الشرعية لا الوضعية والا فكثير من الاسماء يطلق عليه سبحانه مع انه ليس على طريق الوضع اللغوى كالرحيم فتأمل نقل عن الغزالى رحمه الله فان قلت كثير من أسماء الله تعالى يطلق على غيره كحى وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم قلت المراد ان الله تعالى أعطاهما له بمعنى من المعانى التى أطلقا بها على الله تعالى فجعله صلى الله عليه وسلم متحليا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه ما وان لم يكن على الوجه الاكمل اللائق بجناب العزة قال فى التفسير المسمى بالبحر الكبير فان قلت ما وجه اختصاصه صلى الله عليه وسلم بتسميته باسمين من اسمائه تعالى وقد سمى الله تعالى موسى كريما فقال وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لا تخف انك انت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام حليما فقال فى آية وبشرناه بغلام عليم (٣) وفى أخرى حليم قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا فى سلك واحد ونسق متصل فى القراءة ولا يكاد يوجد هذا الا فى وصف الله تعالى لنفسه فهى كرامة أكرمه الله بها على مكانته صلى الله عليه وسلم وان رتبته فوق سائر الرتب انتهى والآيات القرآنية حيث ختمت باسمائه تعالى وقعت مكررة فلما بين الله تعالى أوصاف حبيبه فى آية وسماه ببعض أسمائه ختمها بالاسمين على نسق أوصافه الكريمة سبحانه فتأمل فى هذه المعاملة ما فيها من المجاملة والملاطفة للحبيب عليه الصلوات (فان تولوا) عن الايمان بك أو عن نصرتك فى الجهاد (فقل حسبى الله) فى النصرة على الاعداء والايصال الى مقامات الآلاء والنعماء (لا اله الا هو) كالدليل عليه (عليه توكلت) أفاد الحصر فيكون المعنى ولا أرجو ولا أخاف الا منه (وهو رب العرش العظيم) والسبب فى تخصيصه بالذكر انه كلما كانت الآثار أعظم كان ظهور جلالة المؤثر فى العقل والخاطر أكبر ولما كان أعظم الاجسام هو العرش كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله قال الحسن هاتان الآيتان هما آخر ما أنزل الله تعالى من القرآن وما أنزل من بعدهما قرآنا وقال

أمة سيد الانام فاراد أن يكتب على قياس الامم المسطورة فصرفه الله عز وجل عن الارادة المذكورة وقال سبحانه كرامة لحبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أكتب فى حق أمة حبيبى محمد أمة مذنبة ورب غفور ثم خلق الله عز وجل الجنة وزينها باربعة أشياء التعظيم والحلاوة والسخاء والامانة (يقول) ناظم هذه الدرر الغالية انه سنح بالبال فى هذا الحال ان المراد من تزيين الجنة بهذه الاشياء ان أهلها معظمون ومكرمون عند الله تعالى وانهم مستغرقون فى حلاوة جمال الله عز وجل وسائر نعمه التى لا عين رأتها ولا أذن سمعت ولا خطرت على قلب أحد وان احسانه تعالى وجوده مبذول لاهلها وانهم آمنون من المكاره فيها والاحتمال الآخر أن المراد من تزيين الجنة بالتعظيم ان من عظم أوامر الله واجتنب نواهيه فاز بالجنة ونعيمها ومن وجد حلاوة ذكر الله تعالى وعبادته فى الدنيا يجد حلاوة لقيا الله وجنته فى الاخرى ومن تخلق بالعطاء والسخاء فى الله عز وعلا دخل الجنة العليا ومن اتصف بالامانة

(٣) قوله بغلام عليم من المعلوم ان هذا وصف لولد سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لا له تأمل اهـ

أبي بن كعب أحدث القرآن عهدا بالله عزوجل هاتان الآيتان وهو قول سعيد بن جبير فالله سبحانه ذكر حبيبه عليه السلام في هذه الآية الكريمة بخمسة خصال شريفة أولها كونه عليه السلام من أشرف الخلق على قراءة الفتح في أنفسكم والثاني عزة عنتهم عليه وذلك خصلة كريمة تنبئ عن الشفقة على خلق الله تعالى والثالث حرصه على ايمانهم والرابع والخامس رأفته ورحمته بالمؤمنين وذلك كله من مقتضى طبعه الكريم وخلقه العظيم وسمى الله سبحانه حبيبه عليه الصلوات ببعض الاسماء وأشركه في بعض الصفات بمعنى من المعاني الكائنة فيه سبحانه كما قال تعالى وان الله بكم لرؤف رحيم وكما قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما ولم يكن ذلك على ذلك الوجه لاحد من البريات كما مر تفصيله مني آنفا وههنا نكت لطيفة منحنيها ربي الاولى انك قد علمت مما سبق ان هاتين الآيتين آخر ما نزل من القرآن وأن في تسمية الله سبحانه حبيبه في هاتين الآيتين اللتين هما آخر ما نزل من القرآن ببعض أسمائه اشارة الى ان حبيب الله تعالى بلغ مبلغ نهاية الكمالات النفسانية وتضاعف فيه الخصال الملكية حتى وصل نهاية الرتبة وغاية المنزلة وتخلق باخلاق الله تعالى وتحلى ببعض صفاته سبحانه ولهذا اسماه الله ببعض أسمائه وخلعه عليه كما قيل في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه والنكتة الثانية ان الله سبحانه سمى حبيبه باسمه أكثر مما سمى به خليله وكليمه على ما أشير اليه في التفصيل ولقد أحسن الرب سبحانه لان مقام المحبة اعلى وأجل من مقام الخلة والتكليم مع ان حبيبنا عليه السلام أحرز المقامات الثلاث وانما قلنا مقام الحب أفضل من مقام الخلة والتكليم لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي رواه الحكيم في كتاب النوادر وفي ذلك حجج كثيرة النكتة الثالثة انك عرفت ان آخر ما نزل هاتان الآيتان واعلم أن أول ما نزل على رأي المفسرين سورة الفاتحة وعلى رأي المحدثين سورة العلق اقرأ باسم ربك الذي خلق وعلى الرأي الاول بدأ الله كلامه بذكر ذاته الكريم وثنائه مع ذكر الحبيب حيث ذكرنا ان المراد من الصراط المستقيم في فاتحة الكتاب محمد عليه السلام وختم كلامه بجميل أوصاف حبيبه مع ذكر ذاته الكريم وعلى الرأي الثاني كذلك وذلك فضل باهر وشرف ظاهر واكرام فاخر لطفه غير خفي لكل خاطر هذا ما تيسر لي في هذا المقام في بيان شرف خير الانام عليه أفضل السلام بعناية الملك العلام وفي هذه السورة الكريمة الطاف واكرام غير ما ذكرنا الا أنا اكتفينا بما ذكرنا لان فيه كفاية لمن اكتفى تمت الفضائل الكائنة في سورة التوبة بلطفه تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا لينذر به أولي الالباب عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات * (الفضائل المتعلقة بسورة يونس) * قال الله تبارك وتعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينا) الهمزة لانكار التعجب أو للتعجيب منه وأن أوحينا اسم كان وعجبا خبره قدم عليه وانما قدم ما حقه التأخير لانهم يقدمون الاهم والمقصود بالانكار في هذه الآية انما هو تعجبهم واللام في قوله للناس للدلالة على انهم جعلوا القرآن أعجوبة لهم

في مال أمة محمد وعرضه في دنياه أمنه الله عزوجل بدخول الجنة في أخراه والله سبحانه وتعالى أعلم فتامل ثم خلق الله عزوجل القمر ورفع به ظلمات الليالي وحكم أمورا يعلمها الا خالقه المتعالي وأبدع الشمس وأضاء بها النهر وجعلها سببا لكسب المعايش والمعالي وخلق الملائكة وأمرهم بالصلاة على نور الحبيب التهامي مني عليه تحيتي وسلامي وخلق السموات والارضين والكواكب لاجل المنافع والمآرب وفي الاخبار ان الله عزوجل لما أراد أن يجعل في الارض الخليفة وان يبدع هذه الخليقة وان يكرمه بالاصطفا وأبوة المصطفى أمر عزرائيل عليه السلام ان يقبض من جميع أمكنة الارض مقدارا من التراب فقابل أمر رب الارباب بالسمع والطاعة فنزل الارض وساح فيها وأخذ من جميع نواحيها أشياء من التراب ثم عجنها وخمرها وجعلها مادة ذات أبينا آدم صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أمر الله الجليل روحه جبريل ان ينزل الى الارض بجماعة عظيمة من الكروبيين والملائكة المقربين وان يقبض التراب الابيض الذي

يوجهون نحوه انكارهم واستهزائهم (الى رجل منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ورجل من الاسماء المائة التى ذكر الله بها نبيه وسبب نزول ذلك ان الله تعالى لما بعث محمدا رسولا صلى الله عليه وسلم قال المشركون الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فقال تعالى أكان للناس عجبا أى لاهل مكة كذا فى معالم التنزيل (أن أنذر الناس) أن هى المفسرة ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله انه أنذر الناس على معنى ان الشان قولنا أنذر الناس (وبشر الذين آمنوا أن لهم بان لهم (قدم صدق عند ربهم) وقدم صدق من الاسماء المائة التى سمى الله تعالى بها نبيه فى القرآن على ماذكره الشيخ مجد الدين الفيروزابادى فى لطائف القرآن وفيه أقوال لاهل اللغة وأهل التفسير أما اللغويون فنقل الواحدى فى البسيط قال الليث القدم السابقة والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير وقال أحمد بن يحيى القدم كل ماقدمت من خير وقال ابن الانبارى القدم كناية عن العمل الذى يقدم فيه ولا يتقدم فيه تأخير ولا ابطاء وليعلم ان السبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان التقدم والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى الصدق من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة وأما المفسرون فلهم أقوال قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم قدم صدق هو محمد عليه السلام انتهى ولاشك انه عليه السلام سابق خير حيث يشفع لهم وعن الحسن البصرى هى مصيبتهم بنبيهم عليه السلام أى وفاته صلى الله عليه وسلم قبلهم لانه فرط وسابق ينفعهم حياته ووفاته وعن أبى سعيد الخدرى هى شفاعة نبيهم محمد عليه السلام هو شفيع صدق عند ربهم قيل جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها أو تقدم صاحبها وقوله شفيع صدق عند ربهم اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق أو بمعناه المصدرى وقيل اشارة الى تفسير القدم به صلى الله عليه وسلم باعتبار الشفاعة أيضا وقال سهل التسترى هى سابقة رحمة أودعها الله فى محمد عليه السلام أى جعله متصفا بها ليشفع للناس بها عند الحاجة سابقة رحمة أى رحمة سابقة فى الازل فيكون اطلاق القدم عليها مثل اطلاقه فى قوله عليه السلام فى صفة النار يضع الجبار فيها قدمه أى من تقدم فى علم الله من خلقه لها وقال محمد بن على الترمذى هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد عليه السلام حكاه عنه السلمى وضمير هو عائد الى قدم صدق وتذكيره رعاية لمعنى العضو (قال الكافرون ان هذا الساحر مبين) فعلى قراءة لساحر هذا اشارة الى محمد عليه السلام وعلى قراءة لسحر يكون اشارة الى الكتاب لا يخفى على كل زكى وغبى ما فيها مما يشرح به الصدر من اعلاء القدر لمحمد وجهه البدر ومن خواصه القدر على جميع ماذكرته من التفاسير أما على التفسير الاول فنص بصدقه وبكونه سابقة خير وهو فضل ظاهر وأما على الثانى فكذلك وأما على الثالث فاشير فيه الى كونه مشفعا أيضا وذلك شرف وافر وأما على التفسير الرابع فكذلك وأما على الخامس فغنى عن البيان حيث فسر بامام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد عليه السلام أى بشر المؤمنين بانهم مخصوصون بنبى هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب وفيه تصريح على كل التفاسير بانه عليه السلام بشرى من الله تعالى لعباده المؤمنين وكونه فى مرتبة وحالة بشر الله عباده بها افضل بليغ عجيب (أقول) هو حبيب رب الارباب وأول من يقرع الباب وأول من يكشف له الحجاب عليه

هو قلب الارضين بل هو كحل عيون الواصلين فنزل بالملائكة المأمورين البقعة المقدسة التى هى قبر سيد المرسلين فاخذ قبضة تراب أبيض من ذلك المكان الكريم فاوصلها الى عين التسنيم فى جنة النعيم فعجنوه بمائها حتى صارت تلك القبضة المطهرة كالكوكب الدرى لها بريق ولمعان وغسلوه فى جميع انهار الجنان ثم أمر جبريل ان يأخذ تلك الدرة البيضا والمادة العليا لنور المصطفى وان يسير معها فى السموات والارضين والبحار وان يعلم شرفها ومكانتها الخلائق كلها حتى يعرفوا ويعترفوا فضل حبيب رب الانام قبل ان يخلق آدم بالف عام ثم أمر سبحانه أن تجعل تلك الدرة المقدسة فى الطينة الشريفة الآدمية فضموها اليها وأدرجوها فى طيها فبقيت الطينة المطهرة زمانا طويلا ثم صور الجسد الآدمى ووضع نور النبى التهامى فى صلبه المبارك السامى فسجد الملائكة كلهم أجمعون لذلك الامام الهمام بحرمة نور سيد الانام عليهما الصلاة والسلام ثم ان الملائكة الكرام قاموا صفوفا وراء ظهر آدم عليه السلام

من الصلوات أزكاها ومن التحيات اعلاها * قال الله تعالى (قل لوشاء الله ماتلوته عليكم) ما قرأت القرآن عليكم (ولا أدراكم به) هو من الدراية بمعنى العلم قال سيبويه يقال دريته ودريت به قال والاكثر هو الاستعمال بالباء ولا أدراكم به ولا أعلمكم الله ولا أخبركم به (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدارا أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من عند الله تعالى فانه وان كان اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة كما قالوا فنقول كذلك اشارة الى كمال استعداد الرسول عليه السلام للفضائل الالهية والكمالات القدسية لانه عاش بينهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يصاحب عالما ولم ينشئ شعرا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا على كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع وأعرب عن قصص الاولين وأحاديث الآخرين على ماهى عليه وكل ذلك فضيلة ومفخرة له عليه السلام * قال الله تعالى (ولا يحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل لا تحزن بقولهم ان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) لاعمالهم فيكافئهم عليها فالله سبحانه سلى حبيبه عليه السلام بالوعد باعزازه ونصره فذلك شرف واف وفضل كاف وأنت تعلم ان هذه المعاملات من مجاملات المحبة مثل مامر غير مرة * قال الله تعالى (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) أى الرسول أو القرآن ولم يبق لكم عذر والحق من الاسماء المائة التى ذكر الله تعالى بها حبيبه فى كلامه على ما فصلها صاحب القاموس فى بعض مصنفاته (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعها لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير لا يخفى عليك ان كل حريص على حب حبيب الله وكل مفتون بجمال صفى الله يعلم ان هذه الآية الجليلة أشارت بلسانها الى مزية فضل أفضل البريات حيث عبر عنه بالحق كما مر بيانه آنفا ويحتمل أن يقال فى وجه الفضل ان الحق اسم من أسماء الله تعالى وفى اطلاقه عليه يقال شمس فضل طلعت من أسمائه كما مر قريبا تفصيله وبيانه لكننى لم أجد اليه اشارة من أصحاب الحل والعقد وقلته على احتمال تضمنه النظم وهذه السورة الكريمة مشتملة على غير ماذكرنا من الفضل منه ماظهر وبهر تمت الفضائل الكائنة فى سورة يونس عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الثقلين وآله وصحبه أجمعين * (المناقب المتعلقة بسورة هود عليه السلام) * قال الله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره فمن هو على برهان من الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم قال سعدى الهاء فى البينة للمبالغة ولعل ايضاح الغير وبيانه يستفاد من صيغة المبالغة والا فانه من بان بمعنى اتضح انتهى (أقول) المبالغة لا تخرج الصيغة عن اللازمية والمولى المزبور لاحظ معناها اللغوى ولك أن تقول انها مستعملة بحسب العرف فى البرهان والحجة فلا حاجة الى ماتكلف ويمكن أن يقال انه لما كان للمبالغة فكأنه من كمال وضوحه انكشف به الغير كما ان الشمس كذلك فتأمل قالوا فى الآية حذف معناه أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد

يتمتعون ويتنعمون بالنور المودع فى صلبه عليه التحية والاكرام ثم سأل آدم ربه سبحانه وقال متضرعا ومبتهلا مابال هؤلاء الملائكة المكرمين يقومون وراء ظهرى صفا صفا فقال سبحانه وتعالى ان ملائكتى ينظرون الى نور حبيبى محمد الذى أودعته فى صلبك وسوف يخرج من صلبك وينتقل من صالب الى صالب ومن ساجد الى ساجد وهو خاتم النبيين والمرسلين وسيد الاولين والآخرين ثم سال آدم ربه سبحانه أن يجعل النور فى جبهته ليتشرف بمقابلة الملائكة ومواجهتهم فنقل النور المكنون الى جبهته هذا المأمون ودارت الملائكة حيث دار ذلك النور فاشرق فى جبهته مثل شمس الضحى بل هو أبهر وأسنى وروى ان حواء عليها السلام لما شاهدت النور الابهر فى جبهة زوجها الاطهر قالت ماهذا النور فى جبهتك فانه دهشنى وحيرنى قال آدم ياحواء الذى حيرك نور نبى مبارك من أولادى هو أعظم خلق الله وأكرمهم لديه ثم طلب آدم من ربه الاعلى أن يجعل النور الابهى فى عضو يمكن له النظر اليه والتنعم والتلذذ بلقياه

الحياة الدنيا وزينتها والهمزة للانكار (أقول) الظاهر أن الدليل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل كذا ذكره البيضاوى على أن يكون المراد من الشاهد القرآن ونظمه واعجازه كما روى عن الحسين بن الفضل (شاهد منه) شاهد من الله تعالى يشهد له بصدقه واختلفوا فى هذا الشاهد فقال ابن عباس وعلقمة ومجاهد وعكرمة وأكثر أهل التفسير انه جبريل عليه السلام على أن يكون المراد من البينة القرآن ويتلوه من التلاوة وضمير منه لله وقال الحسن وقتادة هو لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون البينة القرآن ويتلوه من التلاوة كما فى الرواية الاولى وضمير منه للنبى عليه السلام وروى ابن جريج عن مجاهد قال هو ملك يحفظه ويسدده وقال الحسين بن الفضل هو القرآن ونظمه واعجازه كما مر وقيل هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه (ومن قبله) أى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة فانه أيضا يتلوه فى التصديق (اماما) مؤتما به فى الدين (ورحمة) على المنزل عليهم (أولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) أى بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) أى من أهل مكة (فالنار موعده) يردها لامحالة (فلا تكن فى مرية منه) من الوعد أو القرآن (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لقلة نظرهم واختلال فكرهم وعلى كل حال تضمنت الآية الكريمة خير الآمال وهو تفضيل حبيب الرب المتعال حيث أنكر ذو الجلال تسوية من له الاعراض عن الدنيا والميل الكلى الى الاخرى مع من يحب الدنيا وذلك فضل وثناء عليه لما علمت من ان المراد من كان على بينة رسول الله واضاف نفسه الكريم اليه عليه السلام وهو اكرام عظيم وأشار اليه بلفظ الجمع تعظيما ولعده كالجماعة * قال الله تعالى (فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها على جادة الحق كذا فى الكشاف وفى البيضاوى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا عن الطرفين والاعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما أنزله والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتنى سورة هود وفى الكشاف عن ابن عباس رضى الله عنهما مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود والواقعة وأخواتهما وروى ان أصحابه قالوا لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتنى هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود قال نعم فقلت ما الذى شيبك منها أقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت قال صاحب الكشف التخصيص بهود لهذه الآية غير ظاهر اذ ليس فى الاخوات ذكر الاستقامة ولعل الاظهر أنه شيبه ذكر أحوال القيامة وكأنه شاهدها فيها يوما يجعل الولدان شيبا (أقول) ليت شعرى ماذا يقول فى تخصيص ابن عباس بهذه الآية وهو حبر الامة ورئيس المفسرين تخصيصه تخصيص وترجيحه ترجيح وأما قوله ليس فى الاخوات ذكر الاستقامة فمدفوع بأنه لا يجب أن يكون فى كل سورة سبب الشيب متحدا (وأقول) نعم لو فتش حكمة التخصيص بهود لهذه الآية مع أن الامر بالاستقامة مذكور فى غير هذه السورة أيضا لكان له وجه

فتقبل مولاه دعاه ونقل الى اصبعه المسبحة وأقر الله سبحانه به عينه واشتغل آدم فى الذكر والتحميد وشاركه هذا النور فى التسبيح والتمجيد ثم ناجى آدم ربه عز وعلا وقال هل لهذا النور بقية أجاب سبحانه بان أنوار أصحابه باقية قال يارب زين أصابعى السائرة بالبقية البهية فوضع نور أبى بكر الصديق فى الاصبع الوسطى ونور عمر الفاروق فى البنصر ونور عثمان ذى النورين فى الخنصر ونور على بن أبى طالب أسد الله الغالب فى الابهام رضوان الله تعالى عليهم مدى الليالى والايام وقد كانت تلك الانوار مشرقة مسبحة فى أصابعه عليه السلام مادام فى ظلال الجنان ولما انتقل الى العنا والهوان أعيدت الى صلبه صلوات الله عليهم أجمعين وقد جاء فى الآثار انه عليه السلام لما ابتلى بفرقة القرب والاوطان وامتحن بمفارقة الروح والريحان بكى على ذكر الحبيب والمنزل حتى حصلت من دموعه الانهار ونبتت بها البقول والاشجار وفى المواهب اللدنية عن وهب ابن منبه ما معناه انه عليه السلام بكى مائة عام على

فتدبر وأجاب سعدى عنه بقوله وأنت خبير بان ماوقع لبعض الصلحاء فى الرؤيا يكون وجها للتخصيص فان الشيطان لايتمثل به عليه السلام ومعنى شيبتنى ليس الأأن يكون له دخل فى الشيبة لاأن يكون مستقلا فيه فلا ممانعة انتهى كلامه والعجب منه أيضا أن التخصيص برواية ابن عباس كان أقوى فلم ذهل عنها فتدبر (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وجاز عليه العطف مع انه لم يوكد بمنفصل التمام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك هذا حاصل ماذكر فى الكشاف قوله وآمن معك يشير الى ان فى الكلام تضمينا والافليس لهم مصاحبة فى التوبة بل المعية فى الايمان (ولاتطغوا) ولاتخرجوا عما حدّ لكم وبين لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم عليه فهو فى معنى التعليل للامر والنهى كذاذكره البيضاوى ففيه اشارة الى كمال حال الحبيب عليه السلام لانه أمر بالاستقامة على الدوام ولاشك انه يستقيم به عليه السلام فى جميع الاحوال فى العقائد والاعمال ولايخفى ان هذه الاستقامة بالوجه الذى ذكر أعلى مراتب الاخيار فهو منصب سيد الابرار كماذكرت فى قوله تعالى فى سورة النساء من يطع الرسول فقد أطاع الله ان هذا من أقوى الدليل على انه عليه السلام معصوم فى أوامره ونواهيه وأفعاله فليطالع ثمة (أقول) فانظر الى لطف معاملته سبحانه مع حبيبه عليه السلام لانه لما أمره بالاستقامة خاطبه بلفظ الافراد ولما نهى عن الطغيان أعرض عن الافراد الى صيغة الجمع الى أنه كأنه لغيره لاله عليه السلام فهذا أيضا مبرة عظيمة ألهمنى بها ربى ۞ قال الله تعالى (وكلا نقص عليك) كل نبانقص عليك أى نخبرك به فالتنوين فى كلا عوض عن المضاف اليه وكلا مفعول نقص (من أنباء الرسل) فهو فى موضع الصفة لما أضيف اليه كل لالكلا لان النصيح وصف المضاف اليه نص عليه ابن الحاجب كذافى بعض حواشى البيضاوى وفى الكشاف ان من أنباء الرسل بيان لكل قال بعضهم فيه أن تفسير كل نبابالانباء غير صحيح ظاهر انتهى (أقول) ليس هناك تفسير كل نبابالانباء بل ببعض الانباء فلامنافاة وأيضا فى الكل معنى الجمعية فلاممانعة فتدبر (مانثبت به فؤادك) مايطيب ويسكن به قلبك لنزيدك يقينا ويقوى قلبك فان النبى عليه السلام كان اذاضاق صدره بمايكون من أذى قومه فى الله يقص الله تعالى عليه شيأ من أخبار الرسل مع أممهم ليثبت به فؤاده قال البيضاوى وهو بيان لكلا أوبدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص انتهى فيه انه من شرط البيان أن لا يخالف متبوعه فى التعريف والتنكير كذافى مغنى اللبيب وهنا خالف وأيضا المفهومان متغايران وذاغير سائغ فى المبين والبيان وأجاب عنه البعض فى حواشيه ولايبعد أن يكون مراد المصنف البيان المعنوى بأن يكون مانثبت خبر مبتدا محذوف والتقدير هو مانثبت (أقول) مقابلة البيان بالبدل فى كلام المصنف تشعر بأن يكون المراد منه البيان الاصطلاحى ولايخفى مافى توجيه المحشى من التكلف فى بيان كلام الله تعالى بلامس حاجة اليه فيه لاصلاح كلام الغير فتأمل (وجاءك فى هذه) أى فى هذه السورة أوفى هذه الانباء المقتصة فيها (الحق) ماهو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة ولقد علمت مماسبق ان المراد من أقاصيص المرسلين تطييب قلب سيد الثقلين فيكون ذكر جميع أخبار الرسل لمراعاة قلب موضح السبل ولايخفى انه فضل مبين وشرف بين وفى هذه السورة الكريمة تشريفات لسيد

الدالة وعلى فرقة الاحباب والمقربين ولم ينظر الى جانب السماء فى تلك السنين ونبت من دموعه شجر العود والصندل وأنواع من الطيب ومن دموع حوّاء شجر القرنفل ولما مضى أحواله الكريمة وشؤنه الشريفة على هذا المنوال توجه يوما من الايام الى جانب السماء فنظر الى ساق العرش فاذافيه لااله الا الله محمد رسول الله وعند ذلك قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتى وتقبل توبتى فتاب الله سبحانه عليه ونزل جبريل باذن الملك الجليل الى الارض وقال ياآدم ارفع رأسك فان ربك أجاب دعوتك وغفر خطيئتك فرفع عليه السلام رأسه من الخجل وحمد الله عزوجل وكان آدم عليه السلام مستغرقا فى الماء والطين الحاصل من البكاء والحنين فاخذه جبريل وقلعه من الطين كماتقلع الشجرة القوية من أصلها وقدجاء فى الاخبار مامعناه ان الله جل قدسه أوحى الى آدم انك توسلت بحبيبى محمد فى قبول توبتك وعفو خطيئتك وعزتى وجلالى لوتوسلت به فى غفر جميع المؤمنين الخاطئين لفعلت كرامة

البريات غيرماذكرنامن الآيات من قران ذكره الكريم بذكره عليه السلام وغيره لكن اكتفينا بهذه الاشارة

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى قص على حبيبه أحسن القصص والصلاة والسلام عليه مادام قاص يقص وعلى من تمسك بشرعه من العبارة والاشارة والنص ۞ (هذا شروع فى بيان المناقب المتعلقة بسورة يوسف عليه السلام) ۞ قال الله تعالى (الر) الله أعلم بمراده بذلك وقيل معناه الله بعث جبريل به الى الرسول كذا فى التيسير فلا يخفى عليك ما فيه من التعظيم الحاصل من القرآن (تلك آيات الكتاب المبين) وجه مناسبتها لما قبلها من السورة المتقدمة أن فى السورة التى قبلها وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكان فى تلك الانباء المقتصة مالاقى الانبياء عليهم السلام من قومهم فاتبع ذلك بقصة يوسف عليه السلام ليحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب وتلك اشارة الى آيات السورة أشار اليها قبل تلاوتها كقول الصكاك هذا ذكر ما وقف به فلان مثلا والكتاب المبين السورة اى تلك الآيات التى أنزلت عليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم أو التى تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر كذا فى الكشاف (انا أنزلناه) أى الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام كذا فى الكشاف (قرآنا عربيا) سمى هذه السورة قرآنا مع انه اسم لجميع السور القرآنية لانه فى أصل اللغة اسم جنس بمعنى الجمع أو المقروء فيكون تسميتها به باعتبار الحقيقة اللغوية لانه من قبيل اطلاق اسم الكل على الجزء لكنه صار علما لجميع السور بالغلبة فهو حال موطئة وهى اسم جامد موصوف بصفة هى الحال فى الحقيقة كذا فى الرضى أو حال لانه مصدر بمعنى المفعول وعربيا صفته وغير ذلك من الاحتمالات (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة قيل وقد يبقى لعل على أصله ويكون الرجاء من جانبهم (نحن نقص عليك أحسن القصص) قال الامام النسفى فى التيسير سأل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عنه النبى عليه السلام لم سمى الله تعالى هذا أحسن القصص قال لان المخبر هو أحسن القائلين والمخبر عنه هو أحسن الناس وجها فان يوسف عليه السلام لم يكن بعده أحسن فى الحسن مثله فقالت عائشة رضى الله عنها هو أحسن أم أنت يا رسول الله قال هو أحسن خلقا وأنا أحسن خلقا فقالت عائشة لم تخبر الناس به قال ان لم أقل أنا فقد قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فنزل جبريل عليه السلام وقال أخبر الناس ان نورك ونور يوسف اقترعا فى صلب آدم فصار الحسن والجمال ليوسف والذكر والشرف والنور والحبور والضياء والبهاء والعفاف والكفاف والهمة والرفعة والعلم والحلم والفضل والعدل والعزم والحزم والسيادة والسعادة والحوض والشفاعة والدعوة والاجابة والقضيب والناقة والتاج والعمامة والسيف والهراوة والصبر والقناعة والنسك والانابة والرحمة والرأفة والوقار والسكينة والشريعة المرضية والاحكام الحنيفية والصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة والسمع والطاعة والصف والجماعة والتأذين والاقامة والتكبير والتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والحج والعمرة والبلد المحرم والمسجد المعظم وزمزم والمقام والمشعر الحرام والقرآن الحكيم والخلق العظيم والآيات

لحبيبى محمد انتهى شعر

ايا خير مولود ويا خير والد
وخير شفيع يدفع الهول والضرر
لقد خصك المولى بكل كرامة
وقد كنت قدما شافعا لابى البشر
وما ثم من يرجى ولا ثم شافع
ولا كان من يدعى قريشا ولا مضر
فكن لى يا خير النبيين شافعا
فقد مسنى ضر المذلة والخور

روى ان الحبيب صلى عليه القريب المجيب نزل مكة فى صلب آدم ونزل السفينة فى صلب نوح ونزل النار فى صلب ابراهيم ويدل عليه قصيدة العباس رضى الله تعالى عنه المشهورة وهذه منها وهى التى بقيت فى خاطرى

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
نزلت نار الخليل مكتتما
فى صلبه أنت كيف يحترق
وأنت لما ولدت أشرقت الا
أرض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ
ـنور وسبل الرشاد نخترق

وهكذا نقل من الاصلاب الساجدة الى الارحام

المنصلات والكلمات المتلوّات والازواج الطاهرات والعلوفى الدرجات والبراق والمعراج والمقام المحمود والحوض المورود والحضر المشهود والافق الاعلى والمقام الادنى وسلام الله الاعلى هذه كلها الك انتهى (أقول) ولقد تضمن أحسن القصص من قصة خير البشر عليه السلام مالا يخفى والقصص اما مصدر بمعنى الاقتصاص وأحسن منصوب نصب المصدر لاضافته الى المصدر أى نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص لانه اقتص على أبدع الاساليب أوفعل بمعنى المفعول تقدير الكلام نحن نقص عليك أحسن ما يقص لاشتماله على الحكم والتجارب والآيات أشير الى ان اللام فى القصص موصولة بمعنى الذى والظاهر انه أحسن ما يقتص فى بابه كما يقال فى الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد فى فنه والافليس أحسن الاقاصيص كيف وفيها قصة سيد المرسلين واشتقاقه من قص أثره اذا تبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ماحفظ منه شيأ فشيأ كما يقال تلا القرآن لانه يتلو أى يتبع ماحفظ منه آية بعد آية (بما أوحينا اليك) بايحائنا اليك فتكون ما مصدرية (هذا القرآن) يعنى السورة ويجوز أن يجعل هذا مفعول نقص على ان أحسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة واللام الفارقة (أقول) وفى هذه القصة الحسنى ما يقرر من فضائل الحبيب عليه السلام على ما نزل به جبريل عليه السلام كما ذكرنا فى صدر الكلام من حديث السؤال من وجه التسمية ولانه سبحانه سلى وطيب قلب حبيبه بقوله نحن نقص عليك أحسن القصص عن ايذاء الاقارب كما سلاه عن ايذاء الاجانب فى آخر السورة التى تلاها بقوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل وأيضا فى اسناد الاقتصاص الى ذاته العالية من اكرامه عليه السلام لانه كلما كان المخاطب أعظم كان المخاطب عظيما لاسيما اذا كان المخاطب هو الحق سبحانه مع الاشارة الى أنا بالذات نعتنى بتطييبك وتسليتك فتأمل ۞ قال الله تعالى فى تمام القصة (ذلك) مبتدأ اشارة الى ما ذكر من أنباء يوسف والخطاب فيه للرسول (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبر المبتدا (وما كنت) يا محمد (لديهم) عند أولاد يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) أى عزموا على القاء يوسف فى الجب (وهم يمكرون) اعلم ان فى هذه القصة بالمخاطبة والمذاكرة مع الحبيب عليه السلام والختم بهما من المعاملة الجميلة والملاطفة الدقيقة ليكون البدء والختام على ذكر الحبيب مالا يخفى على ذوى الافهام ۞ قال الله تعالى (حتى اذا استيأس الرسل) غاية حتى محذوف دل عليه الكلام أى لا يغررهم تمادى أيامهم فان من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى وظن قومهم ان الرسل قد كذبتهم فى وعيد العذاب روى عن ابن عباس انه قال معناه ضعف قلوب الرسل يعنى وظنت الرسل انهم كذبوا فيما وعدوا وكانوا بشرا وضعفوا ويئسوا وظنوا انهم أخلفوا ثم تلا أى ابن عباس وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله كذا ذكره محيى السنة فعلى هذا كان المراد من الظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجائزين فغير جائز (جاءهم نصرنا) أى جاء الرسل نصرنا (فنجى من نشاء) فنجى فعل ماض لما لم يسم فاعله والقائم مقامه من وهم مؤمنون (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) أى المشركين ولقد

الطاهرة الى ان طلع بين الابوين كشمس الضحى صلى الله تعالى عليه وسلم عدد الرمل والحصى وروى الامام السهيلى فى الروض عن الواقدى ما معناه انه كان يسمع تلبية الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك فى موسم الحج من صلب الياس ابن مضر وقد رأينا ان نذكر نسبه النفيس هنا الى عدنان لعدم اختلاف علماء النسب اليه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان

(الباب الثانى)

فى طلوع شمس ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم من سماء الارواح الى عالم الاشباح وتنفس صبح سعادته من أبراج الارهاصات وأفق المعجزات روى عن أبى الحسن البكرى ما حاصله انه لما أراد الرب الجليل ان ينور العالم بهذا النور الجميل ألقى على قلب عبد الله بن عبد المطلب محبة النكاح وقال لامه انى أحب ان

علمت ان الآية الجليلة اشارت الى كمال الحبيب عليه السلام لان هذا الداس والظن لم يحصل له
عليه السلام بما يصرح ما قلنا حكاية الله سبحانه عنه عليه التحيات في قوله تعالى اذ أخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وغير ذلك من
جلائل أحواله السنية تمت الفضائل المتعلقة بسورة يوسف عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله على حماية الاخيار والصلاة على حبيبه سيد الابرار
(هذا شروع في الفضائل المتعلقة بسورة الرعد) قال الله تعالى (له) أي لمحمد عليه السلام
(معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) الآية روى عن جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال له معقبات يعني لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من
بين يديه ومن خلفه يحفظونه بامر الله يعني من شر الجن وطوارق الليل والنهار من أمر الله أي
بأمر الله يدل عليه قراءة علي وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم بأمر الله ويجوز أن يكون ايراد
المعقبات جمع تأنيث لكون المراد بها الجماعات ففيه من اكرام الله سبحانه حبيبه حيث جعل الله
سبحانه له جماعات من الملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه من أصناف المؤذيات مع ان الله
تعالى هو الحافظ للبريات سيما حبيبه وذلك ليعلم ان الله تبارك وتعالى خصه بهذا الاكرام وكل
ذلك من مقتضى مقام المحبة قال الله تعالى (ويسبح الرعد بحمده) قال الامام محيي السنة أكثر
المفسرين على ان الرعد اسم ملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه (والملائكة
من خيفته) من خيفة الله تعالى فان خوفهم في أعلى مرتبة بحيث لا يفرقون عينهم عن شمالهم
(ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب المهلك فتنزل من البرق فيحرق من تصيبه كذا في
معالم التنزيل (فيصيب بها من) مفعول يصيب (يشاء) ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء
اصابته (وهم يجادلون في الله) والحال انهم يخاصمون في الله على أحد الاحتمالين المذكورين
في تفسير القاضي (وهو شديد المحال) المماحلة المكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاد
وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف في استعمال الحيلة كذا ذكره البيضاوي عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال أقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخلا المسجد واستشرف الناس
بجمال عامر وكان أعور وكان من أجمل الناس فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد
أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد مالي ان أسلمت قال
لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك لي وانما ذلك الى الله
يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال أجعل لك
أعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان عامر أوصى الى اربد بن ربيعة اذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل
يخاصم رسول الله ويراجعه فدار اربد خلف رسول الله ليضربه بالسيف فاخترط من سيفه شبرا
ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرأى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة
في يوم صحو قائظ فأحرقه وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملأنها عليك

تخطبين الى امراة ذات حسن وجمال وصاحبة قدر واعتدال وان يكون نسبها عاليا وحسنها غاليا قالت أمه سمعا وطاعة وسهلا وكرامة يا بني فشرعت في تفتيش قبائل قريش وبنات العرب ولم تترك بنتا ذا حسب ونسب ولا بنتا ذات حسن ودلال وبهاء وجمال الا دخلتها ورأتها الا انها لم يعجبها الا جمال آمنة بنت وهب ثم عاودت الى ابنها ونثرت أحوال تلك اللآلي وقالت يا بني ان أحسنهن جمالا وألطفهن قدا واعتدالا هي آمنة بنت وهب واني لا أرى لك غيرها وقال يا أمي لو نظرت اليها مرة أخرى لكان ذلك أقرب الى الاحتياط لان النظرة الاولى لا تخلو عن الانحطاط فرجعت اليها فاذا هي متغمدة بالانوار وانها دهشت حين رأتها تلك الاطوار كأنها أحاطتها النجوم والاقمار فخطبت آمنة من أبيها وأمها لعبد الله بن عبد المطلب فساعدهم سعادة الجد واتفقت كلمتهم في أن يجعلوها مهبط القمر الفرد النبي الامين حبيب رب العالمين فارسل عبد الله بن عبد المطلب الى آمنة بنت

خملا بجردا وفسانا مردا فقال النبي عليه السلام يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر في بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز ياملك الموت ويقول واللات لئن أصحر الى محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برمحي فارسل الله تعالى اليه ملكا فلطمه بجناحه فاداره في التراب وخرجت في ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة بعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله تعالى دعاء النبي عليه السلام فقتل عامرا بالطعن واربد بالصاعقة كذا ذكره الامام محيي السنة اعلم ان الحق سبحانه أظهر في هذه الآية الكريمة علو مكانة حبيبه عنده حيث عذب من قصده بالسوء بأشد التعذيبات وأجاب دعاءه في ساعته انه تعالى مجيب الدعوات وذلك من مقتضى رفعه بالدرجات على جميع البريات ﷺ قال الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وعن مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم قيل في بيانه انه أطلق عليه عليه السلام الذكر مبالغة كرجل عدل لكونه سببا للذكر آمرا به فيكون من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب وقيل المضاف مقدر أي بذكر رسول الله فيكون مجازا بالحذف ففي ذلك من بيان المحاسن والمفاخر ما لا يخفى لانه سبحانه ذكر ذكره الكريم وأراد حبيبه عليه السلام وذلك تعظيم لا يخفى على كل غبي وكيف يخفى على ذكي بل فيه غاية التعظيم ونهاية التبجيل وأيضا في مدحه سبحانه اياه بان محمدا تطمئن به القلوب ما فيه اللهم اجعلنا من الذين تطمئن قلوبهم بك وبحبيبك آمين تمت الفضائل المتعلقة بسورة الرعد

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي نعمته لا تحصى فشكرها كيف يؤدى والصلاة والسلام على حبيبه المجتبى وحبيبه المصطفى ﷺ (الفضائل المتعلقة بسورة ابراهيم عليه السلام) قال الله تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) فيه تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم من صنيع المشركين كذا في الحدادي عن ابن عباس في قوله تعالى الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم والله كفار قريش وقال عمرو هم قريش ومحمد صلى الله عليه وسلم نعمت الله كذا ذكره محيي السنة في تفسيره (وأحلوا قومهم دار البوار) أنزلوا قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار الهلاك كذا ذكره الامام محيي السنة ففيه ثناء على الحبيب بأصنافه حيث نص الحق سبحانه بأنه عليه السلام نعمته على الحق وكأنه جعل سائر النعم من توابعها ﷺ قال الله تعالى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وأصل الاحصاء العد بالحصى ثم صار حقيقة في العد مطلقا لكن المراد ههنا ما فسر به آنفا قال بعضهم في هذه الآية بلاغة عظيمة حيث قال نعمت الله ولم يقل نعم الله والتاء للوحدة بحسب الاصل والعد يقتضي الكثرة حيث جمع بينهما بكمال الصحة في الكلام مع التضاد بينهما في الظاهر ففيه ايماء الى ان النعمة الواحدة ولو كانت للوحدة حقيقة تشتمل على نعم لا تحصى انتهى حاصل ما قاله البعض (أقول) كمحمد المصطفى عليه من الصلوات أزكاها ونقل عن سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها انه قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم كذا ذكر في الشفا في تعريف حقوق المصطفى (أقول) الظاهر ان الباء في بمحمد زائدة تقديره نعمته محمد ويؤيده ما وقع في نسخة مروية عن المصنف نعمته محمد ويجوزان

يكون

رتبـه بهو ابتهالا وقبة من الذهب الابريز ووقية من الفضة الخالصة ومائة من الابل ومائة من البقر ومائة من الغنم وهيؤا لوازم الوليمة والسرور وبعثوا الشهور الضيافة وأبرزوا أسباب الحبور وأرسلوا الى قبائل العرب والوفود الاجتماع في اليوم السعود المعهود فأجابوها وأقبلوا اليها فوجا فوجا واجتمعوا هنالك متناصفا وحصل الابتهاج والهناء في العالم وأهله لقرب العهد والورود للحبيب المكرم الموعود ووقع الاجتماع ليلة جمعة فاستقر ذلك الدر اليتيم في صدف الوجود والحمد لله واهب كل منشود ومقصود وفي المواهب اللدنية عن الخطيب البغدادي عن سهل بن عبد الله التستري ما معناه ان الله جل قدسه أمر رضوان في تلك الليلة أن يفتح أبواب الجنة كرامة لورود الحبيب في عالم الوجود وقد جاء في الآثار ان جميع أصنام الارض سقطت على وجوههم في تلك الليلة وان ابليس لعنه الله تعالى صعد على جبل أبي قبيس وصاح صيحة عظيمة ورن رنة هائلة وأثار على رأسه الرمال والحصى ودعا على

يكون النعمة بمعنى الانعام نعمة بمحمد أى انعامه محمد اللامة فعدم الحصر والطاقة فى تعداد هذه النعمة أعنى محمدا عليه السلام يحتمل أن يكون لاشتمال وجوده فوائد ومحاسن ومن فوائده الاولى والاخرى مالا يحصى حتى صار رحمة للعالمين وشفيع المذنبين وغير ذلك فلا يقال ان النعمة الواحدة كيف لاتحصى فنطقت الآية الكريمة بأفصح اللسان ان حبيب الرحمن ونبى الانس والجان نعمة الله سبحانه على عباده بحيث لا يقدرون وصف فوائده ومحاسنه أبد الآبدين ﷺ قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام (ربنا انى أسكنت من ذريتى) من للتبعيض أى أسكنت من ذريتى ولدا كذا ذكره محيى السنة (بواد غير ذى زرع) يعنى وادى مكة فانه حجرى لا ينبت (عند بيتك المحرم) الذى حرم التعرض له والتهاون به ولم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه فلذلك سمى عتيقا أى أعتق من الطوفان روى ان هاجر كانت لسارة زوجة خليل الله عليهما السلام فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منها اسمعيل فغارت منهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فاخرجهما الى أرض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى ألباننا ففعلت (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت وهذا النداء تأكيد للنداء السابق فلا ينافى تعلقها بما قبله ولا يتوجه أن يقال ان النداء يقتضى صدر الكلام وهو ينافى تعلقها بما قبله لان هذا النداء غير مستقل بل تأكيد وتكرير الاول وما قلتم فى المستقل تأمل فحاصل المعنى أى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم كذا أفاده البيضاوى والحصر مستفاد من قوله ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فانه مشعر بانه لا غرض دنيوى فى اسكانهم عند البيت المحرم (فاجعل أفئدة من الناس) أى أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم كذا فى الكشاف (تهوى اليهم) مفعول ثان للجعل كذا فى بعض حواشى البيضاوى وتهوى اليهم أى تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا كذا فى الكشاف (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) على بمعنى مع (اسمعيل واسحق) روى انه ولد اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء) أى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل فعله أضيف الى مفعوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله مجازا كذا ذكره البيضاوى فان قلت كيف يجوز هذا والمتعدى من الصفات لا يضاف الا الى مفاعيلها قيل فى جوابه تقدر الفعل لازما كالغريزى ثم يشتق منه الصفة المشبهة من غير نظر الى تعلقه بمفعول فيضاف الى الفاعل (أقول) لا يخفى عليك ان الصيغة المتردد فيها فى حكم الاضافة هى متعدية فى حال الترديد فكيف يتصور ما قال وأيضا الكلام فى صيغة المبالغة لا فى الصفة المشبهة تأمل (أقول) بلطف الله تعالى على يحتمل أن تكون الحكمة فى اسكان

نفسه بالويل والبلا فاجتمع عليه جنوده من جميع النواحى وقالوا مالك تصيح وترن هكذا فتأوه عند ذلك ابليس وتنفس الصعداء وقال ويل لكم أيها الشياطين ان محمدا حملته أمه فى هذه الليلة وخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما معناه كان من علامة حمله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أنعام قريش نطقت بلسان عربى مبين وقالت ان الحبيب المليح والرسول النصيح حملته أمه فى هذه الليلة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم نور الدنيا وسراج أهلها وروى ان فى تلك الليلة أسرة الاكاسرة انكسرت وشرف ايوان كسرى تساقطت وبحيرة ساوة غاضت واسطوانات الولاة تزلزلت ووحوش المشرق الى وحوش المغرب ذهبت وأظهرن البشارة فيما بينهن بمقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وسكان البحر اختلطت بعضهن بعضا واستبشرن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ينادى فى كل شهر من شهور الحمل الكريم فى السموات والارضين ويقال أبشروا بقرب المصطفى الامين وروى

الخليل من ذريته عند البيت المكرم أن يولد ويبعث الحبيب عليه السلام في أكرم البقاع الى الله
تعالى كما انه عليه السلام أكرم الخلائق اليه لان اسمعيل جد نبينا عليهما الصلوات ويحتمل أن
تكون الحكمة في تقديم ذكر اسمعيل على اسحق في الآية الكريمة لكونه جد حبيب الله عليهم
الصلوات وان كان اسحق عليه السلام جداً أكثر الانبياء ولم يثبت عندي لاسمعيل عليه السلام ولد
مرسل غير حبيب الله عليهما الصلوات لكنه واحد كألوف وأيضا طيران الافئدة كما سأله خليل
الله الى ذريته لم يحصل بكماله الا للحبيب الله كما نشاهده في هذا الزمان اعلم ان الحكمة التي بينتها
لم توجد فيما عندي من الكتب الا أني كتبتها على وفق ما ألهمت به بل عامة الفضائل التي كتبتها
في حق خير الاوائل والاواخر كذلك ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الحمد
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله تمت الفضائل المتعلقة بسورة ابراهيم عليه
السلام اعلم أيها الصادق في حب حبيب الله عليه صلوات الله أنه لما بلغ نظمي وتحريري هذه
الدرر الغالية الى هذه السورة العالية حصل في عيني رمد منعني بأمر الله تعالى من الجمع
والتاليف ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي انه عليه السلام ذهب معي الى جناب رب
العالمين فأوقفني في جناب عزته وشهد لي في بعض الامور فكلما شهد لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم صدق وشهد لي في هذه الفضائل التي نظمتها فكذلك صدق لكن لا أرى الحق سبحانه بل أسمع
التصديق منه جل وعلا فلما تم أمرنا انصرف حبيب الله وأنا معه فنودي رسول الله باقترب وأظن
أنا ان هذه الكلمة آخر سورة العلق فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا بهذا النداء
وأنا أتوقع رجوعه الي فلما سمعت كلمة تدل على القرب منه تعالى حصل لي وجد أوقعت نفسي الى
الارض ساجدا وصرت أمسح وجهي وصدري الى الارض شوقا الى القرب ثم أفقت وكنت
أطلب رسول الله وحصل لي خوف لان هذا المحل كان خاليا عن البشر فقلت لنفسي ويحك أنت
تخاف في موضع حصل فيه هذه المحبة العظمى والحالة الكبرى وقرأت آية الكرسي فانتبهت
من هذا المنام فليتني لم أتنبه منه فوالله ان هذا الشيء عجيب في حقي لاني أنا العاصي أين التراب وأين
الرب وأين حبيب رب الارباب ولكن لا عجب من رحمة الله لسبقها ولا يأس من روح الله
وأرجو الله سبحانه أن يفيض علي آثار هذه الرؤيا في الدنيا والاخرى * ورحم الله عبدا قال آمينا *
(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أقسم بحياة خير برياته ونصلي ونسلم عليه كما أمرنا
ربنا في آياته ۞ (هذا شروع في المناقب المتعلقة بسورة الحجر) ۞ قال الله تعالى (انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون) قيل الضمير في له راجع الى محمد تقديره وانا لمحمد لحافظون ففيه تعظيم له
عليه السلام حيث أسند الحفظ الى ذاته الكريمة بالتأكيد وسلاه بكونه محفوظا ورد القاصدين
له بالسوء ۞ قال الله تعالى في تمام حكاية قوم لوط (لعمرك) مبتدأ خبره محذوف واللام للابتداء
والتقدير لعمرك قسمي وجواب القسم قرينة عليه والعمر بالفتح والضم واحد الا أن المفتوح
يختص بالقسم (انهم لفي سكرتهم) حيرتهم وضلالتهم (يعمهون) يترددون فكيف يسمعون
نصحك وقال قتادة أي يلعبون والضمائر الغائبة راجعة الى قوم لوط وقيل الضمائر لقريش
والجملة اعتراضية (أقول) وصيغة المستقبل على الاول يجوز أن تكون لاستحضار الحال العجيبة
اتفق أهل التفسير انه قسم من الله عز وجل بمدة محمد صلى الله عليه وسلم معناه وبقائك يا محمد

ان آمنة لما حملته صلى الله
تعالى عليه وسلم حسدتها نساء
العرب حتى ماتت مائة منهن
أسفا على رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يقول
ناظم هذه الدرر النفيسة
الظاهر انهن عرفن ذلك من
جهة الكهان ويؤيد ذلك
ماروي ان امرأة من العرب
كاهنة ذات جمال ومال كانت
تشاهد في جبهة عبد الله نور
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عرضت يوما
على عبد الله أموالا كثيرة
للاجتماع معها وكان
هذا قبيل الخلوة مع آمنة
فأبى ذلك عبد الله وبعد
ما أودع ذلك النور في رحم
آمنة صادف عبد الله
تلك المرأة في الطريق وقال
لها لو أعطيت ما عرضت من
المال لقضينا حاجتك وقالت
يا عبد الله ارفع عن رأسك
الخيال المحال واني انما
بذلت المال للنور الذي كان
في جبهتك وهو الآن قد زال
عنك ونقل الى غيرك ويحتمل
أن يكون من طرف أهل
الكتاب ويحتمل غير ذلك
وفي الخبر الخطير ما معناه
ان الله جل قدسه لما
أراد أن ينور العالم بمصطفاه
ويزيح الشرك والفجور
بحبيبه ومجتباه نادى رئيس
الكروبيين جبريل الامين

وقيل وعيشك وقيل حياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف اعلم أن الله تعالى أقسم في القرآن بخمسين شيئا من ذات حبيبه عليه السلام وصفاته ومضافاته فبعمره بقوله لعمرك وبعصره والعصر وبنون جماله نون والقلم وبقدره وكماله ق والقرآن وبصدقه وصفائه ص والقرآن وبحلمه وعلمه وسنائه ومنبره وقهره وقدره حم عسق وبكفايته وهدايته ويمنه وعزه وصدقه كهيعص وبلده ومحله ووالده وولده لا أقسم بهذا البلد الى قوله وما ولد وبليله ونهاره والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وبوجهه وشعره والضحى والليل اذا سجى وبدينه وانتشار شرعه والشمس وضحاها وبسناء سنته والقمر اذا تلاها وبصبح دعوته والفجر وبنجوم كتابه المنزل والنجم وبجرى جياده العاديات وباغارة صباح أصحابه فالمغيرات صبحا وبنزع غزاته أقواسهم والنازعات غرقا وبطهارته وهيبته طه وبملائكة وحيه والمرسلات عرفا وبرياح نصره والعاصفات عصفا وبآيات كتابه فالفارقات فرقا وبصفوف جماعته والصافات صفا وبمجتبي أمته فالزاجرات زجرا وبالتالين والقراء من صحابته فالتاليات ذكرا وبجوامع كتابه وكتاب مسطور وبمخدراته والبيت المعمور وبحر علمه أعني صدره والبحر المسجور وبسقف مسجده والسقف المرفوع كذا ذكره صاحب القاموس في كتابه المسمى ببصائر ذوي التمييز في لطائف القرآن العزيز (أقول) فتبصر واستقم وذكر في المواهب اللدنية وقد روي ان عمر بن الخطاب قال للنبي عليه السلام بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان أقسم بحياتك دون سائر الانبياء ولقد بلغ من فضيلتك عنده أن أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره وقال ما أقسم الله بحياة غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده كذا ذكره القاضي عياض في الشفاء ۞ قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) أكرمناك يا محمد بسبع من المثاني كذا في تفسير الحدادي وهي فاتحة الكتاب قاله أكثر المفسرين والسبع من بيان للسبع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى كذا قيل (أقول) وعلى ثناء حبيبه أيضا كما ذكر في تفسير الفاتحة والواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وقيل سمي أم القرآن مثاني لان الله تعالى استثناها لمحمد عليه السلام وذخرها له دون الانبياء وروي عن الامام جعفر الصادق السبع المثاني في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني معناه انا أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة فعلى هذا التفسير غنى عن البيان بالاقلام (والقرآن العظيم) قال البيضاوي فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص انتهى فيراد الوجه الاول ان أريد بالقرآن المجموع الشخصي والوجه الثاني ان أريد به القدر المشترك الصادق على الكل والبعض كما بين في الاصول (أقول) وصاحب التوضيح رجح الارادة الثانية بل صوبها فعلى هذا كان الاليق بحال القاضي أن يقدم الوجه الثاني على ما ذكره أولا مع انه قيل ليس لعطف الكل على البعض نظير ففيها اكرام لنبينا عليه الصلاة والسلام واصطفاء على الانبياء كلهم كما ذكرناه في التفصيل آنفا وفي فضل الفاتحة ۞ قال الله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فاخبر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها وما مصدرية أي فاصدع بالامر المراد بالمأمور (وأعرض عن

عند حملة العرش الاعلى وسدرة المنتهى وعند الجنة العليا وفي السموات بأعلا صوته يا حملة العرش ويا أهل السدرة ويا أهل الجنة ويا أهل السموات ان كلمة الله تعالى تمت وحكمته نفذت وانه سبحانه أنجز وعده بايجاد البشير النذير الامين المأمون المنظور المصون المجاهد في الله حق الجهاد مصطفى العباد ضياء البلاد خاتم النبيين رحمة للعالمين المسمى بأحمد ومحمد وطه ويس الناسخ دينه سائر الاديان وهو باذنه سبحانه الآن قدم من عالم الارواح الى فضاء الاشباح وأودع ذلك الدر في صدف آمنة بنت وهب بالسعادة والفلاح فلما سمعت الملائكة هذه البشارة العظمى حمدوا ربهم فأثنوا عليه بما هو أهله بالتقديس والتهليل والتمجيد وبشرت الملائكة بعضهم بعضا وأظهروا البهجة والهناء ثم رفع حجب الانوار وتجلى رب الابرار للملائكة الاخيار كرامة لمقدم حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما تشرفت أهالي تلك البقاع المعطرة بتجلي الجمال الذي هو أعلا الآمال وببشارة

المشركين) فلا تلتفت الى ما يقولون (انا كفيناك المستهزئين) بك يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام فاصدع بامر الله ولا تخف أحدا غير الله فان الله تعالى كافيك على من عاداك كما كفاك المستهزئين كذا ذكر الامام محيى السنة هم خمسة نفر أهلكهم الله فى يوم واحد العاص ابن وائل نزل شعبا من تلك الشعاب فلما وضع قدمه على الارض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه وعدى بن قيس أكل حماما فخافأصابه عطش شديد فلم يزل يشرب حتى أنشذ بطنه فمات مكانه والاسود بن المطلب بن الحرث قعد الى أصل شجرة فجعل جبريل عليه السلام يضرب رأسه على الشجرة حتى مات وكان يستغيث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحدا صنع بك شيأ غير نفسك والاسود بن عبد يغوث خرج من أهله فأصابه السموم فاسودّ حتى صار حبشيا وأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب فمات والوليد بن المغيرة يتبختر فى مشيته حتى وقف على رجل يعمل السهام فتعلق سهم بثوبه فجعل رداءه على كتفه فأصاب السهم أكحله فقطعه ثم لم ينقطع الدم حتى مات (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم فى الدارين كذا ذكره البيضاوى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم كذا فى الكشاف (أقول) يخالفه ظاهرا ما ذكره سعدى من ان الفزع هنا بمعنى الالتجاء تأمل فيه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ودم على عبادة ربك حتى يأتيك الموت أى مادمت حيا فلا تخل من العبادة لحظة (أقول) ففيها بر وتشريف منيف لحبيب الله حيث غار الله تعالى لحبيبه فكفى المستهزئين ولم يمهلهم وذلك غاية الاكرام وسلاه أحسن تسلية وعزاه أحسن تعزية حيث أخلف عما يصيبه من طعن الطاعنين بدوام ذكره وهو نهاية الاشفاق والانعام وأيضا فى بدء السورة بمخاطبة حبيبه حيث قال سبحانه ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وختمها بها حيث قال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ما لا يخلو عن الطائف (وأقول) بدأ السورة بالامر بترك أعداء الله على ما كانوا عليه من ترك ذكر الله تعالى وسجوده وعبادته وختمها بالامر بالاتيان بدوام ذكر الله وسجوده وعبادته بلاغة بديعة لا تخفى على أهلها هذا ما ألهم لى فى هذا المقام والله ولى الالهام تمت الفضائل المتعلقة بسورة الحجر

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى لا تحصر نعمه بالعد فلا ينتهى شكره الى حد والصلاة على حبيبه أحمد ۞ (الفضائل المتعلقة بسورة النحل) * قال الله تعالى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) عن سهل ان المراد من النعمة فى قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها نعمته بمحمد عليه السلام كما ذكرناه فى سورة ابراهيم وهذا النظم مذكور فيها وفى هذه كما ترى والظاهر مما روى عن سهل ان المراد بها فيهما محمد عليه السلام تأمل فعلى هذا تكون من الآيات الدالة على علو مكانته وقربه عند الله تعالى لاسيما فى تكراره سبحانه اياه بكونه نعمة فى القرآن على وجه الامتنان ۞ قال الله تعالى (ان ابراهيم كان أمة) أى كان وحده أمة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير بحيث لا تكاد توجد الا متفرقة فى أشخاص كثيرة وهو عليه السلام

حبيب الملك المتعال أمر ربنا ذو الجلال عبده جبريل مخاطبا سبحانه وتعالى يا رئيس الكروبيين وملكى الامين انزل الى الارض مع مائة ألف من الملائكة المكرمين وفرقهم فى الاقطار والجزائر والبحار وسبع أرضين ببشارة قدوم حبيب رب العالمين فهبط جبريل بالملائكة المأمورين الى الارضين وبشروا المخلوقين أجمعين بقدوم النبى الامين ونشروا عليهم درر نعوته العليا وجواهر صفاته الاسنى فمن علم الله تعالى منهم القبول بتلك البشارة العلية جعلهم من أهل القبول وخصهم بنيل المنشور وحصول الوصول يقول ناظم هذه الدرر الثمينة (اللهم) اجعلنا بجاهك أعظم الجاه ووجهك أكرم الوجوه وحقك أكبر الحقوق من أهل حبك وشوقك وخصصنا بمزايا القبول والوصول وصلى الله تعالى على حبيبه وخليله وسلم شعر

أهلا لسلطان الشهور فانه نور العيون وراحة المحزون
وربيعنا وربيع عبد صالح قد كان فيه ولادة المأمون
لولاه ما عرف القلوب الهها اذ كان منه اقامة المسنون

رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة (قانتا لله) مطيعا له قائما بأوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل الى الاسلام غير زائل عنه (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون أنهم على ملة ابراهيم (شاكرا لانعمه) ذكره بلفظ القلة تنبيها على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بأن حببه الى الناس حتى ان أرباب الملل يتولونه و يثنونه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقنى بالصالحين اعلم انه سبحانه تعالى ذكر لخليله من نعوت المدح تسعا ثم أتم وأكمل هذه التسع بالعاشرة وهو أن يكون سيد الانبياء والمرسلين موحى اليه باتباع ملته وهو قوله تعالى (ثم أوحينا اليك ان اتبع) يا محمد (ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) قال صاحب الكشاف فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى أثنى الله عليه بها انتهى كلامه أراد ان فيه تعظيما لا يكتنه كنهه أما الايذان بأشرف ما أوتى خليل الله صلوات الله فمن دلالة ثم على تباين هذا المؤتى من سائر ما أوتى من الرتب والمآثر وأما تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن حيث الخليل مع جلالة محله عند الله تعالى أجل رتبة ان أوحى الى حبيب الله اتباع ملته وفى لفظ أوحينا ثم الامر باتباع الملة لا باتباع ابراهيم ما يدل على انه ليس تابعا له بل هو مستقل عمن أخذ ابراهيم عنه الا انه لتقدم زمانه أوتى الملة قبله كذا فى كشف الكشاف لعلك علمت ما فيها من التبجيل فاستغنيت عن التفصيل الله ربنا وعليه التعويل نعم المولى ونعم الوكيل تمت الفضائل المتعلقة بسورة النحل

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ومنه الى ماشاء المولى حتى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى والصلاة عليه ما دامت الارض والسموات العلى (المناقب المتعلقة بسورة الاسراء) قال الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) سبحان علم للتنزيه كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها اليه أعداء الله وأسرى وسرى بمعنى واحد وهو السير فى الليل فيكون ذكر الليل اما للتأكيد أو لافادة تقليل مدة الاسراء بطريق استعارة التنوين الموضوع للتقليل بحسب الافراد للتبعيض بحسب الاجزاء لتقاربهما ونصبه على الظرفية وقوله بعبده أجمع المفسرون على أن المراد منه محمد عليه السلام قال الامام الرازى سمعت الامام الوالد يقول سمعت الشيخ الامام أبا القاسم سليمان الانصارى قال لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة والمعراج أوحى الله تعالى اليه يا محمد بم أشرفك قال بأن تنسبنى الى نفسك بالعبودية فأنزل الله تعالى قوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الآية انتهى الاظهر من التفاسير ان المراد من المسجد الحرام عينه لظاهر النظم ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ

(ويروى) عن والدة مفخر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين انه لما مضى من حملى ستة أشهر سمعت هاتفا يهتف و يقول يا آمنة احضرى لولادة الطفل المأمون والنبى المبارك الميمون ولما تم من حملى سبعة أشهر نادى عبد المطلب ابنه عبد الله وقال يا بنى قد قرب من خليلتك ما بعد فوجب علينا أن نهيئ لولادة هذا المولود المودود ضيافة عظيمة ووليمة جسيمة حتى يذكرها جميع الناس فى أنديتهم مدى الشهور والسنين فلا بد لك أن تذهب الى يثرب وتجلب التمرات وتهيئ سائر المهمات فسافر عبد الله الى المدينة فاصابته المنية وفاتته تلك الخدمة البهية وفى تلك الايام وردت القافلة ضاربين الاكباد والناعين والحرقين الاكباد فصاحت آمنة من وحشة الخبر وألقت نفسها على الرمال والمدر وكثر فى القبائل البكاء والعويل وتخلقت آمنة بالانين والحنين والحزن الطويل حتى رحمها عبد المطلب وقال يا آمنة هونى على فراق ابنى فان المنية لم تترك أحدا وان الجزع

أتاني بالبراق الحديث قال البيضاوي واختلف انه كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده
والاكثرون على انه أسري بجسده الى البيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى
سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوا والاستحالة مدفوعة لما ثبت في الهندسة ان ما بين
طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في أقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة في بدن النبي صلى الله عليه
وسلم أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى كلامه ونعم ما نقعه من كلام الامام الرازي
اعترض بعضهم على قول القاضي ولذلك استحالوا فيه ان المعراج بروحه في اليقظة خارق للعادة
محل تعجب انتهى كلامه (أقول) يمكن أن يقال من طرف القاضي ان الكلام في الاستحالة ولا
استحالة في معراج الروح في اليقظة كما في معراجه في المنام فيكون الجسد بعد العروج بالروح
في اليقظة كجسد النائم الذي عرج بروحه على أنه لو كان فيه استحالة لا يكون استحالة معراج
الجسد لان الروح لطيف لا يقاس على الجسد الا ان أخذ الروح من الجسد في اليقظة ثم اعادته
اليه خرق للعادة تدبر (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
(الذي باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام من لدن
موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار (لنريه من آياتنا) الكبرى كذهابه في برهة من
الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم هذا ما رآه
في الارض من الآيات الكبرى واما ما في السماء فخارج عن حد البيان فتأمل (انه هو السميع)
لاقوال محمد (البصير) بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وقيل الضمير عائد الى محمد فيتضمن
فضلا على حسب ما ذكرت في آخر سورة براءة واختلف في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة
بسنة وعن أنس رضي الله عنه والحسن انه كان قبل البعث وتفصيل هذا الاسراء ما ذكر في
أحاديث الاسراء فلنذكر لك شيأ منها ليتضح المقام بلطف الملك العلام قال صلى الله عليه وسلم
لما كان ليلة أسري بي وأنا بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل عليه السلام وقال لي يا محمد قم
فقمت فاذا جبريل معه ميكائيل فقال توضأ فتوضأت ثم قال لي انطلق يا محمد قلت الى أين قال الى
ربك فأخذ بيدي وأخرجني من المسجد فاذا أنا بالبراق دابة فوق الحمار ودون البغل وله وجه كوجه
الانسان وذنبه كذنب البعير وأظلافه كأظلاف البقر وصدره كأنه ياقوتة حمراء وظهره كأنه درة
بيضاء عليه رحل من رحال الجنة خطوه منتهى طرفه فقال لي اركب فلما وضعت يدي عليه شمس
فقال جبريل مهلا يا براق أما تستحي فوالله ما ركبك نبي أكرم على الله من هذا هو محمد عليه
السلام فارتعش البراق وتصبب عرقا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خفض حتى لزق
بالارض فركبته واستويت على رأسه فانتهى بي جبريل عليه السلام نحو المسجد الاقصى يخطو مد
بصره والبراق يتبعه لا يفوت أحدهما الآخر حتى أتيت بيت المقدس فاذا بالملائكة نزلوا من
السماء يتلقونني بالبشارة والكرامة عند الله تعالى فلما وصلت باب المسجد أنزلني جبريل عليه
السلام وربط البراق بالحلقة التي كان يربط بها الانبياء وكان للبراق خطام من حرير الجنة فصليت
في المسجد ركعتين والملائكة خلفي صفوفا يصلون معي ثم أخذ جبريل بيدي وانطلق بي الى

والبكاء لم يردعا بافعليك
بالصبر والاحتساب (روي)
ما مفهومه ان أبا الحبيب
لما توفي حزنت الملائكة
وقالوا يا الهنا وسيدنا وعالم
سرنا ونجوانا ان حبيبك قد
بقي يتيما نحن نقدم لتربيته
ونقوم في خدمته فأجابهم
الجبار جل جلاله يا ملائكتي
أنا أربي حبيبي وأعينه
وأراقبه وأنا خير له من أبيه
وأمه فتسلت الملائكة من
هذا الخطاب المستطاب
وحمدوا رب الارباب (وروي)
عن آمنة ابنة وهب ما معناه
انها قالت حملت بحبيبي محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم
في رجب وكنت ليلة من
الليالي في خلال ذلك الشهر
في لذيذ المنام اذ دخل حجرتي
رجل له جمال ورائحة طيبة
وأنوار وقال مرحبا بك يا محمد
وقلت من أنت يا صاحب
الانوار قال أنا أبو البشر
آدم قلت أي شيء سبب
لقدومكم حجرتي قال يا آمنة
لك البشرى فانك حملت
خير البشر وفخر ربيعة ومضر
وفي الشهر الثاني دخل
حجرتي رجل مبارك وقال
السلام عليك يا رسول الله
قلت من أنتم قال أنا شيث
وقال لك البشارة يا آمنة
فانك حملت صاحب التاويل
والحديث وفي الشهر

الصخرة فصعدبي عليها فاذا معراج أصله على صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء واحدى عارضتيه ياقوتة حمراء والاخرى زبرجدة خضراء ودرجه من زمرذ مكلل بالدر والياقوت فاحتملني جبريل حتى وضعني على جناحه ثم صعدبي ذلك المعراج حتى وصل بي الى السماء الدنيا فقرع الباب فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم ففتحوا الباب فدخلنا فقالوا مرحبا ولنعم المجيء جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت على آدم عليه السلام فقلت يا جبريل من هذا قال أبوك آدم فسلمت عليه فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل ففتحوا لنا وقالوا مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولنعم المجيء جاء فأتيت على عيسى ويحيى فقلت يا جبريل من هذان قال عيسى ويحيى ابنا الخالة فسلمت عليهما فقالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم انطلقنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقالوا من هذا قال جبريل ومعي محمد عليه السلام ففتحوا لنا الباب فقالوا مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال فأتيت على يوسف عليه السلام فقال لي مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم أتينا الى السماء الرابعة فكان من الاستفتاح والجواب مثل ما تقدم فوجدت ادريس عليه السلام فقال لي مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي السماء الخامسة وجدت هرون فقال لي كذلك وفي السادسة وجدت موسى عليه السلام فقال لي كذلك وفي السابعة وجدت ابراهيم عليه السلام فقال لي مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى وان نبقها مثل قلال الجبل وورقها كآذان الفيلة ورأيت أربعة أنهار تجري من أصلها فقلت ما هذه الانهار فقال النهران الباطنان في الجنة وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات وفيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل فقال بل تقدم أنت يا محمد فأنت أكرم على الله مني قال فتقدمت وجبريل على أثري حتى انتهى بي الى حجاب من ذهب فحركه فقيل من ذا قال جبريل ومعه محمد فأخرج الملك يده من تحت الحجاب فاحتملني وتخلف جبريل فقلت الى أين فقال ومامنا الا له مقام وانما أذن لي في الدنو الى الحجاب لاكرامك واجلالك فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين الى حجاب آخر فقال الملك من هذا قال هذا محمد رسول الله معي واحتملني حتى وضعني بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة سنة وما بين الحجاب الى الحجاب خمسمائة سنة ثم احتملت الى العرش فانتهى رسول الله الى حيث شاء الله تعالى ورأى من العجائب والقدر ماشاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم أمرت بخمسين صلاة كل يوم فاقبلت حتى أتيت موسى فسألني بم أمرت فقلت بخمسين صلاة فقال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع واسال ربك لامتك قال فرجعت الى ربي فحط عني خمسا فأقبلت حتى أتيت موسى فذكرت له ذلك فقال ارجع واساله التخفيف وأنا أرجع حتى بقي خمس صلوات فقال موسى ارجع فاساله التخفيف فقلت لقد رجعت حتى استحييت من ربي فنوديت أن قد أمضيت فريضتي وخففت على عبادي وجعلت كل حسنة بعشر أمثالها قال ابن عباس فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الليل الى مكة أخبر قريشا فكذبوه ثم سالوه عن صفة بيت المقدس وما كان عن يمينه حين دخل وما كان عن يساره حين خرج وما مستقبله فأخبرهم بصفاته كلها وقال مررت على عير فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه قالوا فأخبرنا عن عيرنا نحن

الثالث من حملي دخل حجرتي شخص على الاسلوب المسوق وقال السلام عليك يا نبي الله قلت من أنتم قال ادريس ولك البشارة يا آمنة لانك حملت الرسول الرئيس وفي الشهر الرابع منه ظهر في حجرتي رجل عظيم وقال السلام عليك يا حبيب الله قلت من أنتم قال أنا نوح ولك البشرى يا آمنة لانك حملت صاحب النصر والفتوح وفي الشهر الخامس دخل حجرتي شخص عزيز على الطور المرسوم وقال السلام عليك يا صفوة الله قلت من أنتم قال أنا هود لك البشارة يا آمنة لانك حملت الشفيع في اليوم المشهود وفي الشهر السادس ظهر في حجرتي رجل عظيم الشان باهر البرهان وقال السلام عليك يا رحمة الله قلت من أنتم قال أنا ابراهيم الخليل قلت جئت لتشرفنا بقدومك المبارك قال لك البشرى يا آمنة فانه سعد جدك بحمل النبي الجليل وفي الشهر السابع دخل حجرتي رجل حليم وقال السلام عليك يا من اختاره الله قلت من أنتم قال أنا اسمعيل الذبيح لك البشارة يا آمنة لانك حملت النبي المليح وفي الشهر

قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وما أحمالها وما هيئتها قال كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخططتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قال فخرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون لقد وصف محمد أشياء فسنكذبه فلما أتوا كداء جلسوا عليها فجعلوا ينظرون حتى تطلع الشمس فيكذبوه اذ قال قائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال الآخر هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا ولم يفلحوا وسعى أناس من المشركين الى أبي بكر فقالوا يزعم صاحبك انه قد أسرى به الليلة الى بيت المقدس ثم رجع ليلته قال ان كان قال ذلك فقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الى الشام في ليلة واحدة ورجع قبل الصبح قال فكيف لا أصدقه على ذلك فسمي أبو بكر الصديق وأما المشركون فقالوا ما سمعنا بهذا قط ان هذا الا سحر مبين فان قيل انما قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فلم قلتم أسرى به الى السماء قلنا الاخبار في هذا متواترة ظاهرة وما ذكره الله تعالى في سورة النجم دليل على صحة ذلك كذا ذكره الحدادي في تفسيره وفي حديث أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط البراق الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا الذي معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة ثم لقي أرواح الانبياء عليهم السلام وأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة أو في السابعة واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب كذا ذكره القاضي عياض في الشفاء (أقول) لعل هذا الفراش الكائن من الذهب نثر على حبيب الله اكراما واجلالا كما هو ديدن المحبين وفي رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة للخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة * قال تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تباركت وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت الحديد له وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك خليلا حبيبا فهو في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك الى الناس وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني

ولم

الثامن دخل حجرتي رجل كريم وقال السلام عليك يا خيرة الله قلت من أنتم قال أنا موسى الكليم لك البشارة يا آمنة لانك حملت من أنزل عليه القرآن العظيم ولما دخل الشهر التاسع بالسعادة والاقبال دخل حجرتي رجل ذو جمال وقال السلام عليك يا رسول الله قد قرب قدومك الجليل الى عالم الوجود وتزينك اياه قلت من أنتم قال أنا عيسى بن مريم لك البشارة يا آمنة لانك حملت النبي الكريم والرسول العظيم شعر

جاء البشير بوصل سعد أبهر
يحيى بروح أكرم ومطهر
وله الوجوه مثل بدر أنور
وله الجبين مثل شمس أزهر
وله العبادة في جوانح أمه
بحامد المولى بقول أكبر

(وروى) عن الامام الواقدي رحمه الله تعالى ما سمعناه ان في الليلة الاولى من ربيع الاول حصل لآمنة السرور والهنا وفي الليلة الثانية بشرت بحصول البغية والمنا وفي الليلة الثالثة سمعت قائلا يقول ان الذي يقوم بحمد الله تعالى وشكره قد قرب قدومه الى عالم الظهور بالنور والحبور وفي الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة وتقديسهم

ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما كذا ذكر فى الشفاء وفى هذا الباب أحاديث كثيرة من طرق عديدة اكتفينا بهذا او بما قررنا ظهر لك ان هذا الاسراء بخير الانبياء حتى كان قاب قوسين أو أدنى أجل برهان وأعلى تبيان لفضل نبينا عليه الصلوات على سائر البريات لعلمك ان مثل هذا الاكرام أعنى السير من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ومنه الى سدرة المنتهى بخرق السبع العليا ومنه الى ماشاء الملك العزيز المولى بتقريب ليس لاحد أن يتمناه وبعرض جماله لم يكن لغير مصطفاه وبالتكلم بالشفاه وغير ذلك مما لايعلمه الا الله ولم يتيسر لغيره من الانبياء والاصفياء نحمده سبحانه على ان جعلنا من أمة حبيبه ومصطفاه ونرجوه انه هو البر الرحيم أن يحشرنا تحت لواء حبيبه ومجتباه آمين ألف آمين اعلم ان الله تعالى أردف قصة اسراء حبيبه بقوله سبحانه (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) أقول بلطفه ومنه سبحانه وتعالى ففى الكلام فضيلة دقيقة حقيقة بالقبول لسيد أهل الوصول لاتخفى على الفحول وهى انه تعالى ذكر قصة اسرائه بالحبيب عليه السلام مع الاشارة الى أفضل ماخص به الحبيب وفضل به على سائر الانبياء والمرسلين وهو رؤية رب العالمين مشيرا فيها خاصة الى ان الحبيب عليه الصلوات فضل بها على الكليم عليه التحيات يرشدك الى هذه النكتة اللطيفة ارداف القصة الكليمية بالقصة الحبيبية وتقديم قصة الحبيب عليه التحية حيث تلا سبحانه وتعالى قصة من طلب رؤية الملك المتعال عقيب ذكر من نال ذلك وخص بذلك الكمال لانه احتملها الحبيب ولم يتحملها الكليم مع ان الكليم طلبها من ربه فقيل له لن ترانى ولكن انظر الى الجبل وقيل وخر موسى صعقا وأما الحبيب عليه التحية فقيل فيه ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل ولقد رآه نزلة أخرى وأيضا قال تعالى فى حقه مازاغ البصر وماطغى وبينهما بون بعيد فهذه نكتة عجيبة شريفة جدا مما ألهمت بها فى هذا التقرير والتحرير فقلته على وجه التاويل والاشارة بناء على عدم تناهى النكات القرآنية ۞ قال الله تعالى (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) وباحواله فيختار لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبى طالب نبيا وأن يكون العراة والجوع أصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين) المراد منه المعهود وهو نبينا عليه السلام كما فى قوله تعالى ورفع بعضهم درجات (على بعض) بالفضائل النفسانيه والتبرى عن العلائق الجسمانيه لابكثرة الاموال والاتباع حتى ان داود عليه السلام كان شرفه بما أوحى اليه من الكتاب لابما أوتى من الملك (وآتينا داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيل حبيب الله وهو انه خاتم الانبياء وأمته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون ووجه دلالته انه تعالى عطف وآتينا داود زبورا على قوله فضلنا ولما لم يكن وجه تفضيل ذلك المعهود مبينا يكون ذكر هذا المعطوف فى مقام التنبيه عليه (أقول) فوجه فضل الرسول من هذه الاية الكريمة مستغنى عن بياننا لتصريح الله سبحانه اياه وتنبيهه سبحانه عليه بذكر داود وايتائه زبورا جعل الله تعالى بحرمتهم سعينا مشكورا ۞ قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما نصب على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا قيل المراد الشفاعة وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع

ربهم بمسرة ورود الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الليلة الخامسة رأت آمنة فى المنام ابراهيم خليل رب الانام وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يا آمنة لك البشارة فانك تشرفت بالنبى الجليل صاحب العز والثناء الجزيل وفى الليلة السادسة ملئت الاقطار بالانوار وفى الليلة السابعة جئت الملائكة وفى الليلة الثامنة نادى لسان الفرح والسرور يا آمنة قرب ولادة نور النور وبدر البدور وفى الليلة التاسعة سمعت من ساحة اللطف الاقبال والنداء فبعد عنها الالم والعناء وفى الليلة العاشرة خاطب حيفمنى بتبشير قدوم المجتبى وفى الليلة الحادية عشرة سر الايمان فى العالمين بدا اعلم ان العلماء اختلفوا فى شهر ميلاد خير العباد فمن قائل انه صفر وقائل انه ربيع الآخر وقائل انه رجب أو رمضان وأصح الاقاويل أنه كان فى ربيع الاول والقائلون انه فى ربيع الاول اختلفوا فقال بعضهم انه كان فى اليوم الثانى والبعض الآخر قال انه كان فى اليوم الثامن والجمهور على انه كان فى الليلة الثانية

الخلائق فتسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الاتحت لوائك وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذى أشفع فيه لامتى وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد عليه السلام فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وروى عن أبي وائل عن عبد الله قال ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعد على العرش وعن مجاهد فى قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسى كذا فى المواهب اللدنية وغيرها ولقد سمعت مما تلوته عليك من اكرام الله سبحانه حبيبه غاية الاكرام بحيث فاق النبيين والملائكة المقربين حتى وصل الى عرش رب العالمين وسائر الابرار لم تصل ولا عجب لانه لما ثبت مرتبة المحب فلابد أن يكون الامر كذلك كما انه ديدن المحبين فى الشاهد فالله سبحانه أكرم من أن يفضل غيره على حبيبه (أقول) بلطفه تعالى انظر الى كمال بلاغة القرآن واعجازه كيف بدأ الله تعالى أول السورة باشرف حالات الحبيب عليه السلام فى هذه الدنيا ثم بعد ذلك ذكر فيها أيضا أكمل مقاماته فى دار العقبى كما ذكرناه آنفا فذلك نكتة بديعة جدا مما ألهمت به اللهم يارب الارباب ويا مسبب الاسباب أسألك بحبك اياه أن لا تحرمنى من بركات هذا المقام المحمود ياحى ياودود يا الله وفى هذه السورة الكريمة فضائل غير ما ذكرنا منها ما ظهر وبهر (وأقول) ختم الله سبحانه السورة الكريمة بقوله وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ثم بدأ السورة بما يدل على ذكر حبيبه وختمها كذلك علامة أخرى من موجبات الفضل (أقول) وفيه بلاغة قرآنية كما هو مقتضى شأنه الكريم وهى بدء السورة بما يدل على تنزيه ذاته الكريم وختمه كذلك حيث ناسبت الفاتحة بالخاتمة الحمد لله ملهم الصواب واليه المرجع والمآب

(بسم الله الرحمن الرحيم) وبه نستعين الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاحباب ۞ (هذا شروع فى الفضائل المتعلقة بسورة الكهف) ۞ قال الله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) يعنى القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله على عبده تنبيها على انه أعظم نعمائه وذلك لانه الهادى الى ما فيه صلاح العباد والداعى الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل له عوجا) شيأ من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى وانحراف عن الدعوة الى جانب الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان (أقول) بالهام الله تعالى فيه من تعظيم محمد ما تشتهيه لان الحق سبحانه ابتدأ أول السورة بذكره الكريم وبذكر حبيبه وجعل صلة الموصول الدالة على صفة ذاته الكريم عبده أعنى حبيبه مع متعلقاته وجعل النعمة المحمود عليها انزاله على عبده كما قالوا فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى انعامه بمحمد وأضافه الى نفسه الكريم بأعظم صفاته وهو العبودية وهى من أعظم تشريفاته كما مر وغير ذلك ۞ قال الله سبحانه وتعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) اذا ولوا عن الايمان وفى الكلام استعارة تمثيلية شبهت الهيئة المنتزعة من

عشر من ربيع الاول ونقل عن بعض الملوك انه كان يجعل وليمة ميلاد خير مولود وموجود فى السنة فى الليلة الثامنة وبعضهم كان يجعلها فى الليلة الثانية عشرة فان قلت ليلة الولادة أفضل أم ليلة القدر قلنا ليلة الولادة أفضل لوجوه بينها العلماء اعلم أن ولادة نبى النبيين عليه صلاة الابرار والطيبين ونبوته وهجرته ومعراجه ونزول سورة الانعام ووفاته كانت فى ليلة الاثنين (روى) عن آمنة ابنة وهب ما معناه انه كانت الليلة الثانية عشرة من ربيع الاول قمراء ولم يكن فى السماء شئ من الظلماء وكان عبد المطلب ذهب مع جميع أهله وأولاده الى تعمير الكعبة الغراء وما عندى أحد من الذكر والانثى وحصل لى الوحشة من الوحدة وحق لى البكاء وقلت فى نفسى ما هذه الوحدة والوحشة فى هذه الحالة الهائلة ليست ههنا امرأة تعيننى فى شدائد الوضع ولا خليلة تدافع بالتسلية ما يعرض لى من ألم الطلق ولا بنت أستند اليها عند الوضع فبينما أنا فى تلك الفكرة اذ انشق طرف من بيتى ودخلت على أربعة فى صورة النساء حوريات فى

حاله عليه السلام وحالهم فى اعراضهم عن الايمان وعروض الوجد له عليه السلام اذ ذاك بالهيئة المنتزعة من حال رجل فارقته أحبته وهو يتحسر على آثارهم وهو يبخع نفسه وجدا عليهم والفاء فى قوله فلعلك جواب لشرط مؤخر وهو قوله تعالى (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن (أسفا) للتأسف والاسف فرط الحزن والغضب ففى الكلام اشفاق وتسلية من الله الحكيم العليم بحبيبه الرؤف الرحيم وذلك فضل عظيم لا يخفى على ذى قلب سليم وله مثل فى الشاهد فان الانسان اذا رأى حبيبه يتهالك فى أمر و يتحسر عليه يسليه و يسكن ما فيه شفقة عليه كما قيل ليعقوب عليه السلام تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين* قال الله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يأمل حسن لقائه ورؤية جماله (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ظاهر المعنى وقلت فى ذلك بيتا

بابى وأمى والاحبة كلهم * ابشر لقيالك الكريم الاحسن

ففى بدء الله سبحانه السورة بما ينبئ عن ذكره وذكر حبيبه وختمها كذلك فضل عظيم (أقول) ومع ذلك فى الكلام بلاغة عظمة للقرآن لكون الختم مناسبا للبدء هذا ما تيسر لى فى هذا المقام والله تعالى ولى الالهام تمت الفضائل المتعلقة بسورة الكهف

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى بكفايته يكتفى وبهدايته يهتدى والصلاة على نبيه المصطفى وحبيبه المجتبى ۞ (الفضائل المتعلقة بسورة مريم عليها السلام) ۞ قال الله تعالى (كهيعص) قال بعض المتكلمين فى تفسير حروفه ان الكاف من كافى قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده أى كفاية الله لنبيه عليه السلام والهاء هدايته قال تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده عليه السلام قال تعالى وأيدك بنصره والعين عصمته قال تعالى والله يعصمك من الناس والصاد صلواته عليه قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى كذا فى الشفاء فعلى ما ذكر من التفسير قيل المراد الاخبار عن هذه الامور أو القسم بهذه الصفات وذكر صاحب القاموس فى لطائف التنزيل ان قوله تعالى كهيعص قسم من الله تعالى على كفاية حبيبه وهدايته وعينه وعزه وصدقه فعلى ما قررنا ظهر لك ما تضمنه قوله تعالى كهيعص من تعظيم محمد عليه السلام حيث بدأ به السورة وأشار الى أسباب كماله وجاهه وأقسم تعالى بالصفات الكائنة فيه عليه السلام على قول بعض صلى الله عليه وسلم (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) قال فى المواهب اللدنية أضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين انتهى ولا يخفى ما فى هذا الكلام من النكتة الدالة على فضل الحبيب عليه السلام ۞ قال تعالى فى آخر السورة (فانما يسرناه بلسانك) بأن أنزلناه على لغتك والباء بمعنى على (لتبشر به المتقين) الصابرين على التقوى (وتنذر به قوما لدا) أشداء على الخصومة ففى بدء الله الكلام بأمر الحبيب وختمه به من دلائل الاجلال ما لا يخفى وفى هذه السورة فضائل غير ما ذكرنا تظهر بالتأمل فيها* تمت المناقب المتعلقة بسورة مريم عليها السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى طهر قلوب أحبائه عن غير الله وهدى صدور أصفيائه

المعنى قدهن كالسرو العرعر ووجوههن كالشمس الانور وريحهن أطيب من المسك الاذفر غشيهن الانوار متزرات ببيض من الازار لهن مشابهة لبنات عبد مناف يخبرك سيماهن انهن من بنات الاشراف والتى تقدمت الجميع من الاربعة المتناسبة قالت يا آمنة من مثلك ومن تشبهك فانك حملت بسيد الانبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين وجلست بجانبى الايمن فقلت من أنت يا سيدتى قالت أنا أم البشر حواء ثم تقدمت الثانية وقالت من مثلك يا آمنة ومن تشبهك لانك حملت بالنبى الطاهر والعلم الزاهر والبحر الزاخر وقعدت بجانبى الايسر فقلت لها يا سيدتى من أنت قالت أنا سارة خليلة خليل الرحمن عليه صلوات الله تعالى وسلامه ثم تقدمت الثالثة فقالت يا آمنة من مثلك ومن تشبهك لانك حملت بالحبيب الاسنى وصاحب الحمد والثنا وقعدت وراء ظهرى فقلت من أنت يا سيدتى قالت أنا آسية بنت مزاحم ثم تقدمت الرابعة وكانت هيبتها زائدة ورونقها وبهجتها متزايدة وقالت يا آمنة من مثلك ومن يكون

الى الله والصلاة على حبيب الله وخليل الله ﴿(هذا شروع في المحامد المتعلقة بسورة طه)﴾ قال الله تعالى (طه) الطاء اشارة الى طهارة قلبه صلى الله عليه وسلم عن غير الله والهاء اشارة الى اهتداء قلبه الى الله تعالى كأنه قال طوينا عن سرك ذكر غيرنا وهديناك بنا الينا كذا في الرسالة القشيرية وذكر في التفسير الكبير قيل معناه يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطاء من الطهارة والهاء من الهداية كأنه قيل يا طاهرا من الذنوب ويا هاديا الى علام الغيوب وقيل الطاء تسعة والهاء خمسة في الحساب يكون معناه أربعة عشر ومعناه يا أيها البدر قال صاحب القاموس في لطائف التنزيل قوله تعالى طه قسم من الله تعالى بطهارة حبيبه وهيبته عليه السلام وقرئ طه على أن يكون أمر الرسول بان يطأ الارض بقدميه وكان يقوم في تهجده على أحد قدميه وأصله طأ قلبت الهمزة هاء (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا أن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق قال الامام القشيري في اشاراته أي ليس المقصود في ايحائنا اليك الا استفتاح باب الوصلة والتمهيد لبساط القربة انتهى فتضمنت الآية الجليلة من تعظيمات واشفاقات عديدة كما ترى قال سبحانه في آخر السورة (قل كل) كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء والجملة في محل النصب سادة مسد مفعولي فستعلمون ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد معطوفة على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام هذا بعض ما ذكره البيضاوي في هذا المقام (أقول) على أن يكون المراد من الصراط السوي ومن اهتدى محمدا المصطفى لا يخلو الكلام من اعلاء قدر سيد الانام كما مر في أم الكتاب وأيضا المخاطبة في أول الكلام وكذلك في الختام كما ترى مما ينبهك على تعظيم المجتبى مع ان ذلك بلاغة بديعة في الكلام كما لا يخفى على ذوي الافهام كما مر مرارا تمت الفضائل المتعلقة بسورة طه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أرسل حبيبه رحمة للعالمين وجعله نبيا لكل الخلائق أجمعين ﴿(هذا شروع في الفضائل المتعلقة بسورة الانبياء عليهم السلام)﴾ قال الله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور) كتاب داود (من بعد الذكر) أي التوراة (أن الارض) أي أرض الجنة أو الارض المقدسة (يرثها عبادي الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام قال الامام أبو القاسم عبد الكريم القشيري قدس الله سره وهم بجملتهم صالحون قوم صالحون لنعمته وهم المطيعون وآخرون صالحون لرحمته وهم العاصون انتهى (أقول) والعجب من القاضي انه اختار في سورة الاسراء في قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ان المراد من قوله يرثها عبادي الصالحون أمة محمد عليه السلام وههنا قدم غيره من الوجوه يظهر ذلك كله بعد المطالعة في تفسيره فتأمل (ان في هذا) أي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد المذكورة في هذه السورة (لبلاغا) لكفاية (لقوم عابدين) همهم العبادة لا العادة ولا يخفى ما في ذكر الله تعالى أمة محمد في الزبور بعنوان الصلاح وجعلهم ورثة الجنة أو الارض المقدسة من الاجلال العائد الى حبيب الله كما لا يخفى على المتأمل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) والرحمة من الاسماء المائة

شيبك يا آمنة انك حملت بصاحب الآيات والمعجزات وسيد أهل الارض والسموات يا آمنة ألقي ذاتك علي واجعلي ميلك بكليتك الي فقلت من أنت يا سيدتي قالت أنا مريم بنت عمران ثم قلن يا آمنة نحن قابلات حملك المصطفى وخادماته قالت فاستأنست بهن وذهب ما بي من ألم الوحشة ورأيت في تلك الحالة ان ديباجا أبيض أرخي فيما بين السماء والارض وسمعت قائلا يقول خذوه عن أعين الناس ورأيت أشخاصا في الجو بأياديهم أباريق من فضة ورأيت أن طيورا أحاطت بحجرتي أجنحتهن من الياقوت وأنوفهن من الزمرذ وشاهدت أشخاصا يدخلون حجرتي ويخرجون ويتكلمون باللغات المختلفة وأكثر تكلمهم كان باللغة السريانية وفي الخبر ما معناه ان الله عز وجل أمر رضوان ان يزين الكواعب والاتراب والحور والغلمان وأن يفتح فوائح المسك الذكية لظهور خير البرية ونودي جبريل بهذا أو بمعناه يا جبريل ابسط سجادة القرب والوصال لصاحب القرب والاتصال ويا جبريل مر مالكا بغلق أبواب النيران ورضوان

التي ذكرها الله تعالى وسمى بها نبيه في القرآن على ماذكر في اللطائف القرآنية للشيخ مجد الدين الفيروزابادي وغيره ويجوز أن ينتصب الرحمة على الحال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة أو بمعنى راحم قاله السمين حاصل ماذكر في المواهب اللدنية عن ابن عباس هي عامة فمن امن به كتب من أهل الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الامم من المسخ والخسف والقذف والمعنى انه لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كان كل من كفر به يؤخر الى يوم القيامة فكان رحمة عليهم أيضا كذا في الحدادي وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الانس والجن وقيل لجميع الخلق وحكي ان النبي عليه السلام قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فامنت لثناء الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين كذا في الشفاء (أقول) الظاهر من هذا التقرير ومن الحجج التي ذكرتها في فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء في سورة البقرة ان هذه الآية الكريمة دالة على فضيلته عليه السلام على جميع الخلائق حتى الانبياء والملائكة اللهم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أسألك أن تدخلنا في هذه الرحمة في الدنيا والآخرة (أقول) تأملت في هذا المحل نكتة لطيفة وهي ذكر الله تعالى حجته الدالة على فضيلة حبيبه عليه السلام على جميع الانبياء في سورتهم عقيب ذكرهم ولايخفى لطفه على الفضلاء

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي هدانا الى صراط مستقيم وجعلنا من أهل الدين القويم والصلاة على حبيبه ذي الكرم العميم وعلى أتباعه الشاربين من تسنيم ۞ (المحاسن المتعلقة بسورة الحج) ۞ قال الله تعالى (وادع الى ربك) أي الى توحيده (انك لعلى هدى مستقيم) على طريق الجنة (أقول) ففيه من تعظيم أمر الحبيب عليه السلام وتنويه قدره مالايخفى حيث جعله عليه السلام على طريق الجنة قاعدا عليه وأكد ذلك بأنواعه كما ترى قال تعالى (وجاهدوا في الله) لله ومن أجله أمر بالغزو ومجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) أصل الكلام جهادا حقا أي خالصا لوجهه ثم عكس وأضيف الصفة الى الموصوف مبالغة لان في جعل التابع أصلا مبالغة في شأنه واضافة الجهاد الى ضميره سبحانه لادنى ملابسة ومن اشارات بعض الاصفياء حق الجهاد ان لايفتر عن مجاهدة النفس لحظة قال قائلهم

يارب ان جهادي غير منقطع * فكل أرضك لي ثغر وطرسوس

(هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته وهذا أعلى الرتب (وماجعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق بتكليف مايشق القيام به عليكم وقيل أي ماجعل عليكم في شرائع دينكم من ضيق لامخرج منه وذلك ان منه مايخلص منه بالتوبة ومنه مايخلص منه برد المظلمة ومنه مايتخلص منه بالقصاص وليس في دين الاسلام مالاسبيل الى الخلاص (ملة أبيكم ابراهيم) نصب بخافض مقدر أي وسع عليكم في الدين كملة ابراهيم فان قيل هذا يقتضي أن تكون ملة محمد كملة ابراهيم سواء فيكون الرسول ليس له شرع مخصوص الجواب هذا الكلام انما وقع مع تعريض رد معتقد عبدة الاوثان فكأنه تعالى قال عبادة الله وترك عبادة الاوثان هو ملة أبيكم ابراهيم فاما تفصيل الشرائع فلا تعلق له بهذا الموضع كذا أفاده الامام الرازي لكن غيرت

بفتح أبواب الجنان . ياجبريل
البس أنت حلة الرضوان
ياجبريل انزل الى الارض مع
الملائكة المقربين والذين
أحاطوا بعرش رب العالمين
وياجبريل ناد في نواحي
السموات والارضين وبشر
أهاليها بقرب قدوم الحبيب
المصطفى الامين فامتثل
جبريل أمر الرب الجليل
وبشر أهاليها بالحبيب الاسنى
ومن هو لعلة المحبين دوا
ونزل مع الملائكة المأمورين
على جبال مكة وأحاطوا
بحرم الله عزوجل ونزلت
عليهم في تلك الحالة سحابة
كافورية وترنمت الطيور في
تلك الليلة بألوان الاصوات
وخرجت الوحوش من
أكنانها لما أعلمت من ظهور
خير البريات عليه أكمل
التحيات (وحكي) عن آمنة
مامعناه اني كنت مستأنسة
مع السيدات المباركات
المذكورات فيما سبق اذ
رفع الله عزوجل عن عيني
الحجب ببركة حملي الشريف
فعاينت قصور بصرى من
أرض الشام ورأيت انه
نصبت ثلاثة أعلام علم في
المشرق وعلم في المغرب وعلم
في الكعبة وقد استولى
على العطش في تلك الحالة
فعرضت على كأس شرابها
أبيض من اللبن وأحلى من

قوله الجواب ان هذا الكلام انما وقع مع عبدة الاوثان الى قولى ان الكلام وقع مع تعريض رد معتقد عبدة الاوثان الظاهر ان الصواب فى المغير اليه تأمل فيه حتى يظهر لك ما فيه (هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا) والعائد راجع اليه سبحانه كما روى عطاء عن ابن عباس قال ان الله سماكم المسلمين من قبل أى فى الكتب وفى هذا أى فى القرآن ويدل عليه قراءة أبى بن كعب الله سماكم المسلمين والمعنى انه سبحانه فى الكتب المتقدمة على القرآن أيضا بين فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم لاجل الشهادة المذكورة بعد كذا ذكر الامام الرازى (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا لعصمته قال بعض الاصفياء نصب الرسول لشهادته علينا وأمره بالشفاعة لامته وانما يشهد علينا بقدر ما يبقى للشفاعة موضعا ومحلا (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسول اليهم فتكون تسميتهم بهذا الاسم الاجل لاجل تشرفهم بهذه الشهادة العظمى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فتقربوا الى الله تعالى بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف (واعتصموا بالله) فى مجامع أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصر الا منه فيكون حذف المفعول لقصد التعميم مع الاختصار (هو مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة ففى هذه الآية الكريمة من اعلاء قدر حبيب الله وتعظيم أمره ما لا يخفى حيث شهد لتبليغه اعتمادا لعصمته ولم يشهد عليه بخلاف سائر الانبياء وجعل أمته شهداء على الناس وخصهم الله تعالى بهذا الاسم الاكرم فى الكتب المتقدمة وفى هذا اعلاء لحال من صعد الى العلى وكل ذلك من شرف الرسول وغير ذلك من التشريفات تعرف بالتامل تمت الفضائل المتعلقة بسورة الحج

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله غافر الذنوب وساتر العيوب والصلاة على حبيبه المبعوث بالملة الغراء والشريعة النقية البيضاء ﴿المناقب المتعلقة بسورة المؤمنين﴾ قال الله تعالى (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا نؤخرهم لانا لا نعذبهم وأنت فيهم فعلى هذا يكون الكلام مشعرا باكرام حبيب الله عليه الصلاة والسلام كما مر تفصيله فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) يحتمل أن يكون أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام لامته فعلى هذا يتضمن الكلام من علو حال الحبيب عليه السلام حيث نصبه مستغفرا ومسترحما للانام كما لا يخفى على ذوى الافهام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى برأ ساحة سيد أنبيائه عما يقول الظالمون وغار له وكيف لا وهو حبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم ما دامت السموات والارضون (هذا شروع فى المحامد المتعلقة بسورة النور) ﴿قال الله تعالى (ان الذين جاؤا بالافك) بأبلغ ما يكون من الكذب والمراد ما أفكت به عائشة رضى الله عنها وأرضاها واللام للعهد (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة كذا ذكره القاضى فى تفسيره الا انه يخالفه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا يوم بدر بقوله اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة فلا تعبد فى الارض ولا شك ان أهل بدر ثلثمائة ونيف فتأمل يريد بالعصبة ابن أبى رئيس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن

العسل فاخذتها من يد القدرة وشربتها فوضعت الحبيب أحسن وضع ما رأيت للمخاض شدة وجع كيف لا وهو منه نور سماء ليس للنور غير ضوء ولمع وفى المواهب اللدنية ان الخطيب البغدادى روى بسنده عن آمنة ما معناه انها قالت لما وضعت الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت سحابة ذات نور عظيم أحاطت بحبيبى حتى غاب هو صلى الله تعالى عليه وسلم عنى وسمعت صهيل الافراس وخفوق الاجنحة وكلام الرجال فيها وسمعت مناديا ينادى فيها سيروا محمدا فى جميع الارض وأعلموا قدره العالى كل ملك وانس وجن ووحش وطير انتهى وروى عن آمنة ما معناه لما وضعت الدر اليتيم والجوهر الجسيم فلم أجده صلى الله تعالى عليه وسلم فى موضع وضع فأدرت نظرى فى مواقع بصرى فاذا رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم قد رفع الى حجرة داخل بيتى والحجرة قد ملئت بالانوار ولم يبق لى صبر ولا قرار حتى دخلتها ورأيت حبيبى صلى الله تعالى عليه وسلم رافعا يديه الى جانب السماء كالداعى المتضرع مكحلا

ساعدهم

ساعدهم وهى خبران (لاتحسبوه شرا لكم) مستانف والخطاب للرسول عليه السلام وأبى بكر وعائشة وصفوان والكناية للافك (بل هو خير لكم) لاكتسابكم الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانية عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شانكم (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه (منهم) من الخائضين وهو ابن أبى فانه بدأ به والبادئ أظلم وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (له عذاب عظيم) فى الدنيا والآخرة وسبب نزول هذه الآيات ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج اسمها خرج بها معه قالت فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها اسمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد نزول آية الحجاب فلما فرغ منها وقفل وقرب من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل فقمت حين أذنوا ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى ورجعت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدى وحبسنى طلبه فاقبل الرهط الذين كانوا يرحلونى فحملوا هودجى وهم يحسبون أنى فيه لخفتى وانى كنت جارية حديثة السن فظنوا أنى فى الهودج وذهبوا بالبعير فلما رجعت لم أجد فى المكان أحدا فجلست وقلت يعودون فى طلبى فنمت وكان صفوان بن المعطل فى العسكر يتبع أمتعة الناس يحملها الى المنزل الآخر لئلا يذهب شئ فلما رآنى عرفنى وقد رآنى قبل أن يضرب الحجاب فما استيقظت الا باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى فوالله ما كلمنى بكلمة غير استرجاعه فاناخ راحلته فوطئت على يدها وركبتها ثم قاد البعير فتفقدنى الناس حين نزلوا وماج الناس فى ذكرى فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم فخاضوا فى حديثى وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاصابنى مرض حين قدمتها شهرا ولم أر منه عليه السلام ما عهدته من اللطف الذى كنت أعرف منه ولا أشعر فعندما خرجت فى بعض الليالى مع أم مسطح لمهم فعثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح فأنكرت ذلك فقلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أوما بلغك الخبر فقلت وما هو فقالت أشهد أنك من المؤمنات الغافلات ثم أخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا فرجعت أبكى ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ائذن لى أن آتى أبوى فأذن لى فجئت أبوى فقلت لامى ماذا يتحدث الناس فقالت يابنية هونى عليك ثم أصبحت أبكى فدخل على أبى وأنا أبكى فقال لامى ما يبكيها فقالت لم تكن علمت ما قيل فيها فاقبل يبكى فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد واستشارهما فى فراقى فقال أسامة هم أهلك يارسول الله ولا نعلم الا خيرا وأما على فقال لم يضيق الله عليك والنساء كثيرة وان تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة وسألها عن أمرى فقالت يارسول الله والذى بعثك بالحق انى مارأيت عليها أمرا قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها حتى تأتى الداجن فتأكله قالت فقام نبى الله فخطب على المنبر فقال يامعشر المسلمين من يعذرنى فى رجل بلغنى أذاه فى أهلى يعنى عبد الله بن أبى فوالله ما علمت فى أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلى الا معى فقام سعد بن معاذ وقال أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج فأمرتنا فعلناه فقام

مختوما معطرا موضوعا على صوف أبيض ملفوفا فى حرير أخضر وسمعت قائلا يقول فى تلك الحجرة أعطوا محمدا المصطفى خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم وصدق وعد اسمعيل ورضا اسحق وحكمة لوط وجهاد يوشع وشدة موسى وحكمة لقمان ومحبة دانيال وتوبة داود وصبر أيوب ورؤية هرون ووقار الياس وقبول زكريا وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه فى أخلاق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (يقول ناظم هذه الدرر النفيسة) فلجمعه صلى الله تعالى عليه وسلم النعوت المتفرقة الكائنة فى النبيين كان نبى النبيين وسيد المرسلين ثم يقول راوى أخبار سيد الابرار ما معناه لما وضع سند الاحرار قدمه التى هى قدم الصدق والصفاء فى حرم المولى لحظته العيون وأحبته القلوب اذ وجهه هو القمر المنير وشعره كسواد الديجور وجبهته مطلع الانوار ولحظه كطرف الغزال وأنفه الشريف كقصب الفضة وشفته كاللعل النفيس وثغره كاللؤلؤ المنظوم وجيده الجيد كالمرآة المتخذة

سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا لكن أخذته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير ابن عم سعد بن معاذ وقال كذبت لعمر الله لنقتلنه وانك منافق تجادل عن المنافقين فقام الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا فبكيت ليلتي وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه الله في شيأ ثم قال أما بعد يا عائشة فقد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي فقلت لابي أجب عني رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول فقلت لامي أجيبي عني رسول الله فقالت والله ما أدري ما أقول فقلت وأنا جارية حديثة السن ما أقرأ من القرآن كثيرا اني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم فان قلت اني بريئة لا تصدقوني وان اعترفت بأمر والله يعلم اني بريئة لتصدقوني والله لا أجد لي ولكم مثلا الا كما قال العبد الصالح أبو يوسف ولم أذكر اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم ان الله يبرئني ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيا يتلى وشاني كان أحقر في نفسي من أن يحكم الله في بأمر يتلى ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي فسجي بثوب ووضعت له وسادة فوالله ما فزعت ولا باليت لعلمي ببراءتي وأما أبواي فوالله ما سري عن رسول الله حتى ظننت ان نفس أبوي تخرجان خوفا من أن يأتي الله بتحقيق ما قال الناس فلما سري عنه وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها ان قال أبشري يا عائشة أما والله لقد برأك الله فقلت نحمد الله لا نحمدك ولا نحمد أصحابك فقالت أمي قومي الى رسول الله فقلت والله لا أقوم ولا أحمد أحدا الا الله الذي أنزل براءتي فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات فقال أبو بكر لا أنفق على مسطح بعد هذا وكان ينفق عليه لقرابته منه فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكر لا أحب أن يغفر الله لي فرجع الى النفقة على مسطح قالت فلما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب عبد الله بن أبي ومسطحا وحسان وحمنة الحد قال الله تعالى (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لولا هذه تحضيضية بمعنى هلا لوليها الفعل وأما اذا وليت الاسم فليس كذلك ومعناها التوبيخ واللوم على ترك الفعل وفعلها ظن المؤمنون وانما جاز الفصل بينها وبينه بالظرف لانه نزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه لانه يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان الظرف أهم فان التحضيض على أن لا يخلو باوله وجعل المؤمنين كنفس واحدة كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم ولا يغتب بعضكم بعضا فحاصل معنى الآية يا أيها الذين سمعوا قول قاذف عائشة بصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ما قيل فيهم (وقالوا هذا

من الفضة البيضاء وصدره منشرح بالانوار وأصابعه كأقلام النور ينفجر منها ماء النعيم وقدمه قدم الصدق والسعادة وذاته نجم سعد أقسم الله عز وجل به وبمساكنه صلى الله تعالى عليه وسلم * وعلى رأي من قال ان خاتم النبوة وضع حين ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم كان بين كتفيه خاتم الرسالة مثل بيضة الحجلة ورائحته مسكية النفحات على رواية البخاري وعلى ما فسره الحكيم الترمذي في تاريخ ابن أبي خيثمة ان خاتم النبوة خال أخضر وفي كتاب الحكيم الترمذي مثل بيضة الحمامة مكتوب في باطنه لا اله الا الله وحده لا شريك له وفي ظاهره توجه حيث شئت فانك منصور وفي تاريخ النيسابوري انه بندقة من اللحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله كذا في المواهب اللدنية وذكر فيها اثنتي عشرة رواية في خاتم الرسالة غير ما ذكرنا فليطالع ثمة وروي عن والدة سيد المرسلين ما معناه اني رأيت في تلك الحالة الشريفة ان ثلاثة من الملائكة نزلوا الى بيت حبيبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجاؤا بطشت عظيم من زبرجد

افك مبين) أى هلا قالوا كذلك كما يقول المتيقن المطلع (أقول) كيف لا يتيقن والمقذوفة حليلة وخليلة لسيد الاولين والآخرين و بنت سيد الصديقين والوحى من رب العالمين ينزل به الروح الامين فى كل وقت وحين فى بيتها الكريم والنبى صلى الله عليه وسلم معها فى لحاف واحد (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) ذكر السعد فى حواشيه انه قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى فأولئك عند الله أى فى حكمه وشريعته وقال الشارحان الطيبى وصاحب الكشف أراد لا فى علمه لئلا يلزم المحال (قلت) ولكن الكلام لما كان فيما أفكت به عائشة رضى الله عنها خاصة لا العام ينبغى أن يحمل على انهم هم الكاذبون فى علم الله تعالى فان قلت يأبى عنه تقييده بالظرف قلت هذا أمر آخر غير ماذكراه مع أن الاباء غير مسلم فالآية على هذا تكون كقوله تعالى الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا وظاهر أن وقت افكهم هو وقت انتفاء اتيانهم بالشهداء فليتأمل (أقول) هذا الوجه الذى نسبه الى نفسه قد صرح به الامام الرازى لكنه وجه جيد عندى أيضا لما ذكره من خصوص المادة ولان تفسير قوله تعالى فأولئك عند الله بحكم الله وشريعته بعيد لان العندية تناسب العلم وأيضا الحكم بانهم كاذبون فى علم الله زيادة توبيخ لمن ارتكب ذلك الا أنه يرد التقييد بالظرف فجوابه فيما ذكره نظيرا من القرآن وتفصيل ذلك النظير ما ذكره المحقق التفتازانى حيث قال تقييد التخفيف بقوله ألآن ظاهر الاستقامة لكن فى تقييد العلم به اشكال يوهم انتفاء العلم بالحادث قبل وقوعه والجواب ان العلم متعلق به أبدا أما قبل وقوعه فبأنه سيقع وحال الوقوع بأنه وقع انتهى فههنا كذلك تعلق علم الله تعالى بكذبهم أبدى أما قبل الوقوع فبأنه سيقع وحال الوقوع فبأنه وقع (أقول) يرد انه وقت افكهم تعلق العلم بحال وقوع كذبهم فلا دخل لاتيان الشهداء وعدمه به وأما للحكم الشرعى فله دخل فليتأمل فانه دقيق (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة والرحمة فى الآخرة بالعفو والغفران الظاهر أن الخطاب لغير ابن أبى من المؤمنين بقرينة قوله السابق لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية ولان ابن أبى لاحظ له فى الآخرة ولانه بعيد عن ساحة الخطاب (لمسكم) عاجلا (فيما) بسبب ما فى سببية (أفضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد (اذ) ظرف لمسكم أو أفضتم (تلقونه بألسنتكم) يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعة فيه (وهو عند الله عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام علق بها مس العذاب تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا) هلا (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما ينبغى وما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) الافك (سبحانك هذا بهتان عظيم) تعجب ممن يقول ذلك الاصل فى ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجب من صنائعه تنزيها لله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو تنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة حبيبه فاجرة (يعظكم الله) لعظمة المبهوت عليه (أن تعودوا لمثله) كراهة أن تعودوا أو فى أن تعودوا

اخضر وله أطراف أربعة على كل منها جوهرة نفيسة وفى وسطه جوهرة براقة اذ قال قائل من الملائكة المذكورين ما معناه يا حبيب الله ان طرفا من هذا الطشت مشرق والطرف المقابل مغرب والطرف الآخر بر ومقابله بحر فاقبض أيها شئت فانك مخير فى ذلك فقبض حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجوهرة الكائنة فى وسط الطشت فنادى مناد فى تلك الحالة بارك الله تعالى فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه قبض كعبة الله فانها قبلته وقبلة أمته الى يوم القيامة وقالت آمنة ان هذه المعجزات والكرامات والبركات حصلت فى دار عبد المطلب وليس عنده ولا عند أهل بيته خبر منها لانهم كانوا مشغولين بتعمير البيت الشريف وروى عن عبد المطلب ما معناه انه قال لما ولد حبيبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كنت فى تعمير البيت المنيف والطواف به فشاهدت البيت الشريف مال باركانه الى جانب المقام فسجد لله الملك العلام وسمعت تكبير البيت وتهليله بالنطق الفصيح والبيان التام بالمشاهدة

(أبدا) مادمتم أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع عنه وفيه توبيخ وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب لتتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) فى تدابيره (ان الذين يحبون) يريدون (أن تشيع) أى تنتشر الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) الحد والسعير الى غير ذلك (والله يعلم) مافى الضمائر (وأنتم لا تعلمون) فعاقبوا فى الدنيا على مادل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على مافى القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وأن الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب لاستغناء المقام بذكره سابقا (ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكى منكم) أى ماطهر من دنسها (من أحد أبدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكى من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع عليم) لمقالتهم (ولا يأتل) ولا يحلف فانه نزل فى أبى بكر وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين كامر (أولوا الفضل منكم) فى الدين وفيه دليل على فضله أبى بكر وشرفه رضى الله عنه (والسعة) فى المال (أن يؤتوا) على أن لا يؤتوا بحذف الجار وكلمة لا كما فى قوله تعالى تفتؤ تذكر يوسف (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا) مافرط منهم (وليصفحوا) بالاغماض عنه (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه وروى أنه عليه السلام قرأها على أبى بكر فقال بلى أحب فرجع الى مسطح نفقته كامر (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول والمؤمنين كأبى وأحزابه من المنافقين (لعنوا فى الدنيا والآخرة) لما طعنوا فيهن (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم (يوم تشهد عليهم) ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا العذاب لانه موصوف والمصدر الموصوف لايعمل (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله اياها وفى ذلك مزيد تهويل (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر بالوهيته لايشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الخبائث يتزوجن الخبائث وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (أولئك) يعنى أهل بيت الرسول أو الرسول وعائشة وصفوان (مبرؤن مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولنشرع فيما أظهر الله فى هذه الآيات من غاية ارتفاع مكانة سيد البريات قال الزمخشرى ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ فى شئ تغليظه فى افك عائشة رضى الله عنها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ارتكب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه

والعيان لابالاوهام ثم قام البيت قائما وقال الحمد لله الذى فضلنى على سائر الامكنة بحبيبه محمد المصطفى سيد الانام ثم بشرت أركان البيت بعضها بعضا وقالت جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو النور المبين فلما شاهدت هذه الكرامات والارهاصات فى البيت المنيف خرجت من باب الصفا متوجها الى دار المصطفى وانا أسمع تكبير الارض ومافيها ثم قالت وما فيها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء السنا ورأيت ان الاصنام سقطت من أعلى الكعبة منكوسة على رؤسهن ولما دنوت منزل آمنة رأيت الطيور قد أحاطت به صفوفا وجوانب الدار ملئت بروائح المسك الاذفر وسمعت قائلا يقول ما الخبر فاجابه قائل آخر بشارة ولادة سيد البشر فدققت باب الدار فخرجت أم سيد الابرار وليس فيها ضعف الولادة وعلة النفاس وحصل لى الالم والاضطراب حتى أردت ان أمزق ثيابى من شدة مابى فقالت آمنة ياعبد المطلب ماهذا الحزن والتغير الذى أشاهده فيك قلت يا آمنة أين النور الذى أعهده فى جبينك ففقدان

على طرق مختلفة وأساليب مفننة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وانه يوفيهم الجزاء الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذلك الا لامر وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب عنه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذلك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخير الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة في حجابه انتهى لعلك بعد هذه التفصيلات علمت ما في هذه الآيات من التشريفات بخير البريات على وتيرة المبالغات باصنافها وأنواعها ولولا الزمخشري تظم هذه الدرر الغاليات في سلكها لغرقت وتعمقت في بحارها واستخرجت منها ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ۞ قال الله تعالى (الله نور السموات والارض) النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة وبهذا المعنى لا يطلق على الله تعالى لتنزيهه عن الكيفية ولهذا فسره ابن عباس بقوله الله هادى أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وقال الضحاك منور السموات والارض فقد نور السموات بالملائكة والارض بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة أى منه الرحمة فكلها بطريق التجوز لكن الشيخ الغزالي صنف في تفسير هذه الآية الكريمة كتابا مسمى بمشكاة الانوار وحقق أن الله سبحانه نور في الحقيقة بل ليس النور الا هو لكن لا على الكيفية المذكورة بل بمعنى انه مظهر الخلائق كلها والنور الالهى دائمى لا يزال ولم يزل بخلاف الانوار المكيفة لكنه سبحانه اختفى عن الخلق لشدة الظهور واحتجب عنهم باشراق النور والامام الرازي حكم بأنه لو حقق كلام الامام الغزالي لرجع الى التفاسير المذكورة والتفصيل في الكبير (أقول) فلم لا يجوز أن يكون نور الحق سبحانه مخالفا لسائر الانوار كما ان ذاته وصفاته على التفصيل الذي علم كذلك ولا يكون كما في الشاهد بل الاشتراك في اللفظ والظاهر أن مراد الامام الغزالي قدس سره ما ذكرنا (مثل نوره) صفة نوره العجيب الشأن ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للصفة اذا كان لها شأن عجيب قال سعيد بن جبير والضحاك المراد من النور الثاني محمد عليه السلام فعلى هذا يحتمل أن يكون الضمير اليه سبحانه فتكون اضافته تشريفا على تشريف ويحتمل ان يرجع الى محمد عليه السلام فتكون الاضافة بيانية (كمشكاة) كصفة

ذلك تسبيب للتعبير وحزني قالت وضعته على أجمل وجه وأكمله وسمعت هاتفا يقول يا آمنة اجعلي اسم هذا المولود المودود محمدا فان اسمه في أهل السماء محمود وفي التوراة مؤيد وفي الزبور هاد ومسدد وفي الانجيل أحمد وفي القرآن طه ويس ومحمد ولما سمعت هذه النعوت مع ما شاهدت في الملكوت قلت يا آمنة أين هذا المولود حتى أطالعه لانه لم يبق لي صبر ولا قرار فأشارت الى بيت صغير وقالت هو فيه مستغرقا بالانوار فتوجهت اليه ورأيت شخصا عظيم القد والقدر قائما بالباب وفي يده سيف ذو لمعان ولما رآنى متوجها الى الحبيب صاح صيحة هائلة أخذتني الرعدة بها ثم خاطبني وقال لا يمكن لك الوصول الى زيارة الحبيب حتى تتم زيارة الملائكة الى ثلاثة أيام ثم أخذت آمنة في حكاية ما ورد عليها من عجائب الكرامات حين الولادة وأخبرتني أمر الهاتف بتسميته محمدا فقلت يا آمنة اسم حسن يحمده أهل الارض كما حمده أهل السماء وقالت وسمعت قائلا يقول أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

مشكاة وهي الكوّة الغير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثابت وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح في زجاجة) في قنديل من الزجاج (الزجاجة كأنها كوكب درّي) مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أكثر من ضوء الدر لكنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفضل الدر سائر الحب (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) أي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته بزيتها (لا شرقية ولا غربية) أي لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه أجود الزيتون (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه (نور على نور) نور متضاعف فان نور المصباح زاد انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته فيحتمل أن يكون هذا تشبيه تمثيل شبهت الهيئة المنتزعة من أمور متعددة بمثلها وذكر النور للتنصيص على ماهو العمدة للتمثيل ويحتمل أن يكون تشبيها مفرقا لا تمثيلا وذكر هذين الوجهين المولى سعدي في حواشيه على البيضاوي (أقول) لكن يتجه أن يقال الظاهر من كلامهم ان الاستعارة التمثيلية لا يذكر فيها أداة التشبيه وههنا ذكرت كما يظهر بتلاوة الآية تدبر قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب مثل ضرب الله لنبيه فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية المشكاة جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد عليهما الصلاة والسلام وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة والمصباح محمد سماه مصباحا كما سماه سراجا منيرا فقال سراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم سماه مباركا لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني لم يكن ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم كذا ذكره الامام محيي السنة (أقول) انظر الى دقائق اكرام الله تعالى حبيبه جعل ابراهيم مشكاة ومحمدا صلى الله عليه وسلم مصباحا منيرا والزجاجة التي هي كأنها كوكب دري وبين المشكاة والمصباح والزجاجة الموصوفة في الفرقان بون بعيد وأيضا محل الانوار المذكورة وأيضا جعل نور محمد على نور ابراهيم فهذا يدل على علو النور الحبيبي عليه السلام هذا ما ألهمني ربي (يهدي الله لنوره) أي لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية (ويضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا (والله بكل شيء عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا لعلك بعد هذا التفصيل الذي قررناه قد زين الله سبحانه مشكاة صدرك وزجاجة قلبك بمصابيح أنوار محمد صلى الله عليه وسلم وعلمت ان الله سبحانه كما سمى ذاته الكريم بالنور كذلك ألبس حبيبه هذه الحلة الجليلة وأضافه اليه ووصفه بأنواع المحاسن والمحامد كما لا يخفى على المتأملين المحققين

يأخذ بالمراصد
في الطرق والموارد
أعيذه بربه
من فتنة المعاند
وفي المواهب اللدنية ما حاصله ان الخطيب البغدادي وابن عساكر ذكرا في تاريخهما ان عباس بن عبد المطلب قال يا رسول الله ان أول مادعاني الى الدخول في دينك خصلة عجيبة رأيتها منك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي خصلة تلك يا عمي قال رأيتك في المهد صبيا تتكلم مع القمر تكلما جليا وتشير اليه ويسير حيث تشير قال كنت أتكلم مع القمر ويتكلم معي ويريد بذلك امتناعي عن البكاء وكنت أسمع سجدة القمر تحت عرش الرحمن وفي فتح الباري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم في أول ولادته وذكر ابن السبع في خصائصه ان الملائكة كانوا يحركون مهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى باب الولادة بالكرامة والسعادة

(الباب الثالث)
في رضاع هذا النجم الاسعد في قبيلة بني سعد وما يتعلق به من الاحوال السنية والارهاصات العلية اعلم أيها اللبيب الكريم الصادق

فى نعوت محمد النبى الامى الامين صلى عليه رب العالمين ۞ قال الله تعالى (انما المؤمنون) أى الكاملون فى الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم القلب (واذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه أعاده مؤكدا بأسلوب أبلغ فقال (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لامحالة (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) مايعرض لهم من المهام (فائذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوّض الى رأيه كذا قال القاضى (واستغفر لهم الله ان الله غفور) لعباده (رحيم) بالتيسير عليهم (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس يقول احذروا دعاء الرسول عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقال مجاهد لاتدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا ابن عبد الله ولكن فخموه وشرفوه وقولوا يانبى الله يارسول الله فى لين وتواضع (أقول) كيف لا والله سبحانه مع عظمته وكبريائه فى السموات والارض يعامله كذلك حيث قال لاتجعلوا دعاء الرسول ولم يقل لاتجعلوا دعاء محمد وغير ذلك ويدعوه بياأيها الرسول وياأيها النبى (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أراد به المنافقين كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب الناس يوم الجمعة عابهم فى خطبته فسماهم رجسا فاذا سمعوا ذلك نظروا يمينا وشمالا فان أبصرهم أحد لم يقوموا وان لم يبصرهم أحد يقوموا فيخرجون من المسجد يتسللون والتسلل الخروج خفية واللواذ أن يستتر بعضهم ببعض ثم يمضى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أمره فعن صلة أو المعنى يعرضون عن أمره بتضمين الاعراض والضمير للرسول (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة فهذه الآيات من أعظم البراهين على علو شأن خير الاولين والآخرين حيث عظم الله حاله بايجاب استئذانه والمدح على الآتى به والتعريض لمن لم يات به وعد حرج عدم الاستئذان فى الذهاب عن مجلس الحبيب عليه السلام عظيما ونصبه عليه السلام مستغفرا لهم فى استئذانهم أيضا وأمر بتعظيم حبيبه فى المخاطبات والمحاورات وحذر المخالفين عن أمره بفتنة الدنيا أو بعذاب الآخرة فذلك كله من عظيم رتبته عند الله سبحانه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا وامذهب كيد الشيطان ورجس الاوثان وليطهر الدنيا تطهيرا والصلاة والسلام عليه مادامت الشمس مضيئا والقمر نورا (هذا شروع فى المحاسن المتعلقة بسورة الفرقان) ۞ قال الله تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير الفرقان مصدر من فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل (ليكون) أى العبد (للعالمين نذيرا) للانس والجن وقيل للملائكة أيضا وقيل بل للحجر والمدر والشجر والحيوان (الذى له ملك السموات والارض) بدل من الموصول السابق أو مدح مرفوع أو منصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كقول الثنوية (وخلق كل شئ)

فى حب هذا الحبيب العظيم انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وضع قدمه قدم الصدق والصفاء على العالم الاسفل وزينه بنجم ذاته الانور الاجل نطق لسان القدرة بلسانه الفصيح انه من يكون ظئرا لهذا الحبيب المليح فقالت الطيور نحن نتكفل بهذه الخدمة الاسنى وقالت الوحوش نحن أولى بها وأحرى والمرضعات فى تلك الاوقات يعرضن نفوسهن على آمنة لحصول البغية والامنية وآمنة تردّهن بالجميل وتقول ان أمور حبيبى فى يد جده عبد المطلب (وحكى) ان آمنة كانت فى لذيذ المنام فى بعض الليالى اذ سمعت هاتفا ينادى ويقول يا آمنة الطاهرة لاتليق لارضاع ولدك الطاهر الا حليمة السعدية فانها مستعدة لذلك وبرة رحيمة فلما أمرت بهذا علمت ان له صلى الله تعالى عليه وسلم مرضعة موصوفة بالحلم والسعادة وانتظرت قدومها وورودها فحرك الله عز وجل قلب حليمة السعدية لهذه الخدمة السنية وسبب تحرك قلب حليمة السعدية ما حكى عنها انها قالت ان قبيلة بنى سعد كانوا فقراء واستولى عليهم القحط والغلاء حتى كنا نخرج الى البرارى والجبال

أحدثه احداثا مراعافيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وأشكال معينة (فقدره تقديرا) فقدره وهيأه لما أراده منه من الخصائص قال الراغب الخلق أصله التقدير المستقيم وفى الاساس خلق الخياط الثوب قدره قبل القطع وقدر الشئ بالشئ قاسه وجعله على مقداره ومن المجاز خلق الله الخلق أى أوجده على التقديرات المحكمة انتهى (أقول) ففى هذه الآية تشريف عظيم وتفخيم بليغ لحبيب رب العالمين حيث اضافه عليه السلام الى نفسه الكريم جل شأنه باضافة التشريف ووصفه بالعبودية وهى أعلى مناصب الانسان كما ذكرنا فى سورة الاسراء انه لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة بالمعراج أوحى الله اليه يا محمد بم أشرفك قال بان تنسبنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله تعالى قوله سبحان الذى أسرى بعبده الآية وأيضا ذكره عليه السلام بخلعته الفاخرة الخاصة وهى بعثته الى كل مخلوق وأيضا فى بدء السورة بذكره الكريم وبذكر الحبيب الرحيم ملاطفة أخرى كما لا يخفى ۞ قال الله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفهما والظاهر أن اللام للاستغراق فالمراد عامة الكافرين (يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة فهذا التمنى فى الآخرة وهم فى اطباق النار حين علموا مرتبة الرسول وما يتنعم به أهل القبول من الجنات العاليات واللقاء والوصول ففى هذه الآية بيان فضيلة رسولنا عليه الصلوات حيث تمنى عامة الكفار من الاولين والآخرين أن يكونوا تابعين لسيد الانبياء والمرسلين كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ۞ قال الله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل الآية) روى ان الرسول صلى الله عليه وسلم نزل فى بعض أسفاره فى ظل شجرة فى وقت القيلولة وكانوا خلقا كثيرا فمد الله ظل تلك الشجرة حتى وسع جميعهم فانزل الله هذه الآية وكان معجزة للنبى عليه السلام كذا ذكره الامام القشيرى قال الامام المزبور وقوله للنبى عليه السلام ألم تر الى ربك كيف مد الظل سترلما كاشفه به أولا اجراء للسنة فى اخفاء حال الحبيب عليه السلام وقال لموسى عليه السلام لن ترانى فشتان ما بينهما ويقال أحيا قلبه عليه السلام بقوله ألم تر الى ربك ثم أفناه بقوله كيف مد الظل انتهى كلامه فعلى ما ذكره الامام الهمام ظهر ما ظهر من فضيلة سيد الانام وفى هذه السورة الكريمة محامد غير ما ذكرنا لكن اكتفينا ذكرنا منها ماظهر وبهر تم فضائل سورة الفرقان

(بسم الله الرحمن الرحيم) سبحان من طهر جناب عزته عما ينسبه المبطلون وتقدس باب كبريائه عما يقصده الملحدون والصلاة والسلام على خير الاولين وأطيب الطيبين وأطهر الطاهرين وحبيب رب العالمين (هذه محاسن متعلقة بسورة الشعراء) ۞ قال الله تعالى (طسم) قال الامام القشيرى الطاء اشارة الى شجرة طوبى والسين اشارة الى سدرة المنتهى والميم اشارة الى اسم محمد أى ارتقى محمد ليلة الاسراء عن شهود شجرة طوبى حتى وصل الى سدرة

المنتهى

والاودية ونستغذى بالكلا وخرجت يوما من الايام على عادتنا ادعو صويحباتى لطلب الكلا ومررنا بواد فيه شئ من الحشيش والماء وأكلنا وشربنا وسمعنا هاتفا ينشد أبياتا سمعناها هذه

يانسوة القبيلة

ياخيرابن سعد

سعيا الى محمد

مشبا الاجل أحمد

من ترضعن هذا

نالت بكل مجد

لو جاءكم محمد

فلتم بكل سعد

صلى عليه ربى

فى صوت كل رعد

ثم بعد عنا وهو يكرر الابيات ورغبنا الى حرم الله عزوجل وبعدنا بالبركات فرجعنا الى بيوتنا خائفات من مشاهدة هذا الامر العجيب الفصيح عن الكرامات وقال لى زوجى الحرث يا حليمة جئت خالية عن شئ أتقوت به فى يومى وليلتى فذكرت له ما شاهدنا من الامر العجيب من كلام الهاتف وترغيبنا الى حرم الله عزوجل لطلب الرضيع المعظم والحبيب المكرم ولما سمع الحرث بركات الحبيب قال يا حليمة تعالى نروح معك الى حرم الله تعالى لعل الله سبحانه يخصصنا بهذا المولود ويكرمنا به من بين كل موجود

المنتهى ولم يساكن شيأ من المخلوقات فى الدنيا والعقبى (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أو القرآن وكونها الى القرآن باعتبار الآيات (لعلك باخع نفسك) البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح ولعل للاشفاق أى أشفق على نفسك ان تقتلها (ألا يكونوا مؤمنين) خيفة ان لا يؤمنوا ففى الكلام ما يعظم شأن سيد الانام حيث ذكر فى أول السورة من ارتقائه الى المراتب العالية سما بدء السورة بذكره الكريم وأيضا فيه اشفاق ومبرة على الحبيب عليه السلام كما هو ديدن المحبين فى الشاهد اعلم ان الله سبحانه ذكر بعد هذه الآية القصص السبع للانبياء عليهم السلام تسلية لنبينا عليه السلام وكلما ختم قصة ختمها بذكره الكريم بقران ذكر حبيبه عليه السلام * ثم أردف آخر القصص بقوله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين) تقريرا لحقية تلك القصص حيث بين انه لتنزيل من رب العالمين (نزل به الروح الامين) يعنى جبريل (على قلبك) والقلب ان أراد به الروح فذاك وان أراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة كذا ذكره البيضاوى (لتكون من المنذرين) عما يؤدى الى عذاب من فعل أو ترك (أقول) ففى انزال كلامه سبحانه على قلبه عليه السلام اختصاص فضل به عليه السلام لان كتب سائر الانبياء عليهم السلام منزلة عليهم بالصحف وكتاب نبينا عليه السلام منزل على قلبه وذلك يدل على سعة جنانه وكمال اقتداره على وعائية كلمات ربه وهذا فضل عظيم عندى لكن لم تذكر هذه النكتة اللطيفة فيما عندى من التفاسير ❁ قال الله تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أحبائه (الذى يراك حين تقوم) للتهجد (وتقلبك فى الساجدين) تقلبك فيمن يصلى خلفك كما قال عليه السلام أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلفى ومن الاشارات القشيرية القدسية ان قال تقلبك فى الساجدين من أصحابك فهم نجوم وأنت بدروهم بدور وأنت بينهم شمس وأنت للشمس شمس ويقال تقلبك فى اصلاب آبائك الذين عرفوا الله فسجدوا له (انه هو السميع العليم) انه هو السميع لأنين المحبين وحنين العارفين ويقال السميع لأنين المذنبين العليم باحوال المطيعين ففى جميع ما ذكرنا من الاشارات محاسن واضحة لخير البريات تمت الفضائل المتعلقة بسورة الشعراء

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أحرق قلوب العارفين بانوار جماله وزين صدور العالمين بعلوم كماله والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وسند أصفيائه (المناقب المتعلقة بسورة النمل) ❁ قال الله تعالى (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم) من عند أى حكيم أى عليم فهذا الكلام منبئ بعظم شأن سيد الانام لأن عظم المرسل بالنظر الى عظمة المرسل ولهذا فسره الامام القشيرى بقوله أى الذى أكرمك بانزال القرآن عليك هو الذى يحفظك من الاسواء والاعداء وصنوف البلاء * اعلم ان الله تعالى لما قص فى هذه السورة على حبيبه أقاصيص الانبياء مع أممهم وبين تعذيب القوم بعذاب الاستئصال خاطب نبيه عليه السلام بقوله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الآية) قال الامام الرازى يحتمل أن يكون كلاما مبتدأ فانه تعالى لما ذكر أحوال الانبياء عليهم السلام وكان قوم محمد عليه الصلوات كالمخالف لمن جاء قبله فى

وقد كنت حاملا بولدى ضمرة فأخذنى المخاض فى تلك الايام وذهب عقلى من كمال الضعف وشدة الجوع وجاءنى جاء من الانام وأخذنى وألقانى على ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وقال يا حليمة اغتسلى فى هذا الماء واشربى منه ففعلت ذلك وقال لى يا حليمة لك البشارة فان الله عز وجل شرفك بسعادة ارضاع النبى العربى فسافرى الى مكة ان لك فيها رزقا واسعا وبسبب هذه الخدمة العلية تكون سعادتك عليا وجدك أعلا من نساء قومك ثم ضرب يده على صدرى وقال أدر الله لبنك وحفظك من البلايا وانتبهت من نومى وعزة ربى وجلاله لقد ملأ الله عز وجل ثديى باللبن حتى ما قدرت على الاحتمال وبسبب اشراق نور محمد صرت ذات سمن وحسن وجمال وأما صويحباتى فانهن من شدة القحط كانت بطونهن ملتصقات بظهورهن واصفرت صورهن ولما رأيننى قلن يا حليمة كنت البارحة أضعف منا فمن أين لك هذا السمن والجمال فرددتهن بالجميل وكتمت ما رأيت من المعجزات من جهة سيد الكائنات قلت لزوجى الحرث أوصلنى الى مكة الله

أمر العذاب لان عذاب الاستئصال مرفوع عنهم أمره تعالى بان يشكر ربه على ماخصه به هذه النعم و بان يسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة انتهى (أقول) فعلى كون المحمود عليه ماذكره الامام تضمن الكلام شرف سيد الانام كما لا يخفى على ذوى الافهام ﴿قال الله تعالى (ولا تحزن عليهم) على تكذيب الكفار واعراضهم (ولا تكن فى ضيق) فى حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس فالله سبحانه أزال الغم والخوف عن حبيبه عليه الصلوات فذلك مبرة وفضل منه تعالى بل من مقتضى حبه سبحانه اياه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله على كل حال والشكر له بلسان الحال والمقال والصلاة على سيد أهل الحال وسند أصحاب الكمال (المكارم المتعلقة بسورة القصص) ﴿قال الله تعالى بعد ماقص على حبيبه قصة موسى عليه السلام (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) ذكر المفسرون فى قوله تعالى اذ نادينا وجوها أحدها أى نادينا موسى فى الطور بقوله ورحمتى وسعت كل شىء الى قوله تعالى أولئك هم المفلحون والآيات ذكرناها فى سورة الاعراف قررنا فيها فضائل كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الحق سبحانه يقول ناديناموسى فى باب مدحك وثنائك وذكرك وذكر أمتك وثانيها ماقال ابن عباس رضى الله عنهما اذ نادينا أمتك فى اصلاب آبائهم ياأمة محمد أجبتكم قبل ان تدعونى وأعطيتكم قبل أن تسألونى وغفرت لكم قبل ان تستغفرونى وانما قال ذلك حين اختار سبعين رجلا لميقات ربه وثالثها مانقل عن وهب لماذكر الله تعالى لموسى فضل أمة محمد قال يارب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت اسمعتك صوتهم قال بلى يارب فقال سبحانه ياأمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم وأسمعه الله أصواتهم ثم قال أجبتكم قبل أن تدعونى الحديث كما ذكره ابن عباس هكذا قرره الامام الرازى ففى جميع ماذكرنا من التوجيهات تفضيلات وتشريفات لخير البريات لا تخفى على متأمليها على نسق ماذكرته فى سورة الاعراف فى قصة الميقات ولم نذكر على ماتضمنه قوله تعالى طسم فى أول السورة من الفضل المنيف اكتفاء بما ذكرناه فى اول سورة الشعراء (ولكن رحمة من ربك) ولكن علمناك رحمة (لتنذر قوما) متعلق بالفعل المحذوف (ما أتاهم من نذير من قبلك) لوقوعهم فى فترة بينك و بين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو أكثر أو بينك و بين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل وماحواليهم (لعلهم يتذكرون) يتعظون ﴿قال الله تعالى خطابا لحبيبه عليه السلام (ان الذى فرض عليك القرآن) أى الذى فرض عليك أحكامه (لرادك الى معاد الآية) لرادك بعد الموت الى معاد وتنكيره للتعظيم كأنه قال الى معاد أى معاد أى ليس لغيرك من البشر مثله كما ذكره الامام الرازى ففيه من تشريف حاله عليه السلام وتعظيم مآله مالا يخفى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الملك الجبار المهيمن الستار والصلاة على سيد الابرار وسند الاخيار (الفضائل المتعلقة بسورة العنكبوت) ﴿قال الله تعالى (أتل ماأوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال كونه مشتغلا بها وغيرها لانها تذكر الله سبحانه لانها معراج المؤمنين وتورث للنفس تيقظا روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول

قال لى فيها خيرا كثيرا ان شاء الله وكنا لا نملك غير الحمار وهو من كمال الضعف اذا مشى يتصوت مافى بطنه وتعدد افسلاعه وعظامه وقال زوجى ياحليمة تحملين على هذا الحمار مالا يطيقه وهو بهذا النحول كيف يوصلنا الى مكة قلت يا قرين الخير ان الله عز وجل هو الذى يوصلنا اليها ويحملنا واياه على القدرة فاخرج زوجى الحمار من الدار وكلا على رب الارباب وحملنى وابنى ضمرة على الحمار وخرجنا من الديار فتحرك الحمار كالعادة وما مشى خطوات الاخر على التراب قال زوجى ياحليمة ويلك ارجعى الى دارك حتى لا يتطير الناس بنا قلت يا قرين الخير لا تنقض عزيمتك فان قلبى واثق بالله عز وجل فى ان يرزقنا ذلك المولود الموعود وكنا مترددين بين الذهاب والرجوع اذ ظهر شخص عظيم وفى يده حربة لامعة فتقرب الى الحمار وأشار بها اليه وقال ياحمار اسرع الى رضاع الصادق الامين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ثم ان الشخص خاطبنى وقال لى ياحليمة أبشرى فان الله عز وجل خصك من بين نساء قومك بخدمة أكرم النبيين وسيد

الله صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام فقال ان
صلاته ستنهاه فلم يلبث الا تاب (ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) ولذكر الله لك أكبر من
ذكرك له كذا ذكره الامام القشيري ذكر الله تعالى حبيبه في سبعة آلاف موضع من هذا الكتاب
الكريم الذي هو أفضل الكتب تصريحا وتعريضا وكناية واشارة واخبارا وخطابا وحكاية ليعلم
العالمون انه أفضل الانبياء وأشرف الاصفياء ومالك ممالك الاصطفاء والاجتباء كذا ذكره
صاحب القاموس في لطائف القرآن الذي هو جزء من الكتاب الذي ألفه على مقدمة وستين
مقصدا وبين في كل مقصد علما وجعل المقصد الاول في لطائف القرآن وهو مجلد فعلى ما ذكره
الامام في الكلام اشارة الى كمال حال الحبيب عليه الصلاة والسلام لان من كان الحق ذاكرا له لابد
أن يكون شأنه اعلى وأجل ولاشك ان ذكر الله تعالى اياه من مقتضى مقامه لان من ديدن المحبين
أن يذكروا الاحباب ۞ قال الله تعالى (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)
أي تجرد قلبك عن المعلومات وتقدس سرك عن المرسومات فصادفك ما منا من غير ممازجة
طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية فلما خلا قلبك عن كل معلوم ومرسوم ورد عليك خطابنا
وتفهيمنا غير مقرون به ما ليس منا كذا ذكره الامام القشيري (اذا لارتاب المبطلون) أي
لو كنت ممن يخط لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الاقدمين ومما ذكرنا ظهر لك ان في الآية
الكريمة ايماء الى سمو شأن الحبيب عليه السلام لان انطواء قلبه العالي على علوم الاولين
والآخرين من غير ممارسة بالعلوم ومصاحبة بأهلها أدل دليل على ما ذكرنا من علو الحال
وعظم المقام

(بسم الله الرحمن الرحيم) وبه نستعين الحمد لله الولي المولى العلي الاعلى والصلاة على حبيبه
المصطفى وخليله المجتبى (هذا شروع في المدحة الكائنة في سورة الروم) ۞ قال الله تعالى (الم
غلبت الروم) غلبت فارس الروم (في أدنى الارض) أرض العرب منهم لانها الارض المعهودة
عندهم أو في أدنى أرضهم من العرب واللام بدل الاضافة وقوله تعالى في أدنى الارض لبيان
شدة ضعفهم الى أن وصل عدوهم الى طريق الحجاز وكسروهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا الى
المدائن وبنوا هنالك الرومية ولبيان ان هذه الغلبة العظيمة بعد هذا الضعف العظيم باذن الله
سبحانه قال (وهم من بعد غلبهم) من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله (سيغلبون في بضع
سنين) روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي أدنى أرض
الروم من الفرس فغلبوا عليهم فبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم
والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الاميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم
فنزلت فقال أبو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع
سنين فقال أبي بن خلف كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل
واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع
ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل وهذا يدل على علم النبي صلى الله عليه وسلم
وقت الغلبة فجعلاها مائة قلوص والاجل الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله

المرسلين قالت حليمة ثم ان
جاري بعد هذا الامر أسرع
جدا حتى سبق العير وكنت
أول من شاهد حرم الله
عز وجل ورأيت اطراف
الكعبة مزخرفة بانواع
الازهار ببركة سيد الابرار
فنزلنا اطراف الحرم وبتنا
فيها ودعينا دوابنا وأنفسنا
فلما أصبحنا دخلنا مكة
المحروسة والكل يرجو
التشرف بمولود نور الله تعالى
العالمين بقدمه واتفق ان
آمنة قالت لعبد المطلب
يا سيدي سمعت انها جاءت
مرضعات من بني سعد لو
طلبت لحبيبي محمد منهن
ظئرا فخرج عبد المطلب
لطلبها وسمعت آمنة في ذلك
الوقت هاتفا يهتف ويقول
نظما

ان ابن آمنة الامين محمدا
خير الانام وصفوة الرحمن
ما ان له في الناس غير حليمة
أمر أتى حقا من الديان
وسليمة من كل عيب فاحش
ونقية الاثواب والاردان
لا تسلمه الى سواها انه
أمر وحكم جاء في الاكوان

ويحكى عن حليمة ما مفهومه
انها قالت سمعت ان مرضعات
قومي دخلن على آمنة في
تلك الايام فوجا فوجا وكلما
دخلت عليها داخلة سألت
عن الاسم والنسب فاذا رأت

عليه وسلم بعد قوله من أحد وظهرت على فارس الروم يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة
أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به (لله الامر من قبل ومن بعد) من
قبل أن غلبت الروم ومن بعد ما غلبت يعني غاية كل واحد منهما على الآخر باذن الله وقضائه
وقدرته كما قال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الآية (ويومئذ) يوم يغلب الروم
(يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاءل وظهور
صدقهم فيما أخبروا به المشركين وغير ذلك (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى
(وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم أخرى (وعد
الله) نصب على المصدر أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده) لامتناع
الكذب عليه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم
(أقول) بلطف الله وتوفيقه في الكلام ايماء بتعظيم سيد الانام لان الله سبحانه وتقدس وعد
بنصر الاعداء الفرح حبيبه والآل والاصحاب وما فيه من دقائق الاكرام لا يخفى على أولى الالباب
۞ قال تعالى (فأقم وجهك للدين) أي أقبل بكلك على الدين عبر عن الذات بالوجه كما قال تعالى
كل شئ هالك الا وجهه أي ذاته بصفاته (حنيفا) أي مائلا عن كل ما عداه (فطرت الله التي
فطر الناس عليها) اي الزم ملة الاسلام التي خلق الناس عليها فانهم اذا خلوا وما خلقوا عليه
أدى بهم اليها وقيل المراد من الفطرة العهد المأخوذ من آدم وذريته (لا تبديل لخلق الله)
لا يقدر أحد أن يغيره وما ينبغي ان يغير قال بعض المفسرين قوله تعالى لا تبديل لخلق الله تسلية
للنبي عليه السلام عن الحزن حيث لم يؤمن قومه فقال هم خلقوا للشقاوة ومن كتب شقيا
لا يسعد كذا ذكره الامام الرازي (ذلك الدين القيم) أي ملة الاسلام الدين القيم المستوى الذي
لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) منقطعين
اليه وهو حال من الضمير في أقم لان الآية خطاب للرسول والأمة لقوله (واتقوه وأقيموا الصلاة
ولا تكونوا من المشركين) صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما كذا ذكره
البيضاوي ففي الكلام القديم تعظيم للحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم كما ترى وتسلية وهي
أيضا مما ينبئ عن علو حاله كما مر مرارا

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الملك الجبار المهيمن الستار والصلاة على أفضل الاخيار
وأكمل الابرار (هذا شروع في المدحة الكائنة في سورة لقمان) ۞ قال الله تعالى (واذ قال
لقمان لابنه) أنعم وأشكم وماتان (وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به
حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) الى آخر القصة
لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه وبين من لا نعمة له قال الامام الرازي وفي هذه لطيفة وهي ان
الله تعالى ذكر لقمان وشكر سعيه حيث أرشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي الذي أرشد الاجانب
والاقارب فان ارشاد الولد أمر معتاد وأما تحمل المشقة في تعليم الاباعد فلا انتهى كلامه (أقول)
ففي الكلام فضيلة أخرى من طريق آخر وهي ان القصص الواردة في القرآن لتثبيت فؤاد النبي
عليه السلام وتطييب خاطره فهذه القصة كذلك فمن يكون أفضل شأنا ممن يريد الله تطييب
خاطره بانواع المبرات ۞ قال الله تعالى (وان جاهداك) أي الوالدان (على أن تشرك بي

ان السعد لم يجتمع مع الحلم
ردت بالرد الجميل وانتظرت
الوعد الجزيل وان عبد
المطلب كان في طلب
المرضعات في تلك الحالات
اذ دخلت عليه وسلمته
أحسن السلام واتخذت بين
يديه المقام وقالت أي سيد
الاشراف ومنبع الجود
والانصاف اني امرأة قد
غير حالي صروف الدهر
وحوادث الايام واذاب اللحم
والشحم تطاول القحط في
الانام وهلكت الانعام
ولم يبق لنا اليوم معين ولا
نصير وشاركنا الحيوانات
في المرعى فيا أيها العرنين
الاسنى والهمام الابهى
وسيد المروة والصفا جئتك
في طلب كرم وجود لعل الله
سبحانه ببركتكم يخصصني
باكرم مولود وأشرف موجود
فقال عبد المطلب ما معناه
يا أمة الله ما اسمك وما نسبك
قلت حليمة السعدية قال
اتفاق حسن اجتمع الحلم
والسعادة يا أمة الله عندي
غلام لم تلد مثله الامهات
وجهه يحكي عن أوجه
الجمال وطرفه يوضح عن
الآيات البينات ويا أمة
الله هو در يتيم لكنه
اكسير عظيم وانا قائم مقام
أبيه في اناقة عطائك وتوفير
اجرتك فلما سمعت أوصاف

مالیس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما (فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع سبيل من أناب الى) واتبع دين من أقبل على طاعتى وهو النبى عليه السلام (ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) من الخير والشر (أقول) تضمنت الآية بيان رفعة شأن الحبيب عليه الصلوات لانه عبر عنه بمن أقبل على الحق سبحانه فذلك من نعوت الكمال أعلاها ومن صفات المدحة أبهاها

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أنزل الكتاب على خير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ۞ (هذا شروع فى المدحة الكائنة فى سورة السجدة) ۞ قال الله تعالى (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) قال الامام الرازى وقد علم ما فى قوله تعالى الم وفى قوله تعالى لا ريب فيه من سورة البقرة وغيرها انتهى (أقول) ومما علم فى سورة البقرة فى قوله تعالى الم ان الالف هو الله واللام جبريل والميم محمد بمعنى الله أنزل جبريل على محمد أو بمعنى أقسم الله تعالى على مدلولات هذه الحروف كما يشير اليه تفسير ابن عباس أو على معنى ان الرسول من الله تعالى كما قاله الامام الديلمى فاذا كان المراد من الم ما ذكر فى سورة البقرة تكون هذه السورة أيضا مما تدل على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على ما لا يخفى ثم ختم الله السورة بقوله سبحانه (فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون) فالمعنى انتظر النصر من الله فانهم ينتظرون النصر من آلهتهم وفرق بين الانتظارين ففى بدء السورة بأمر الحبيب عليه الصلوات وختمها به تعظيم عظيم لقدره بما لا يخفى وفى هذه السورة الجليلة فضائل غير ما ذكرنا الا انا اقتصرنا على ما فيه الكفاية

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى بحمده تتم النعمة وبشكره تدفع النقمة والصلاة على حبيبه خير البرية ورحيم الامة (المحامد المتعلقة بسورة الاحزاب) ۞ قال الله تعالى يا أيها النبى اتق الله) ناداه وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه كذا ذكره البيضاوى قال الامام القشيرى فى تفسير هذا الكلام يا أيها المشرف حالا المفخم قدرا منا المعلى رتبة من قبلنا يا أيها المرقى الى أعلى الرتب يا سنى القرب المخبر عنا المأمون على اسرارنا المبلغ خطابنا الى أحبابنا انتهى كلامه (ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع ما يوحى اليك من ربك) كالنهى عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فموح اليك ما يصلح ويغنى عن الاستماع الى الكفرة وخطابه سبحانه لحبيبه عليه السلام بصيغة الجمع اعنى تعملون للتعظيم قال ابن عباس ان أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبى رئيس المنافقين والجد بن قيس ومعتب بن قشير المنافقين وكان يومئذ مع المشركين عبد الله بن سعد بن أبى سرح فطلبوا النبى عليه السلام وقد كانوا طلبوا امنه الامان أن يكلموه فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة فى الآخرة ومنفعة لمن عبدها ندعك أنت وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ائذن لى يا رسول الله فى قتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعطيتهم الامان فأمر النبى عليه السلام عمر أن يخرجهم من المدينة فقال لهم رضى الله عنه اخرجوا فى لعنة الله

الحبيب دهش قلبى ووله لى وتغافلت عن صفة اليتيم التى ترغب عنها المرضعات قالت يا سيدى لو أذنت لى فى المشاورة مع زوجى فانى غير قاطعة بأمر حتى يأذن لى زوجى فاذن لى فى المشاورة ورد الجواب ثم راجعت أهلى وقلبى معلق بذلك الباب وقال زوجى ما الخبر يا حليمة قلت طلبت من سيد الحرم وصاحب الشيم ولدا رضيعا فاخبر أن عنده ولدا لم تلد مثله الامهات ولم تأت بمثله الاوقات والساعات لكنه در يتيم وما تجاسرت آخذه لخوفى منك على يتمه قال زوجى الحرث ما معناه يا حليمة مالى ولليتيم فان اللطف والاحسان يكون من جهة الآباء واذا لم يكن للولد أب فمن يتكفل لذلك قلت فان جد هذا المولود الكريم تكفل لما قلت ووعدنى بأجر عظيم قال يا حليمة ان مرضعات قومى يرتحلن الى الاوطان بالانعام والاحسان من آباء الغلمان ونحن اذا أجزنا ما اشرت اليه نرجع بالافلاس والحرمان قالت فصبرت فى ليلتى بالحزن الطويل فلما أصبحنا تهيأ قومى للرحيل فاخذنى البكاء والعويل وقال لى زوجى يا حليمة مالك تبكين قلت ولقد

وغضبه فانزل الله هذه الآية كذا فى تفسير الحدادى فتضمنت الآية تعظيم الله تعالى حبيبه كما ذكرته فى صدر الكلام من الوجه الذى ذكروه وفيها تعظيم آخر من وجه آخر وهو انهم قالوا ان الله تعالى خاطب سائر الانبياء باسمائهم كقوله يا ابراهيم ويا موسى ويا عيسى وخاطب نبينا بيا أيها الرسول ويا أيها النبى وهذا افضل عظيم كما مر منا ذكره ۞ قال الله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فى الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطاق فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها روى انه عليه السلام أراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أى فى الدين (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفائدة تحريم نكاح أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته تعظيم أمره وتفخيم شأنه ففى الكلام تنويه أمره وتشريفه من وجهين حيث أمر المؤمنين أن يكون النبى أحب اليهم من أنفسهم وذلك تشريف ظاهر وحرم عليهم أزواجه عليه السلام فى حياته ووفاته وهذا افضل باهر والظاهر انه من خصائصه عليه السلام كما مرت الاشارة اليه فى سورة الاعراف فى قصة موسى عليه السلام ۞ قال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم تبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عظيم الشان ومؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف فالغلظ مستعار من وصف الاجرام العظام خصهم بالذكر لانهم مشاهير أرباب الشرائع وأولوا العزم وقدم حبيبه مع انه مؤخر بعثا تعظيما له وأما تقديم نوح فى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية فلان المقصود بيان اصالة الدين وقدمه روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا الحديث قال قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هاهنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم ۞ قال الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة) والاسوة من الائتساء بمعنى الاقتداء كالقدوة بمعنى الاقتداء (حسنة) خصلة حسنة فى الصبر على القتال والثبات عليه واحتمال الشدائد فى ذاته تعالى (لمن كان يرجو الله) لقاء الله (واليوم الآخر) أى يخشى يوم البعث ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم لكن جمهور البصريين على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله كثيرا) قرن بالرجاء كثرة الذكر المسببة الى مداومة الطاعة فان المؤتسى والمقتدى بالرسول من كان كذلك ولقد تضمنت الآية من حسن الثناء على الرسول وكمال التشريف له عليه الصلاة والسلام حيث أثنى الله تعالى على الخصلة الحسنة الكائنة فيه مع الاشارة الى أن مقتديها من كان يرجو لقاء الله تعالى واضافه الى ذاته الكريم وذلك شرف ظاهر لا محالة ۞ قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى ما صح لهم (اذا قضى الله ورسوله أمرا) اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم أمره

حق لى البكاء والانين ان بنى سعد يرجعون الى أوطانهم بالسعادة وحصول المرام وانا أرجع بالخيبة والغرام ثم قال أى شئ تريدين يا حليمة قلت أريد المولود المكرم الذى وصفنى اياه سيد الحرم واخبرنى بما فيه من الحسن والشيم لعل الله سبحانه يشرفنى به على نساء بنى سعد فقال لى ارجعى الى سيد الحرم واطلبى منه ما وعدك من الجود والكرم فخرجت من منزلى فى طلب سيد الحرم وصادفته فى الطريق وعرفته وعرفنى وقلت الى أين يا سيد العرب قال اليك يا سعيدة النسب وقلت وانا فى طلبك يا سيد الحطيم أطلب منك الدر اليتيم أيها الكريم فامنى عبد المطلب حتى دخلنا دار سيد الانام فلما رأتنى آمنة استقبلتنى بالترحيب والاكرام ثم قالت يا حليمة والله لأنت احق لولدى وأحرى به من جميع الانام ثم أخذت من يدى وأدخلتنى بيت سند الابرار فاذا هو مملوء بالانوار قلت يا سيدتى هل فى نواحى ولدك سرج وأقمار قالت بل هى أنوار وجهه الجميل وأشعة طلعته البهية ولما شاهدت جمال الحبيب استغرقت فى مطالعة انواره السنية

أو الاشعار بان قضاءه قضاء الله تعالى لافادته قوة الاختصاص وانه عليه السلام بمنزلة من الله تعالى ومكانة لان الله تعالى أنزلها فى زينب بنت جحش بنت عمته أمية بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ان يختاروا من أمرهم شيأ بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة الاختيار وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ظاهر المعنى ففيها من تعظيم أمره واعلاء قدره ما لا يخفى حيث نفى سبحانه خيرتهم فى مقابلة اختيار خير الابرار وشرفه بقرآن ذكره بذكره وعظمه بصيغة العظمة وغير ذلك من الاسرار فتامل قال تعالى (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) شاهدا على أمتك وعلى سائر الامم بتبليغ الرسالة وشاهدا حال مقدرة من مفعول أرسلنا بيانها ان الحال لا تقع مستقبلا لمنافاته الحالية ولا يجوز أن يكون العامل ماضيا أو حاضرا والحال مستقبلا لانه لا يكون حينئذ مقيدا لذلك الفعل لانه لم يقع بعد والتقييد انما يكون اذا كان زمان الحال وزمان العامل واحدا وكلما وقع فى الكلام مثل ذلك الحال أولوه وسموه بحال مقدرة كما قالوا فى قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الخلود لم يحصل حين الدخول فقالوا بان المراد تقدير الخلود أى ادخلوها مقدرين الخلود فكذلك فى هذه الآية الكريمة (ومبشرا) بالجنة لمن أطاعك (ونذيرا) أى مخوفا بالنار لمن عصى الله تعالى وكذلك (وداعيا الى الله) الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره واطلاق الاذن على التيسير من قبيل اطلاق السبب على المسبب فان التصرف فى ملك الغير متعذر فاذا أذن تيسر قيد به الدعوة ايذانا بانه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب عزته (وسراجا منيرا) يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من أنواره أنوار البصائر وقوله تعالى وسراجا منيرا من قبيل التشبيه البليغ قال الله تعالى فى النبى صلى الله عليه وسلم سراجا ولم يقل شمسا مع انه أشد اضاءة من اللطيفة هى ان الشمس نورها لا يؤخذ منه شئ والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم ففى الكلام من مدحة الحبيب وفضله ما لا يخفى حيث جعله ربه تعالى شاهدا على الخلائق كلهم وسماه سراجا منيرا كما سماه نورا وجعل لامته فضلا على سائر الامم وذلك كله من فضله عليه السلام على كل الانام ۞ قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم) الا وقت أن يؤذن لكم أو الا مأذونا لكم كذا قال البيضاوى وخطأ أبو حيان الوجه الاول حيث قال فقد نصوا على ان أن المصدرية لا تكون فى معنى الظرف تقول جئتك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز جئتك ان تصيح الديك ولا ان يقدم الحاج انتهى والقاضى ضعف الوجه الثانى الذى صوبه أبو حيان حيث أخره فى الذكر (الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى (غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته وادراكه حال من فاعل لا تدخلوا أو المجرور فى لكم (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد أن يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولبث بعد الطعام لهم (ولا مستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على غير

وهو صلى الله عليه وسلم مستلق على ظهره يمص أصابعه النيرة قالت آمنة يا حليمة كنت منذ زمان انتظرت قدومك الى خدمة الحبيب الاسنى ويا حليمة انك لا تشبعى من مطالعة جماله الابهى فانشدت لسان حال آمنة بهذه الابيات نظما

لقد صادفت مولودا عظيما
جميل الوجه مثل البدر أشرق
تكامل سعد من رباه طفلا
وأرضعه وكان عليه أشفق
فلم تلد النساء له مثيلا
يجئ بأمره الأمر الموفق
سيعلم من يطول به زمان
بان محمدا حبيب مصدق

قالت حليمة لما اطلعت على كمال جمال الحبيب صلى عليه القريب المجيب لم يبق لى عرق ولا عضو الا امتلأ بمحبته صلى الله عليه وسلم وقعدت على رأسه الشريف أطالع نوره المنيف فلما امتدت نومته الشريفة خفت زوجى ومددت يدى الى صدره الوريف ففتح عينيه الكريمتين وتبسم وخرج من فيه نور وصعد الى جانب السماء وكتمت ما رأيته من النور الاسنى وأردت أخذه صلى الله تعالى عليه وسلم الى حجرى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ألقى نفسه النفيس

ناظرين أو مقدر بفعل أي لا تدخلوا أو لا تمكثوا مستأنسين (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذي
النبي) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله (فيستحيي منكم) من اخراجكم بتقدير المضاف قال
صاحب الكشف الاستحياء من زيد للاخراج مثلا حقيقة والاستحياء من اخراجه توسع بجعل
ما نشأ منه الفعل كالصلة فكلا العبارتين صحيح يصح ايقاع احداهما موقع الاخرى قلت أراد انه
لابد من ملاحظة معنى الاخراج فاما أن يقدر الاخراج ويفرع عليه فيكثر الاضمار ولا يطابق
اللفظ نفيا واثباتا وأما أن يقدر المضاف فيقل ويطابق اللفظ ومع وجود المرجح وفقد المانع
لا وجه للعدول فلا بد مما ذكره انتهى قال سعدي الانسب للاعجاز التنزيلي والاختصار القرآني
الحمل على الاحتباك بان يقال حذف من الاول المستحيى له بقرينة ذكره في الثاني ومن الثاني
المستحيى منه بقرينة الذكر في الاول والمعنى فيستحيي منكم من اخراجكم والله لا يستحيي منكم
من اخراجكم وكلاهما حرف جر ليسا بمعنى واحد بل الاول للابتداء والثاني للتعليل تأمل والله
الموفق انتهى (أقول) ما ذكره صاحب الكشف أنسب منه ببلاغة القرآن واعجازه لقلة
المحذوفات كما نبه عليه (والله لا يستحيي من الحق) يعني ان اخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء
فالله سبحانه لم يتركه فأمركم بالخروج والاستحياء في حقه سبحانه مستحيل فلهذا أول بلازمه كما
فعل بامثاله (واذا سألتموهن متاعا) شيأ ينتفع به (فاسألوهن) أي المتاع (من وراء حجاب)
ستر روى ان عمر رضي الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات
المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام يطعم ومعه بعض الاصحاب فأصابت يد رجل يد
عائشة فكره النبي ذلك فنزلت (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريب (وما كان لكم)
ما صح لكم (أن تؤذوا رسول الله) أن تفعلوا ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده
أبدا) من بعد وفاته أو فراقه (ان ذلكم) يعني ايذاءه ونكاحها (كان عند الله عظيما) ذنبا
عظيما وفيه تعظيم من الله سبحانه لحبيبه عليه السلام وايجاب لاحترامه في حياته ووفاته لاسيما
كرر سبحانه هذا الامر في سورة واحدة والظاهر ان هذا التعظيم من خصائصه عليه السلام كأمر
(ان تبدوا شيأ) كنكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شئ
عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع الدليل على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في
الوعيد ففي الكلام من تفخيمات سيد البريات على وجه المبالغات لانه تعالى أدب المؤمنين بانواع
التأديبات في مراعاة أمر سيد السادات في الدخول عليه والخروج عن جنابه ونهاهم عن ايذائه
وعن زواج أزواجه الطاهرات بعده أبدا مع عدم الاكتفاء بسبق ذلك الامر لكمال الاعتناء باعظام
شأنه ومع وعيد عظيم وتغليظ على المتفوهين بذلك أو المسرين لما أمر الله تعالى بالاستئذان وعدم
النظر الى وجوه نسائه وعدم تزوجهن بعده احتراما واكراما له كمل ذلك الاحترام ﷺ فقال تعالى
(ان الله وملائكته يصلون على النبي) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وقال أبو بكر القشيري
الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله
ثناؤه عليه وصلاة الملائكة الدعاء ولا يخفى ما في هذا من عجائب اكرام الله تعالى لنبينا صلى الله
عليه وسلم حتى قال القاضي عياض رأيت بخط شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز أن يصلى على
أحد من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم لكن هذا غير معروف من مذهبه (يا أيها الذين

آمنوا

الى وقبلت بين عينيه
الشريفتين وأعطيته صلى
الله تعالى عليه وسلم ثديي
الايمن ثم عرضت ثديي الايسر
فلم يقبل فعلم بنور المحبة
انه له شريك في اللبن فعينت
الايمن للامين والايسر لولدي
ضمرة ولما أردت الارتحال
قال لي عبد المطلب يا حليمة
اصبري حتى نزودك ونحسن
زادك قالت ان محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم يكفيني زادا
أتزود بطاعته العلية وأثنيت
على عبد المطلب ثناء جميلا
فردني بذلك وزاد زادي وأعظم
عطيتي ثم استودعت عبد
المطلب والده سيد الابرار
ولما أردت الخروج من الدار
عانقت آمنة حبيب الجبار
ووقفت واستوقفت وبكت
واستبكت وأخرقت الجيوب
وأحرقت الاحشاء على فراق
من تهوى اليه القلوب
وقالت آمنة يا حليمة لك
البشارة فانك قرنت خير
الثقلين فعليك حفظ أمانة
الله السيد الامين قالت
حليمة فسلكت الطريق مع
الرسول المكين وانجلت
ظلمات الطريق بنور الجبين
وكنت أسمع من جميع الارجاء
هواتف تهتف وتقول بارك
الله تعالى عليك بخدمة محمد
يا حليمة قالت حليمة ولما رأى
زوجي ما أحاط بي من الانوار

آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضا فانتم أولى بذلك قولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) قولوا السلام عليك أيها النبي وقيل وانقادوا الى أوامره ولقد تكلمت الآية الكريمة من تعظيمه وشرفه عليه السلام فلا حاجة الى بيان وجه الفضل للحبيب عليه الصلاة والسلام الينا ﴿ قال تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فلن نبتلى بهذا العذاب روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان أهل النار يودون أن يكونوا اقد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا الحديث كاهر فعلى ماذكرنا علمت ان هذه الآية الكريمة من الآيات الدالة على فضيلته عليه السلام تمت الفضائل المتعلقة بسورة الاحزاب

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أرسل حبيبه كافة للناس بشيرا ونذيرا وجعله هاديا اليه وسراجا منيرا والصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه مادام القمر نورا والشمس مضيئا ﴿ (المدحة المتعلقة بسورة سبا) ﴾ قال الله تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس) الا رسالة عامة لهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة وأما كونها حالا من الناس فلم يصح لانها لا تقدم على ذي الحال المجرور على المشهور لكن صححه أبو حيان مستشهدا باشعار العرب (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فحملهم جهلهم على مخالفتك فهذه الآية الكريمة من الحجج الدالة على فضيلة رسولنا على سائر الانبياء لان في كثرة المستجيبين أثرا في علو شان المتبوع على ما حقق في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال سعدي ثم ههنا قصة ذكرها العلامة تقي الدين في شرح مغني اللبيب عن القاضي أبي سعيد العقباني قال اجتمعت بمراكش بيهودي يشتغل بالعلوم فقال لي ما دليلكم على عموم رسالة نبيكم قلت له قوله عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود فقال لي هذا خبر آحاد لا يفيد الا الظن فقلت له قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس فقال هذا لا يكون حجة الا على قول من يقول بصحة تقديم الحال على صاحبها المجرور بالحرف (قلت) دليل عموم رسالته عليه السلام في غاية الظهور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور من ذلك كتبه الى القياصرة والاكاسرة وملوك الحبشة وغيرهم بدعوتهم الى الاسلام واجماع الامة المعصومة على ذلك انتهى ما نقله المولى سعدي (أقول) بلطفه تعالى هذه الآية الكريمة مجيبة لليهودي المردود من حيث لا يحتسب وهو قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ودلائل عموم رسالته القرآنية أكثر من أن تحصى منها قوله تعالى في جواب دعاء موسى في سورة الاعراف قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون

سجد شكر الرب الابرار وقال ياحليمة لي ولك البشارات بما منحنا من الخيرات والبركات وجاءت نساء قومي الى زيارة المصطفى عليه الصلوات عدد الرمل والحصى وقلن عند مشاهدتهن جماله الابهى ياحليمة ماهذه الانوار الساطعة والاضواء اللامعة التي أحاطت بهذا المولود المجتبى ومازلن من التعجب في أنواره العلية قائلات بأن هذا المولود حقن أن يمدح بكل لسان لانه لم ير مثله في الاكوان ولما شرعنا في الرحيل الى الاوطان ركبت حماري ووضعت حبيبي في جانبي الايمن وولدي ضمرة في جانبي الايسر فسبق الحمار العير وقال أهلها من الكبير والصغير نحن نعلم عدم قدرة حمارك على الحمل اليسير فاني بالكثير ونراه الآن بالعيان قد ذهب ضعفه وامتلأ أطرافه بالسمن وقد سبق العير كالبرق الخاطف فانطق الله سبحانه حماري فتكلم باللسان الفصيح وقال يابني سعد لم تتعجبون من بيان المبين وقد ركبني سيد الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين فببركته زال ضعفي ونحولي وحسن حالي كما ترون وتعجب القوم من كلام الحمار وحاروا

ومنها قوله تعالى عقيب هذه الآيات قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الآية وجميع ماذكر من الآيات حقق فى سورة الاعراف فليطالع ثمة ومنها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين الآية ومنها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير بينتها فى سورة المائدة فلينظر ثمة ومنها قوله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب وغير ذلك من الآيات العظام وكل ذلك دليل على اليهودى السائل المطرود والعجب من هؤلاء العلماء الكرام لم يتعرضوا لهذه الدلائل القاطعة لشبهة اليهود ۞ قال الله تعالى (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى رؤساؤها وأغنياؤها وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم الى التكذيب المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات والاستهانة لمن استهان الدنيا وزخارفها تسلية لرسول الله مما أصابه من ايذاء قومه (انا بما أرسلتم به كافرون) مقابلة الجمع بالجمع فهذه الآية الكريمة لتسلية قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد علمت مرارا ان تسلية الله سبحانه مما تنبئ عن اجلال الحبيب عليه السلام .

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا الموضح لعباده الضعفاء سبلا والصلاة على خير الرسل الكرام والانبياء العظام ۞ (المفاخر المتعلقة بسورة الملائكة عليهم السلام) ۞ قال الله تعالى فيها (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) فبهداهم اقتده فى الصبر على تكذيبهم (والى الله ترجع الامور) فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب تسلية وتطييب لقلب حبيب الله على ما أصابه من قومه فما أعظم شأن من اعتنى الحق سبحانه بتسليته وتطييب نفسه النفيسة قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) أى أفمن زين له سوء عمله بان غلب نفسه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال على ما هى عليه واستقبحها كذلك فحذف الجواب لدلالة (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) معناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب من قولهم ذهب فلان اذا مات والحسرة شدة الحزن وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف حزنه على أحوالهم والفاآت الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب فان التزيين المذكور مفض الى سخط الله وعدمه الى رضوان الله تعالى وكذا اضلاله يفضى الى التزيين المذكور وهدايته تعالى الى عدمه والثالثة ظاهرة (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه ففى الآية الكريمة شفقة ومبرة واحسان وتسلية لحبيب الله كقوله تعالى فى آية أخرى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا كما يسلى المرء أحب أحبابه فى الشاهد بقوله لا تقتل نفسك على هذا الشيء لان الامر كذا وكذا ولا ينفع فيه الحزن وغير ذلك

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله المحمود بكل لسان المشكور فى كل آن والصلاة على من بعث بخير الاديان المدعو فى القرآن العظيم بسيد خلاصة الانسان ۞ (الفضائل المتعلقة بسورة

ودهشوا فى نعوت سيد الابرار قالت حليمة لما سبتت قومى وغبت عن أعينهم رأيت أربعين راهبا من النصارى يمشون قدامى ومعهم أسقفهم يحكى لهم من نعوت حبيبى محمد المصطفى وأوصافه الجليلة وشمائله الكريمة الثابتة فى الكتب المتقدمة وقال لهم ان ظهوره عن قريب وهو يرفع عن وجه الارض الاوثان والاصنام ثم خاضوا فى حديث سيد الانام عليه الصلاة والسلام ثم توجهت بحبيبى تلقاءهم وقد أحاطت به الانوار وصعدت الى جانب السماء ولما عاين الاسقف أنوار الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم صاح صيحة عظيمة وقال أيها الرهبان هذا هو المولود الذى ذكرته لكم واغتنموا الفرصة واقتلوه قالت الرهبان أيها الاب ألم تر أنوار وجهه وبهجة جماله كيف يقتل مثل هذا المولود قال الاسقف ويل لكم اقتلوه والله انه اذا بلغ مبلغ الرجال ليقتلنكم أشد القتلة فاخترطت سيوفهم وتوجهت الى جانبى فضممت حبيبى الى صدرى وقلت وامحمداه واقرة عيناه ولما قربوا الى نظر حبيبى الى جانب السماء فانفتحت

يس) ۞ قال الله تعالى (يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم) حكى أبو محمد مكى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى عند ربى عشرة أسماء ذكر منها طه ويس اسمان له وعن كعب يس قسم أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السماء والارض بالفى عام يا محمد انك لمن المرسلين فعلى ما ذكراه يقال انه سبحانه أقسم برسوله الكريم وقرآنه الحكيم انه لمن المرسلين فيكون تعظيما فى حقه عليه السلام وعن جعفر الصادق انه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه عليه السلام ففى هذا الوجه أيضا تضمن الكلام تعظيما وشرفا وقسم الامام النسفى فى تفسيره النداء على أنواع كثيرة منها النداء على الكناية ومثل له بقوله تعالى يس وقال معناه يا سيد المرسلين قال النقاش لم يقسم الله تبارك وتعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة فى كتابه الا له فجميع ما ذكرناه واضح فى اجلال حبيب الله واكرامه كما لا يخفى لما حكى الله سبحانه أحوال رسل عيسى مع أصحاب القرية يعنى أهل انطاكية ومجىء حبيب النجار من أقصى المدينة واظهار ايمانه بالله ورسله وارادة قومه قتله وادخال حبيب النجار الجنة وتمنيه اعلام الله سبحانه وغفرانه واكرامه ختم هذه القصة بما يشير الى تعظيم حبيبه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم ۞ فقال (وما أنزلنا على قومه) أى قوم حبيب النجار وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة (من بعده) من بعد اهلاك حبيب النجار أو رفعه على اختلاف التفسيرين (من جند من السماء) لاهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام كذا ذكره البيضاوى (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء ولكنا ننزل ذلك بمن قبلهم من الامم اذا أهلكناهم (ان كانت) ما كانت الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح بها جبريل (فاذا هم خامدون) ميتون ففى الكلام استعارة لان الخمود يعرض للنار ففيه رمز الى ان الحى كالنار الساطع لهبها والميت كرمادها فالآية الجليلة أومأت الى اكرام الله سبحانه وتعظيمه لحبيبه عليه الصلاة والسلام كما عرفناه لك فى التفصيل

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الواحد الماجد الاحد والصلاة على نبيه وحبيبه أحمد ۞ (هذا شروع فى المدحة الكائنة فى سورة الصافات) ۞ قال تعالى (والصافات صفا) قال صاحب القاموس فى كتابه المسمى بلطائف التنزيل هذا قسم من الله تعالى بصفوف جماعة حبيبه محمد عليه السلام (أقول) لا يخفى ما فى هذا الكلام من الاكرام والاعظام لجناب سيد الانام لان الله تعالى جلت كلمته وعظمت قدرته وكبرت هيبته اعتنى وأقسم ببعض مضافات حبيبه وصفوف جماعاته (فالزاجرات زجرا) وذكر فى الكتاب المزبور أيضا ان هذا قسم من الله سبحانه وتقدس بمحتسبى أمة محمد عليه السلام يقول مؤلف هذا الكتاب المراد من المحتسبين الذين نصبوا من طرف الامام للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهم يفعلون ذلك لا محتسبى زماننا الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف بل هم سراق أموال الناس جهارا هم الذين أصروا على ذلك اصرارا والى الله المشتكى منهم ففى هذا الكلام أيضا من تفخيم حال الحبيب عليه السلام ما لا يخفى (فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد) وذكر فى الكتاب المرقوم أيضا ان هذا قسم من الله تعالى بالتالين والقراء من صحابة حبيبه عليه السلام فتضمنت الآيات الشريفة من اجلال شان الحبيب عليه السلام سيما فى تكرار القسم بمضافاته عليه الصلوات ۞ وقال تعالى (وان من شيعته

ابواب السماء ونزلت قطعة نار فاحرقتهم وسمعت هاتفا يقول هلكت الكفار بنار الجبار اجلالا للحبيب المختار قالت حليمة لما قربنا الى الديار استقبل المقيمون القادمين ولما شاهد المقيمون أنوار الحبيب قالوا ان النور الذى نالته حليمة لم ينله أحد منكم ثم لما وضع صلى الله تعالى عليه وسلم قدمه قدم الصدق والصفاء على تلك الديار اخضرت الجبال والبرارى والاودية وتتابعت الخيرات والبركات ببركة صاحب المعجزات والآيات ثم زارت الرجال والنساء سيد البريات وقبلوه وقبلوا أياديه وأقدامه باصناف التعظيمات وألقى الله عز وجل محبته فى قلوب الكائنات حتى كان صلى الله عليه وسلم غاية مطالبهم قالت حليمة لما تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنتان من عمره العزيز كان ينمو آناء فآناء فلم يكن نموه صلى الله تعالى عليه وسلم نمو سائر الاولاد وكنت فى خدمة رضاعه نائلة لكل الخيرات قالت حليمة والله ما غسلت ثوبه ولا رأيت بوله وغائطه ولا عورته كان على كمال الادب والنظافة وكلما ظهر منه البول والغائط تبتلعه الارض قالت حليمة

لابراهيم) حكى السمرقندي عن الكلبي ان الهاء في شيعته عائدة على محمد عليه السلام أي من
شيعة محمد لابراهيم أي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء حكاه عنه مكي (اذ جاء) ابراهيم (ربه)
متعلق بما في الشيعة من معنى الشائعة (بقلب سليم) من آفات القلوب أو من العلائق خالص
لله تعالى وقيل حزين من التسليم بمعنى اللديغ (أقول) الظاهر انه لديغ بمحبة الله تعالى ففيه اخبار
من الله تعالى بعظيم منزلة حبيبه عليه السلام على خليله عليه التحية حيث جعله من شيعة نبينا
عليهما الصلوات وذلك فضل يتضمن فضله عليه السلام على سائر الانبياء يظهر بالتأمل وما في
تعلق الظرف بالمشايعة من عجائب الفضل لا يخفى على الفضلاء هذه هي القصة الرابعة من قصص
الانبياء المذكورة في هذه السورة ۞ (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن بشير من سبط هرون
أخي موسى عليهم السلام بعث بعده أو غير ذلك على ما ذكر في التفاسير وبينتها في الرسالة التي
وضعتها في تفسير هذه الآية الكريمة ويقال ان الياس والخضر في الاحياء فالياس صاحب
البراري والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان في كل سنة بعرفات وعن أنس رضي الله عنه قال
غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة اذ نحن بصوت يقول اللهم اجعلني
من أمة محمد المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر
هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا أنا برجل أبيض الرأس واللحية عليه ثياب بيض طوله أكثر من
ثلثمائة ذراع فلما نظر الي قال أنت رسول النبي قلت نعم قال ارجع اليه فاقرأه مني السلام وقل له هذا
أخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي
صلى الله عليه وسلم وتأخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شبه السفرة فدعواني فاكلت
معهما فاذا فيها كمأة ورمان وكرفس فلما أكلت قمت فنحيت وجاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر الى
بياض ثيابه فيها فهوت به قبل الشام كذا في تفسير الامام الحدادي (أقول) فتضمنت هذه القصة
من فضل نبينا ما لا يخفى (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) تعبدونه او
تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو الذي يقال له الآن بعلبك (وتذرون
أحسن الخالقين) وتتركون عبادته (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) الالفاظ الثلاثة أعني الله
وربكم ورب آبائكم الاولين ابدال من أحسن الخالقين (فكذبوه فانهم لمحضرون) في العذاب
(الا عباد الله المخلصين) مستثنى من فاعل كذبوه (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) قرأ
نافع ويعقوب على اضافة آل الى ياسين على انهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين محمدا او القرآن
استبعده بعضهم (أقول) فكيف يستبعد وهو حبيب الله وذكر الحبيب لا يختص بمحل كما ذكره
الله في الطور وقت مكالمته بموسى في جواب دعاء موسى على ما ذكرناه في سورة الاعراف ولم تفسر
الآية على هذا الاحتمال فيما عندي من التفاسير والظاهر بحسب الاحتمال النظمي ان الضمير
في قوله وتركنا عليه راجع الى الياس ومفعول تركنا محذوف ويحتمل أن يكون المعنى وتركنا الثناء
الجميل عليه في الآخرين سلام من الله على آل محمد أو أهل القرآن وهو محمد ومن تبعه ويحتمل غير
ذلك (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) ظاهر المعنى وفي هذا من فضل نبينا عليه
السلام ما لا يخفى حيث لم يجعل الله سبحانه قصص أنبيائه وثنائه عليهم خاليا من ذكر جميل حبيبه
وثنائه عليه السلام كما هو ديدن المحبين في الشاهد هذا ما ألهمني به ربي في هذا المقام وانما رسالة

متعلقة

وكنت أتعجب من لفظه
وأجتهد في حفظه وكان
أول ما تكلم به الله أكبر
من كل كبير الحمد لله الذي
أخرجني من أفضل بيت
طاهر وكنت أتعجب من صغر
سنه وكبر لفظه ومن شأنه
عليه الصلاة والسلام انه
كان يمسي صغيرا ويصبح كبيرا
ولما أقدره الله عز وجل على
المشي كان يخرج من دارنا
ويرى الصبيان مشغولين
باللهو واللعب ويعرض عنهم
ولما قوي صلى الله عليه
وسلم في مشيته الشريفة
قال لي يوما يا أمي مالي لا أرى
اخوتي في النهار قلت يا حبيبي
انهم يرعون الاغنام التي
منحت لنا ببركة قدومك ثم
قال لي يا أمي ما أنصفت بيني
وبين اخوتي لاني في البيوت
والاظلال برغد العيش
والصفا وهم في حر الظهيرة
في الجفاء والعنا قلت يا حبيب
الصباح ان اخوتك من
الرضاعة ربيت في البراري
والجبال وأنت يا سيدي
ربيت في البيوت والظلال
ويا حبيبي أخاف عليك حسد
الحاسدين واصابة العيون
قال حبيبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يا أمي ارفعي عنك
الخيال الباطل ويا أمي نعم
الحافظ الله سلمني اليه
وتوكلي عليه وهو سبحانه

متعلقة ببعض الآية الكريمة ألحقناها بهذا المحل ذكر الامام الرازى فى تفسيره الكبير كان الملقب بالرشيد الكاتب يقول لو قيل أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين أوهم انه أحسن لانه كان يحصل منه رعاية التجنيس وجوابه ان فصاحة القرآن ليست لاجل رعاية هذا التكلف بل لاجل قوة المعانى وجزالة الالفاظ انتهى (أقول) لا يخفى عليك ان هذا الجواب ليس بشاف لان فصاحة القرآن واعجازه بالنظر الى نظمه وأما معناه فلا يلتزم فيه الاعجاز وان قيل ان معناه أيضا معجز والامام جعله بالنظر الى النظم والمعنى جميعا مع ان ماذكره السائل أيضا من جزالة اللفظ ولضعف هذا الجواب اعتنى العلماء باجوبة اخرى وودعوه وقال صاحب صراخ اللغة سمعت عمن له نصاب تام ونصيب عام من العربية ان كلتى دع وذر أمران فى معنى اترك الا ان دع أمر للمخاطب قبل العلم به وذر أمر بتركه بعد ما علمه ثم قال روى ان بعض الائمة سأل الامام الرازى لم لم يقل وتدعون مع انه اقرب الى الفصاحة للمجانسة بينهما فقال لانهم اتخذوا الاصنام آلهة وتركوا الله تعالى بعد ما علموا ان الله ربهم ورب آبائهم الاولين استكبارا واستنكارا انتهى كلام صاحب صراخ اللغة (أقول) ان هذا السؤال مذكور فى التفسير الكبير وهذا الجواب متروك فيه ولعله لعدم صلاحيته للجواب لم يثبته فى الكتاب كيف وقد وقع فى كلام الله تعالى ما ودعك ربك بالتخفيف وهى من القراآت فكيف يمكن أن يقال ان ودع فى قول الله عز وجل استعمل فى الترك الذى لم يسبق به العلم وأفعاله سبحانه مسبوقة بعلمه الازلى الابدى ولو كان الامر كما قال لما استعمل ودع فيما يضاف اليه سبحانه فتأمل وقال سعدى فى حاشيته على البيضاوى فان قلت لم لم يات النظم وتدعون أحسن الخالقين مع ان فيه مراعاة الجناس قلت العلم عند الله تعالى ولكن يجوز ان يقال التجنيس تحسين وانما يستعمل فى مقام الرضا والاحسان لا فى حال الغضب والتهويل انتهى (أقول) لا يخفى عليك فساد هذا القول لان القرآن العظيم مشحون بالتحسينات اللفظية فى مقام الغضب والتهويل فعليك بالتعويل على تتبع الآيات على انه لو صح ذلك لصح فى المخاطبة مع المغضوبين وهذه الآية بنظمها البليغ ليست للمخاطبة معهم بل حكاية ما جرى بينهم وبين نبيهم لرسولنا صلى الله عليه وسلم مع ان التحسين موجود بوجه آخر فى هذه الآية التى عدها مستعملة فى مقام الغضب والتهويل لان آخرى الفقرتين اللتين هما أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين روعى المناسبة بينهما والرعاية بين الفاصلتين من التحسين اللفظى على ما تقرر فى علم البديع تامل وانصف وأجاب سعدى عن هذا السؤال بوجه آخر وهو ان يقال ان يدع أخص من يذر لانه ترك الشئ مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق نحو الايداع فانه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بها ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها وأما يذر فمعناه الترك مطلقا والترك مع الاعراض والرفض الكلى قال الراغب فلان يذر الشئ أى يقذفه لقلة الاعتداد به ولاشك ان السياق يناسب هذا دون الاول اذ المراد تشنيع حالهم فى الاعراض عن ربهم انتهى (أقول) وهذا الجواب محل تدبر لان هذا الجواب انما يصح اذا كان عبادة أحسن الخالقين عندهم غير معتد بها ولا معول عليها لم لا يجوز ان يكونوا كسائر المشركين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لكنهم يتخذون ما يشركون به وسيلة اليه سبحانه على زعمهم الكاسد فعلى هذا لا يستقيم ما نقله فى تفضيل يذر ومع هذا فالمحل

كاف لكل من توكل عليه قالت حليمة فذهب عقلى من كلامه البليغ ولفظه البديع قلت يا حبيبى ما الذى تريده من الصنيع قال أريد ان اشرك اخوتى فى المرعى والشدة والرخا قلت يا حبيبى سأترك ما أريد بما تريد فلما أصبح صلى الله تعالى عليه وسلم ألبسته الثياب الطاهرة وشددت شعره الشريف بخيوط السيادة والانوار وعطرته وناولت يده البيضاء العصا وهيأت له الزاد فسار صلى الله تعالى عليه وسلم بالمواشى فى الحواشى كما سرى البدر فى داج من الظلم ولسان حال حليمة غنت بهذه الابيات وترنمت نظما

باغنامه سار الحبيب الى المرعى
فيا حسنه راع فؤادى له يرعى

وما أملح الاغنام وهو يسوقها
لقد آنس الصحرا وقد أوحش الربعا

مليح منير الوجه شمس الضحى له
غدت غرة والليل عادله فرعا

جميل على وجه المحاسن وجهه
كأن بدور التم قد طبعت طبعا

أقول له اذ سار بالبر ماشيا
وأغنامه من حوله تطلب المرعى

عيونك يا راعى الحمى فتكت بنا
فقوم بها أسرى وقوم بها صرعى

محل بحث بعد وجوه أخر فالجواب الحقيق بالقبول في هذا المقال ما سنح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال انما وقع مثل هذه المتاركة للتجنيس اللفظي منه تعالى ذي الجلال ابتلاء العباد خصوصا منهم أصحاب الطعن والعناد ورجال الفساد والالحاد عصمنا الله منهم كما ان انزال المتشابهات للابتداء ارشادا للمسترشدين واضلالا للمعاندين وبهذا الجواب يندفع كثير من الشبهات منها ان بعض الآيات القرآنية أبلغ من البعض فهلا سوى بينهن والله سبحانه على ذلك لقدير وغيرها من الاشكالات في أمثال هذه المواضع فتدبر والله سبحانه أعلم بالوجه الصواب واليه المرجع والمآب جعلنا الله تعالى من المسترشدين لا من المعاندين المتمردين ۞ قال الله تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون فيه سبحانه واضافة الرب الى الحبيب عليه الصلوات للتشريف والتقريب واضافته الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له فقوله سبحان ربك أدرج فيه جميع الصفات السلبية وقوله رب العزة أشعر بجملة الصفات الثبوتية مع الايماء الى التوحيد (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) على ما أحسن اليهم ومن تبعهم من النعم وحسن العاقبة وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكال له بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة ففي الكلام اشعار بتشريف الحبيب حيث أضاف الحق ذاته الكريم اليه عليه السلام كما ذكر في أول سورة مريم في قوله سبحانه ذكر رحمت ربك عبده زكريا

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي شرف حبيبه بالقرآن وأرسله بخير الاديان صلوات الله وسلامه عليه الى وقت الميزان ۞(المدحة الكائنة في سورة ص)۞ قال الله تعالى (ص والقرآن ذي الذكر) قال عطاء يعني قوله تعالى ص صدق محمد فيما أخبر به عن الله تعالى فالمعنى أقسم الله تعالى بالقرآن ان محمدا صادق فعلى هذا جواب القسم قوله تعالى ص على ما أشار اليه الامام البغوي وذكر في لطائف التنزيل للفيروزابادي ان قوله تعالى ص قسم من الله تعالى على صدق حبيبه عليه السلام وصفائه ففيه من تنويه أمره وتعظيم قدره ما لا يخفى حيث بدأ السورة بذكر الحبيب عليه السلام وذكر أمره وصدقه مع قسم الله سبحانه عليه قال النقاش لم يقسم الله تبارك لاحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه الا له عليه السلام ففي الكلام من تعظيمه عليه السلام من هذا الوجه أيضا على نحو ما مر في سورة يس ۞ قال تعالى في آخر السورة (قل ما أسئلكم عليه من أجر) أي قل يا محمد لكفار مكة ما أسئلكم على تبليغ الوحي والقرآن من مال (وما أنا من المتكلفين) أي لم أتكلف دعائكم اليه من تلقاء نفسي بل أمرت بذلك (ولتعلمن) أنتم يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة (أقول) هذه خاتمة بليغة جدا من وجهين الاول انها ناسبت الفاتحة لانها كانت في أمر محمد وكون خاتمتها كذلك تعظيم عظيم في حق نبينا عليه الصلوات لكون البدء والختم على ذكر الحبيب وهو مما ينبئ عن اعتناء شأن الحبيب والثاني ان الفاتحة كانت في بيان صدق محمد عليه السلام والخاتمة كذلك في بيان صدقه مع انطوائه على أمارة صدقه وهي عدم سؤاله منهم أجرا مع كونه غير متكلف وذلك بلاغة بديعة في حق القرآن على ما لا يخفى على أصحاب الاذهان والله سبحانه أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي جعل تنزيل كتابه العزيز شفاء قلوب الابرار وصيره

ولولاك يا راعي الحي ما اشتوقت نفوس الى بان العقيق ولا الجرعا
وما أنت راع للمواشي وانما تراعي الورى تبدي لها النقل والشرعا
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أخرج المرعى
لقد خاب من يسعى الى باب غيركم وضل الذي يوما الى غيركم يسعى
حبيبي حبيبي أنت راعي قلوبنا ولولاك يا مختار ما عرف المرعى

قالت حليمة لما توجه حبيبي تلقاء المرعى وشاهد بنو سعد اشراق الارض بنور جماله الاسمى قالوا يا حليمة مثل هذا الجمال كيف يرسل مع الرعاة الى البراري والجبال فقلت في جوابهم ما فعلت ذلك من أمري بل بأمره الشريف ولا قدرة لي أن أخالف أمره المنيف قالت حليمة وقد كان عقلي وفكري مع حبيبي عليه الصلوات وصبرت صبرا جميلا الى ان أقبل الليل بالظلمات فاستقبلت النبي المختار فاذا الرعاة قد أقبلت وقد أشرقت بانوار سيد الابرار فدنوت من حبيبي وسلمت عليه وقلت يا حبيبي كيف مرت ساعاتك السعيدة اليوم مع اخوتك قال على أحسن

ضياء أبصار الاحرار والصلاة على مفخر الموجودات وسند الاخيار ﷺ (هذا شروع في المحاسن
المتعلقة بسورة الزمر) ﷺ قال الله تعالى في بدء السورة (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)
مبتدأ وخبر أو هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم كتاب عزيز نزل من رب عزيز على عبد
عزيز على لسان ملك عزيز في شأن أمة عزيزة بأمر عزيز

ورد الرسول من الحبيب الاول * بعد التلاقي بعد طول تزيل
أهلا وسهلا بالرسول وحبذا * وجه الرسول لحب وجه المرسل

ذريعة قلوب الاحباب في كتب الاحباب عند قراءة فصولها والعجب منها كيف لا تزهق سرورا
بوصولها وارتياحا بحصولها وكتاب موسى في الالواح ومنها كان يقرأ موسى وكتاب نبينا صلى الله
عليه وسلم نزل به الروح الامين على قلبه وفصل بين من يكون له خطاب ربه مكتوبا في الواحه وبين
من يكون خطاب ربه محفوظا في قلبه وكذلك أمته بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم
كذا ذكره الامام القشيري في تفسيره ﷺ قال الله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال
ابن عباس والذي جاء بالصدق يعني رسول الله جاء بلا اله الا الله وصدق به الرسول بلغه الى الخلق
(أولئك) اشارة الى الذي جاء بالصدق وكذا الضمائر (هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم
ذلك جزاء المحسنين) (أقول) ففي توصيف الله سبحانه حبيبه عليه السلام بالصدق والتصديق
ثناء عظيم عليه عليه السلام وايراد اسم الاشارة جمعا وذكر الضمائر الراجعة الى المبتدا جمعا
للتعظيم البليغ في شأن الحبيب عليه الصلوات ولا شك انه عليه التحيات واحد كألوف وفي ابهام
ما يشاؤه عليه السلام بقران العندية المعنوية تفخيم عظيم بشأن المعطى له كما لا يخفى على الحكماء
هذا من نتائج الالهام والله ولي الافهام ﷺ قال الله تعالى (أليس الله بكاف عبده) استفهام
انكار للنفي مبالغة في الاثبات وعبده رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه من تنويه قدره العظيم
حيث أثبت الله سبحانه وتعالى كفايته له عليه السلام على وجه المبالغة وأضافه عليه السلام اليه
تعالى بأشرف حالاته اضافة التشريف والله تعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي نصر أحبابه في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد والصلاة
والسلام على حبيب الله الهادي الى سبيل الرشاد ﷺ (المدحة الكائنة في سورة المؤمن) ﷺ قال
تعالى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) ذكر صاحب القاموس في لطائف التنزيل أن
قوله تعالى حم كناية عن اسمي نبينا صلى الله عليه وسلم حميد ومحمود والظاهر انه سبحانه أقسم
بهما فتضمن الكلام من فضل خير الانام ما لا يخفى على ذوي الافهام فقس على هذا الحواميم
الباقية فلا حاجة الى اعادته في كل منها ﷺ قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالحجة والظفر
والانتقام لهم من الكفرة (في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) والفرق بين تقدير حرف في
وذكره هو أن الاول يقتضي الاستيعاب دون الثاني ومن هذا قال مولانا حافظ الدين قدس
سره في قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا مقرونة بحرف ونصرتهم في الآخرة
مستوعبة لجميع الاوقات دائمة لانها دار جزاء وأما نصرته في الدنيا فقد تقع في بعض الاوقات
دون البعض لانها دار ابتلاء قال البيضاوي في تفسير الآية أي في الدارين ولا ينقض ذلك بما
كان لهم من المغلوبية ابتلاء وامتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر انتهى (أقول) الظاهر

الاحوال ثم قربت من اخوته
من الرضاعة وسألت عن
أحواله الشريفة فقال ابني
ضمرة يا والدتي لقد شاهدنا
اليوم من الحبيب الازهر
عجائب حارت العقول فيها
قلت يا بني أي عجيبة شاهدتها
قال ان الحبيب الانور ما مر
بشجر ولا حجر الا سلم عليه
باللسان الابهر وما وضع
قدمه على الارض الجرز الا
اخضرت وما أمر الاغنام
بشيء ولا نهاها عنه الا
ائتمرت وانتهت قال ابني
ضمرة رأيت منه صلى الله
تعالى عليه وسلم أمرا أعجب
من ذلك كله قلت يا بني
فما ذلك الامر العجيب قال
مررنا بواد مخضر فصرفنا
أغنامنا عنه فقال حبيبنا
صلى الله تعالى عليه وسلم
مالكم يا اخوتي انكم
صرفتم أغنامكم من هذا
الوادي المخضر قلنا في جوابه
يا ولي نعمتنا وسبب بركتنا
ان هذا الوادي كثير السباع
فلاجل ذلك منعنا الاغنام
عن الدخول فيه قال حبيبنا
الامين صلى الله تعالى عليه
وسلم يا اخوتي توكلوا على الله
عزوجل وادخلوه فدخلناه
متوكلين عليه سبحانه فاذا
أسد ظهر عيونه كالشعلة
وخفنا وتفرقت أغنامنا
فتوجه الحبيب الى الاسد

ان البيضاوى تدارك مايكون للمؤمنين من المغلوبية فى بعض الاحيان ولولاحظ مايكون فى
تقديرى وذكره من الفرق كما ذكرنا لم يحتج كل الاحتياج الى ما تكلف به تأمل والاشهاد جمع شاهد
كصاحب وأصحاب والمراد منهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس كنبينا صلى الله عليه
وسلم وأمته كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا وكما قال فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اعلم أن
النصرة فى الحياة الدنيا ويوم القيامة بكمالها حاصلة لنبينا عليه السلام والذين آمنوا به لان نصرة
الانبياء السالفة والمؤمنين بهم قد انقضت ولم يبق لها أثر بخلاف نصرة نبينا عليه السلام فانها
كاملة دائمة باقية على وجه الدهر الى يوم القيامة وكذلك فى الآخرة فانه عليه السلام أول شافع
وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة وكذلك أمته أول الامم الداخلين فى الجنة وليعلم ان المراد
من هذه الآية تطييب قلب الحبيب عما أصابه من أذى قومه بوعد النصرة الكاملة له ولأمته
وهذا التطييب ينبئ عن علو شأن المطيب لاسيما المطيب هو الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله قيوم السموات والارضين وله الكبرياء فى السموات والارض
رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين ۞ (هذا شروع فى الفضيلة المتعلقة
بسورة فصلت) ۞ قال الله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته (وعمل
صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) تفاخرا به نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم
ولاشك ان كمال الدعاء الى الله تعالى والعمل الصالح والتسليم لله عز وجل منصب محمد عليه السلام
ففيها من ثناء الله سبحانه على الحبيب عليه السلام كما لا يخفى على المتأمل فى الآية الكريمة ۞ قال
تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) فى الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية زيدت لتأكيد
الاولى (ادفع بالتى هى أحسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى أحسن منها وهى الحسنة
على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى اذا فعلت
ذلك كان عدوك الشاق مثل الولى الشفيق (وما يلقاها) وما يلقى هذه السجية وهى مقابلة
الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) فى الخير وكمال النفس وقيل
الحظ العظيم الجنة اعلم ان هذه الآية الكريمة آمرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيها ولا
شك ان حبيب الله يأتى به فتكون الآية الكريمة مشيرة الى حظه العظيم من الخير وكمال النفس
والصبر على الاذى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله باعث الرسل الكرام لشفقته ورأفته بالانام والصلاة
والسلام على خيرهم وأولهم وآخرهم الى يوم القيام ۞ (النعوت المتعلقة بسورة حم عسق) ۞
۞ قال الله تعالى (حم عسق) ذكر صاحب القاموس فى لطائف التنزيل ان قوله تعالى حم عسق
قسم من الله تعالى بحلم حبيبه عليه السلام ومجده وعلمه وسنائه وقهره وقدرته ولا يخفى ما فيه من
التفخيمات لخير البريات حيث أقسم عالم الخفيات بستة أشياء من مضافات حبيبه عليه
الصلوات (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى مثل ما فى السورة
من المعانى يوحى اليك والى الذين من قبلك من الانبياء الله العزيز الحكيم كما قال فى سورة الاعلى
ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فنقول بتوفيق الله سبحانه ان فى تقديم نبينا

وجاء الاسد اليه عليه السلام
ووضع وجهه على قدميه
وقبلهما وأخذ رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
أذنيه وتكلم كلاما ما سمعناه
ولما سمع الاسد كلامه ترك
الوادى وفر قلنا يا سيدنا بأى
شئ أمرت الاسد حتى تسبب
لفراره قال صلى الله تعالى
عليه وسلم قلت يا أسد لا تقرب
هذا الوادى بعد اليوم فتهلك ثم
قعد صلى الله تعالى عليه وسلم
على موضع مخضر وأحاطت
الاغنام بأطرافه الشريفة
والتجأت اليه صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى ان نعجة
لما انكسرت احدى رجليها
عرضت المنكسرة على
حبيبنا صلى الله تعالى عليه
وسلم فمسحها بيده الشريفة
فصحت فى الحال ووثبت
كالغزال قالت حليمة لما أصبح
حبيبى صلى الله تعالى عليه
وسلم توجه الى المرعى على
عادته العليا ولما صار وقت
الظهيرة من ذلك اليوم سمعت
فى القبيلة صياحا هائلا
وعويلا وتأوها وزويلا
فخرجت كالمجنونة فى تفحص
الحال الهائل فصادفت فى
الطريق ابنى ضمرة وقلت يا بنى
ما الحال والحكاية وما سبب
العويل والزويل قال يا أمى
أدركى أخى محمدا فانه قد هلك
فخرجت الرجال والنساء من

عليه السلام على سائر الانبياء فى الذكر تعظيما عظيما كما لا يخفى على ذوى الافهام ۞ قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك) عبر عما شرع لسيدنا محمد عليه السلام بالوحى وبالاصل فى الموصولات واختير صيغة العظمة تعظيما الامره وتشريفا لشأنه (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من أصحاب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (أن أقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله تعالى ومحله النصب على البدل من مفعول شرع (ولا تتفرقوا فيه) الآية ولا تختلفوا فى هذا الاصل أما فروع الشرائع فمختلفة كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (أقول) فالآية تضمنت تنويه عظم أمر الحبيب عليه السلام من وجهين الاول ما ذكرته فى قوله تعالى والذى أوحينا اليك والثانى تقديمه على ابراهيم عليهما السلام وغيره ممن ذكر بعده وأما تقديم نوح فلامر اقتضته الحال وهو التنبيه على اصالة الدين وقدمه وللاشارة الى انه أول الانبياء الذين هم أرباب الشرائع القاهرة كما أشير اليه فيما تقدم فتأمل

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى سلى قلوب أحبائه بأنواع التسليات وطيب ما فيهم بأصناف التطييبات والصلاة على سيد البريات وسند الكائنات ۞ (النعوت المتعلقة بسورة الزخرف) ۞ قال الله تعالى (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه وهى تنبئ عن اجلال شأن الحبيب فمن أجل شأنا ممن اعتنى الحق سبحانه بتسلية قلبه الكريم ۞ قال الله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) رؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة) الامة الطريقة التى تؤم (وانا على آثارهم مقتدون) تسلية على تسلية وتطييب على تطييب لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فضيلة باهرة سيما فى تكرارها فان التكرار يدل على كمال الاعتناء ۞ قال الله تعالى (وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) الضمير راجع لرسول الله وقوله تعالى وقيله قسم بحذف الجار أو مجرور باضماره أو مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه على الوجوه الثلاثة فيكون اخبارا من الله عنهم لا من كلام الرسول عليه السلام اعلم ان فى قسم الله سبحانه وتعالى بقيل حبيبه عليه الصلوات أنواع اكرام وأصناف تبجيل وغاية تفخيم على نحو ما أقسم الله سبحانه على عمره وبقائه الكريمين كما مر بيانه فى سورة الحجر ولا يخفى وجهه على متأمليها قال سبحانه وختم به السورة (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم (وقل سلام) سلام هجران وترك لا سلام تحية (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم ولقد علمت مرارا أن تسلية الله سبحانه لحبيبه مما ينبئ عن اكرام الله سبحانه اياه عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أنزل على حبيبه القرآن لفتح جناب الوصال واغلاق باب الهجران والصلاة والسلام عليه من الله سبحانه ومن الملائكة والناس والجان ۞ (النعوت المتعلقة بسورة الدخان) ۞ قال الله تعالى (حم) فهذا قسم للنبى عليه السلام فيتضمن الاجلال والافخام على نحو ما مر فى أول سورة المؤمن (والكتاب المبين) الواو للقسم والمقسم به الكتاب المبين والجواب قوله (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) فى ليلة القدر أو البراءة ابتدأ فيها انزاله فقد أقسم بالقرآن على ان القرآن أنزل فى ليلة مباركة فهذا يدل على غاية التعظيم للقرآن فقد

القبيلة لاغاثة ولى نعمتهم وسبب بركتهم وينادى زوجى الحرث ويقول واابناه وامحمداه أتقتل غريبا فتقدمت جميع الناس وقلت واولداه وامحمداه حتى وصلت الى مكان مرتفع شريف فوجدت حبيبى قاعدا عليه فلما رآنى تبسم وعرج من بين أسنانه نور الى السماء وحين رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم لم أصبر حتى ألقيت نفسى عليه وقبلته بين عينيه وقلت يا حبيبى حفظك الله تعالى من البلايا ما أصابك قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما معناه يا والدتى خير ان شاء الله تعالى وتفصيل أحوالى انى قعدت مع اخوتى وشرعنا لاكل الطعام فاذا شخصان أنوران أحسنان لم ير مثلهما فى النور والحسن جاآ وأخذانى من يدى وأقامانى من بين اخوتى وأضجعانى بالرفق على ظهرى فى هذا المكان فأخرج أحدهما سكينا يذهب لمعانه بالابصار فشق صدرى الى قلبى واستخرج قلبى وأخرج منه شيأ أسود ورماه الى الارض وقال يا محمد هذا نصيب ابليس منك قد أبعده الله تعالى عنك بقطعه منك وجاء آخر بابريق من الفضة وطشت من الزبرجد

يقول الرجل اذا أراد تعظيم رجل له اليه حاجة أشفع بك عليك وأقسم بحقك عليك كذا أفاده الامام الرازى (أقول) يتضمن الكلام أيضا تعظيما للمنزل عليه كما مرت الاشارة اليه وسماها ليلة مباركة لانها ليلة افتتاح الوصلة وأشد الليالى بركة ليلة يكون العبد فيها حاضرا بقلبه مشاهدا لربه يتنعم بأنوار الوصلة و يجد فيها نسيم القربة ويقال ليلة البراءة مختصة بخمس خصال الاولى تفريق كل أمر حكيم والثانية فضيلة العبادة فيها روى عنه عليه السلام انه قال من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان والثالثة نزول الرحمة قال عليه السلام ان الله تعالى يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب والرابعة حصول المغفرة قال عليه السلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا الكاهن والمشاحن ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا والخامسة انه تعالى أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة تمام الشفاعة فى أمته (أقول) ويمكن أن يكون تسميتها بالمباركة لهذه الخصال ولكن عامة هذه الخصال من بركة وجود رسول رب الثقلين المبعوث رحمة للعالمين (انا كنا منذرين) استئناف بين المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فان كون تفريق الامور المحكمة فيها يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها (أمرا من عندنا) أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين وقوله رحمة مفعول به للمرسلين وهو الرسول عليه السلام كما قال عليه السلام أنا رحمة مهداة كذا قال الامام القشيرى والرحمة من أسمائه عليه السلام كما ذكر فى المواهب اللدنية وغيرها (انه هو السميع العليم) يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم (أقول) ففى الآية الكريمة اشارة الى تنويه قدر الحبيب عليه السلام وتعظيم أمره من وجوه الاول تعظيم ما أنزل اليه مع الاشارة الى تعظيمه عليه السلام والثانى توصيف الليلة بالمباركة ببركاته عليه السلام كما أشرت اليه فى بيان فضيلة الليلة والثالث تسميته عليه السلام بالرحمة وذلك مبالغة فى علو حاله والرابع اضافته سبحانه ذاته الكريم اليه عليه السلام باضافة التشريف ﴿ قال الله تعالى (فارتقب) فانتظر لاهل مكة (يوم تأتى السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار (يغشى الناس) يحيط بهم صفة الدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) متعلق بمقدر هو قائلين حالا من الناس وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ما هو أعظم منها فى ايجاب الاتعاظ من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) قال بعضهم يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبى عليه السلام دعا فرفع القحط (قليلا) كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر عقيب الكشف (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) من أهل مكة بكفرهم يوم بدر قوله يوم نبطش البطشة الكبرى الآية بدل من يوم تأتى السماء الآية ويحتمل غير ذلك من الاحتمالات وسبب نزول الآية أن

الاخضر وغسلا صدرى غسلا ناعما وختما قلبى بخاتم عظيم ورداه الى مكانه فالتأم صدرى وأنا أشاهد برودته الآن ثم أقامانى وأجلسانى وقال أحدهما للآخر زن محمدا مع عشرة من أمته فوزننى فرجحت عليهم وقال زنه بالف من أمته فوزننى فرجحت عليهم وقال أحدهما للآخر لو وزنته بجميع أمته لرجحهم ثم أخذانى وضمانى الى صدريهما وقبلا بين عينى وقالا يا محمد لو كنت تعلم ما الله عزوجل أراد منك لقرت عيونك ثم طارا الى السماء وغابا عنى قالت حليمة ثم قال زوجى الحرث أخاف على حبيبنا من شر الجن فسلميه الى أهله يا حليمة قالت حليمة وقال قومى اذهبى به الى الكاهن قالت حليمة فذهبت به الى الكاهن فقال الكاهن أيها المولود الحسن حدث ما جرى عليك فحكى حبيبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما جرى عليه من شق الصدر وكلام الملكين فلما سمع الكاهن درر كلماته توجه الى الحبيب وضمه الى صدره وقال قد اقترب للعرب شر عظيم اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه لان هذا الغلام يسفه أحلامكم ويسب آلهتكم ويبطل أديانكم

المشركين بالغوافى ايذاء النبى عليه السلام فلما يئس من ايمانهم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فانزل الله هذه الآيات ثم أخذتهم السنة حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة من الجوع وارتفع القطر وأجدبت الارض وكانوا اذا نظروا الى السماء رأوا دخانا بين السماء والارض للظلمة التى أغشيت بها أبصارهم من شدة الجوع ويقال ليبس الارض وانقطاع الغيث فجاء أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعوتك فاجبتنى وسألتك فأعطيتنى اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار فما برح النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله المطر وجاء الناس يشتدون فقالوا الغرق الغرق فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون فكشف الله عنهم الشدة ثم عادوا الى الكفر كذا فى تفسير الحدادى فبما ذكرنا من سبب النزول كشف لك تعظيم الله سبحانه حبيبه عليه السلام فى هذه الآيات حيث طيب قلبه وسلاه وأجاب دعاءه ومولاه اللهم احشرنا معه بجعلك اياه صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وآل كل وأصحاب كل أجمعين والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى جعل حبيبه فى الاولين مذكورا وجعل سعيه فى الآخرين مشكورا ۞ (المدحة الكائنة فى سورة الجاثية) ۞ قال الله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) المراد من الكتاب الجنس (والحكم) الحكمة النظرية والعملية أو فصل الخصومات (والنبوة) اذ كثر فيهم الانبياء مالم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله من اللذائذ (وفضلناهم على العالمين) أى عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات من الامر) آيات من أمر محمد صلى الله عليه وسلم مبينة اصدقه (أقول) الظاهر ان اعطاء البينات من جملة النعم المعطاة لهم وهذا مما يشير الى علو حال نبينا عليه السلام وفى ابهام أمره واعطاء اليه أيضا فانه جعل كالعلم فى المعلومية وجمع بينات أمره يشير الى ذلك كذلك وغير ذلك من المسالك يعرف بالتأمل الصادق (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك) ففى اضافة الرب اليه تشريف (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أرسل حبيبه رسولا للثقلين وجعله رحمة للخلائق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه الى يوم الدين ۞ (المدحة الكائنة فى سورة الاحقاف) ۞ قال الله تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) مكاهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار قال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وروى ان جن نصيبين من أشراف الجن وساداتهم (يستمعون القرآن) حال من مفعول صرفنا لتخصصه بالصفة (فلما حضروه) الرسول أو القرآن (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لما حضر الجن بساط خدمته صلى الله عليه وسلم تواصوا بينهم بحفظ الادب (فلما قضى) أتم وفرغ من قراءته (ولوا الى قومهم منذرين) أى منذرين اياهم (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) ومن صلة قيدنا بقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا الا فى أمة نوح

ويدعوكم الى دين لا تعرفونه قالت حليمة فرأيت شخصا عظيما وفى يده حربة لامعة ضرب بها صدر الكاهن فهلك هو وقومه فى الحال قالت حليمة ماد معناه ثم رجعت مع حبيبى الى منزلى فصادفنا فى طريقنا امرأة على رأس بئر تبكى وتقول واولداه واابناه هلكت وليس لى ابن غيرك يعيننى فى حاجتى ويؤنسنى فى وحدتى قلت يا أمة الله ماسبب بكائك قالت جئت مع ابنى على رأس هذا البئر فوقع ابنى فيه وعجز الرجال عن اخراجه وبكائى الآن على فراقه قالت حليمة فرحمتها وقلت يا محمد ان لك عند ربك معجزات فأظهر لنا منها شيأ فتوجه الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم الى البئر وأشار باصبعه الى الماء ففار الماء حتى استوى الماء وفم الركية والولد الغريق خرج عن الماء وقال السلام عليك يا محمد وسمعت هاتفا يقول لا تعجبوا من اخراج محمد الطفل من الابار بل تعجبوا من اخراجه العصاة من النار ولما رأيت هذه المعجزة البديعة منه صلى الله تعالى عليه وسلم ضممته الى صدرى وقبلته وسمعت مناديا ينادى ويقول هنيأ لك يا بطحاء مكة ان

وفي المغفرة معنى عدم المؤاخذة وهو غير موجب فلا يردانها الا تزاد في الاثبات الاعلى مذهب الاخفش هذا حاصل ماذكر في فصول البدائع لشمس الدين الفنارى ولا يخفى ان هذه الزيادة قد زادت في استنارة بدر فضل الحبيب عليه السلام فهذه الزيادة في هذه العبارة من زيادة فضل الحبيب عليه الصلاة والسلام (ويجركم من عذاب أليم) الآيات بيانه انه لما مات أبو طالب وبلغ أذى المشركين غايته خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادات ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم به من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر أما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من ان أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله عز وجل فما ينبغى لى ان أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خير ثقيف وقال لهم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على سرى وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيذئرهم عليه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة مالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله فنظر عداس الى وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له وما يدريك ما يونس بن متى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدى ما فى الارض رجل خير من هذا الرجل فقد أخبرنى بامر لا يعلمه الا نبى فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله

المولود المكرم الذى أخذ منك قرب رده اليك قالت حليمة فركبت حمارى ووضعت حبيبى محمدا المصطفى بين يدى ودخلت حرم الله وجئت باب مكة ورأيت جماعة من الناس مجتمعين هنالك فوضعت حبيبى صلى الله تعالى عليه وسلم هنالك ودخلت مكة للاعلام بقدوم الحبيب حتى يستقبله عبد المطلب مع سادات العرب فسمعت فى تلك الحالة صوتا عظيما فرجعت القهقرى ورأيت انه غاب الحبيب المصطفى وناديت وقلت أيها الناس أين الصبى الكريم الذى وضعته هنا قالوا أى صبى تسألين قلت محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب كان امانة الله عز وجل فى بنى سعد جئت بهذا النجم الاسعد لاسلمه الى جده عبد المطلب قالوا يا أمة الله انك لما جئت الى هنا لم يكن معك صبى فلما آيسونى من حبيبى جعلت التراب على رأسى وقلت لولم ألق حبيبى محمدا لرميت نفسى من الجبل فرأيت رجلا أبيض اللحية مستندا على عصاه قال لى أيتها السعدية ماسبب عويلك وزويلك قلت ضاع ابنى محمد قال عندى من يرد ابنك ثم دخل الى موضع

صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام فى جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن نصيبين يريدون اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا فقص الله خبرهم عليه عليه السلام فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآيات كذا ذكره محيى السنة (أقول) انظر أيها المؤمن الصادق كيف أوذى نبينا وشفيعنا فى سبيل الله وكيف اجتهد فى اعلاء دين الله وكيف ثبت فيما أصابه بأمر الله وكيف بذل نفسه النفيس فى ربه ومولاه وبذلك يحصل التقرب الى المولى وكونه منه سبحانه بمرأى لا يحصل بالسهولة بل ببذل المهجة فى اظهار الحجة وبالامتحان فى خالص المحبة أين التراب من رب الارباب فلا بد أن يحصل فيك الملكية والتخلق بأخلاق الله سبحانه كما تجد لهذا مثلا فى الشاهد فانه اذا كان لك مطلوب ومحبوب عديم المثل عزيز الوصول فلا بد أن تجتهد فيه بأنواع الاستعدادات والرضا بالامتحانات * ولنرجع الى ما كنا فيه ففى هذه الآيات دليل على ان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجن والانس جميعا قال مقاتل لم يبعث قبله نبى الى الانس والجن جميعا (أقول) ويعذب أن يقال ان حبيب الله صلوات الله عليه لما بلغت محنه وأذاه من الاقارب والاجانب الى الغاية القصوى جازاه الله عن مصائبه بأن خلع عليه خلعة البعثة الى الجن جميعا كما بعثه الى الانس جميعا حتى يبلغ الحبيب الى منزلته العليا ودرجته القصوى وتكمل عليه نعم المولى ويمتاز الحبيب عن الخليل والكليم وجميع الانبياء ومقام المحبة يقتضى ما قلنا والآيات المذكورة مشيرة الى ما نظمناه من الفضائل والحمد لله فى الاواخر والاوائل والصلاة على خير الانبياء والرسل

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى عظم حبيبه بأنواع التعظيم وشرفه بأصناف التشريف والصلاة على نبيه النبيه ۞ (النعوت المتعلقة بسورة محمد عليه السلام) ۞ قال الله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعم المهاجرين والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) خصص المنزل عليه عليه السلام بالذكر مع انه داخل فيما قبله تعظيما وتشريفا له واشعارا بأن الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه (وهو) أى ما نزل (الحق) الصدق (من ربهم كفر عنهم سيآتهم) أى غفرها لهم فلا يحاسبون عليها (وأصلح بالهم) قال المبرد البال الحال قال ابن عباس عصمهم الله أيام حياتهم حتى لم يعصوا (أقول) انظر الى لطف الله سبحانه بنبيه عليه السلام كيف عظم أمره حيث عصم الذين آمنوا به فى مدة حياتهم بخلاف سائر الامم فان أمة موسى عليه السلام مثلا لم يعصموا فى مدة حياة نبيهم فكيف فى مدة حياتهم بعده بل زاغوا بما زاغوا بعد ما عاينوا الامر اليقين وأيضا فى تخصيصه بالذكر بعد التعميم مع التصريح بكونه محمدا ما فيه من التشريف ففى هذه الآية ما يعظم أمر محمد كما ترى ۞ قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) رسوله عليه السلام (ينصركم ويثبت أقدامكم) فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع أعداء الدين (أقول) ففى ذكر نصرة الله تعالى وارادة نصرة الرسول فضل بديع عجيب لا يخفى على متأمليه ۞ قال تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى) هم اليهود والنصارى لما علموا فى التوراة أن الرسول حق (لن يضروا الله شيأ) لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط أعمالهم) ثواب

فيه الصنم الكبير الذى يقال له هبل وقبل رأسه وطاف به سبع مرات وقال ياسيدى ان أياديك مبذولة لقريش قديما وحديثا وهذه السعدية قد ضاع ابنها محمد فارجعها فلما سمع هبل اسم محمد سقط على الارض وخرت سائر الاصنام على وجوهها وسمع هاتفا يقول أيها الشيخ اخرج من بيتنا فان هلاكنا على يد هذا الطفل المسمى بمحمد قالت حليمة فخرج شيخ السوء من بيت الاصنام مرتعد الفرائص من الخوف وألقى عصاه وأخذ فى البكاء طويلا وسمعت هاتفا ينادى فى تلك الساعة ويقول ما معناه أيها الناس لا تجزعوا أن فقدتم محمدا فان ربه لا يضيعه وهو الآن فى وادى تهامة تحت شجرة اليمامة أظلته الغمامة جالسا على سرير السيادة له الحسنى وزيادة ثم سار عبد المطلب الى تهامة فوجده صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرة اليمامة مظللا بالغمامة فقال أيها الولد العزيز من أنت قال أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب قال عبد المطلب أنا جدك يا حبيبى فأركبه على فرس فاره ودخل معه مكة المكرمة فاطمأن الناس حين رأوه ثم جهز عبد

حسنات أعمالهم ففيها اجلال شأن المصطفى وتفخيم قدر المقتفى يظهر بأدنى تأمل ﴿قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى وغيرها ففيها من تفخيم حال الحبيب عليه السلام حيث قرن طاعته بطاعته بواو الجمع ولم يكن ذلك لغيره عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أبان فضل حبيبه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما والصلاة والسلام عليه مادامت الشمس ضياء والقمر نورا ﴿(هذا شروع فى الفضائل المتعلقة بسورة الفتح) ﴿قال الله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا) وعد بفتح مكة وذكره بصيغة الماضى لتحققه أو بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك أو اخبار عن صلح الحديبية وتسميته فتحا لان ذلك كان بعد ظهوره عليه السلام على المشركين حتى سألوا الصلح وسببا لفتح مكة وتفرغ به رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل فى الاسلام خلقا كثيرا وظهر له عليه السلام فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض رسول الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه أو فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس فى تلك السنة وقد علمت كون فتح الروم فتحا للرسول عليه السلام فى سورة الروم (ليغفر لك الله) ذكروا فى معناه وجوها الاوجه ان المراد منه التعريف والمعنى انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم فان الناس كانوا علموا عام الفيل ان مكة لا يأخذها عدو الله المسخوط عليه وانما يأخذها ويدخلها حبيب الله المغفور له كذا فى التفسير الكبير وقيل علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن أيدى الظلمة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الظاهر ان المراد من الذنب ههنا ما يكون حسنة للابرار كما اشتهر ان حسنات الابرار سيآت المقربين أى لانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون ومما قررناه ما قال فى الشفاء قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أى انك مغفور لك وشرح هذا الكلام بعض شراحه فقال أى مما يصح أن يعاقب عليه كما فى قوله تعالى لعلك باخع نفسك وعبس وتولى أن جاءه الاعمى أو انه لو وقع منك ذنب أى ذنب كان غفر وهذه مرتبة عظيمة جدا انتهى (أقول) لكن الصواب أن يقول مما يصح أن يعاتب عليه بدل أن يعاقب كما لا يخفى الا أن يقال انه سهو من قلم الناسخ وعن بعضهم ان هذه وردت مورد التشريف له صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد اظهار محبته لو كان لك ذنب قديم غفرناه ولم يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة ﴿قال تعالى (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة قاله البيضاوى فلنتأمل فيه حتى يظهر لك ما فيه وقيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك فى الدنيا قال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعارج ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر وأحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا ومشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركنى التوحيد (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة قال ابن عطاء جمع للنبى صلى الله عليه وسلم نعما مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام

الاجابة

المطلب حليمة بأحسن الجهاز وسيرها الى قبيلتها مع التكريم والاعزاز قالت حليمة لما صار سن الحبيب عشرة أذعن بفضلى ولما بلغ سنه الشريف عشرين كان يفاخرنى ولما بلغ ثلاثين كان يقول ورب الكعبة انها أمى ولما بلغ أربعين كان يباهى بى بين سادات العرب ولما ناهز خمسين كان يفرش رداءه الشريف تحتى عند زيارته ولم أزل أنا أزوره ولم ينفك هو عن زيارتى حتى بلغ ثلاثا وستين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه اجمعين

(الخاتمة) فى انتقال حبيب الملك التواب الى جوار رب الارباب * اعلم أيها المحب الصادق لهذا النبى الكريم عليه الصلاة والتبجيل والتكريم أن قرب أجله الشريف علم من نزول سورة النصر وبيان ذلك فى التفاسير قال بعضهم ان رسول الله صلوات الله عليه مكث حيا بعد نزول هذه السورة الشريفة مدة ثمانين يوما وقيل تسعة أيام وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة أيام روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما معناه انه لما نزلت سورة النصر دعا

الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الى الدرجة الكاملة والهداية الدعوة الى المشاهدة (وينصرك الله نصرا عزيزا) نصرا فيه عز لاذل معه ثم عدد الله سبحانه محاسن حبيبه فقال (انا أرسلناك شاهدا) ليشهد على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد (ومبشرا) لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة (ونذيرا) للكفار بالعذاب (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب اما للامة أو للنبي والامة معا (وتعزروه) تجلوه وقيل معناه تنصروه وقيل تبالغوا فى تعظيمه (وتوقروه) أى تعظموه قال صاحب الشفاء الاظهر ان الضميرين فى تعزروه وتوقروه راجعان الى النبى والتعظيم والتوقير له عليه السلام (وتسبحوه بكرة وأصيلا) وضمير تسبحوه لله تعالى أى تنزهوه غدوا وعشيا أو دائما فقد علمت كيف عظم الله تعالى حبيبه ووقره ۞ قال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) تسمى هذه المبايعة بيعة الرضوان لانه سبحانه قال فيها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة بايعوا تحتها النبى صلى الله عليه وسلم على الموت أو عدم الفرار حتى يفتح الله لهم أو على السمع والطاعة وذلك فى عام الحديبية * المبايعة أخذ العهد والميثاق على أمر وكان من عادتهم وضع اليد اشارة الى التعاضد والتمسك وانما سمى العهد المذكور بالمبايعة وهى مبادلة المال بالمال تشبيها له بالمبايعة فى اشتمال كل منهما على معنى المبادلة وذلك فى البيع ظاهر وكذا فى المعاهدة المذكورة فانها مشتملة أيضا على طاعة المبايعين اياه عليه السلام فى جهاد المشركين وضمانه عليه السلام لهم رضا رب العالمين فاطلاق اسم المبايعة على هذه المعاهدة استعارة تصريحية فلما كان بذل طاعة الرسول عليه السلام انما يصل اليهم من قبل الله تعالى كانت المبايعة مع الرسول معاهدة مع الله تعالى ولذلك أسند المبايعة الى ذاته الكريم على وجه الحصر على طريق التشبيه فقال تعالى انما يبايعون الله كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة الآية ثم أثبت له تعالى ما هو من لوازم المبايع على طريق التخييل بان قال يد الله فوق أيديهم فان يد رسول الله التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله فلما أسند اليه سبحانه المبايعة مجازا أثبت اليد أيضا والا فتعالى شأنه ان تثبت له الجوارح وخواص الحوادث فتأمل وأشار بعضهم الى أن الكلام على التشبيه فيكون معنى قوله تعالى انما يبايعون الله كأنهم يبايعون الله وقوله تعالى يد الله فوق أيديهم المراد من ذلك تأكيد عقد بيعتهم اياه عليه السلام وتعظيم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم (فمن نكث) نقض عهده (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) وفى مبايعته فذكر الله لتعظيم أمر الرسول والا فانهم عاهدوا الرسول فما فى ذلك من الاجلال يتحير فى فهمه كل ذى عقل وبال (فسيؤتيه أجرا عظيما) هو الجنة ومافيها من الكرامة * اعلم أن الله تعالى أكرم حبيبه عليه السلام فى هذه السورة الكريمة بانواع الكرامات منها انه سبحانه فتح له فتحا لم يكن ذلك لغيره من الانبياء ومنها انه غفر له ما تقدم وما تأخر على ما عرفت تفصيله من البر والتشريف ومنها انه أشار الى تمام نعمته على وجه يمتاز به عن الكل كما بينت سابقا ومنها أنه تعالى جعل بيعته عليه السلام بيعته تعالى وعهده عليه السلام عهده تعالى لتعظيم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة البتول سيدة النساء فى دار القبول رضوان الله عليها وقال يا فاطمة أخبرت بانتقالى الى الدار الآخرة فبكت رضوان الله تعالى عليها فسلاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا فاطمة لا تبكى فانك أول لاحق بى من أهلى وروى عن جابر رضى الله عنه ما معناه انه لما نزلت سورة النصر قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل ان هذه السورة تخبر بموتى فقال جبريل يا محمد ان الآخرة خير لك من الاولى * وعن أبى سعيد الخدرى ما معناه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر يوما وقال ان الله عز وجل خير عبدا بين ان يعطى الدنيا ومتاعها وان يعطى الآخرة ونعيمها الذى لا ينفد ولا يزول فاختار هذا العبد ما عند الله عز وجل فبكى أبو بكر وقال فداك آباؤنا وأمهاتنا يا رسول الله وقال الناس الحاضرون انظروا الى هذا الشيخ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يذكر العبد الذى خير بين الدنيا والآخرة وهو يقول فداك آباؤنا وأمهاتنا يا رسول

ومنها انه تعالى دعاه الى مشاهدته ولقائه بالهداية وفي هذه السورة الكريمة تشريفات وكرامات أكثر مما ذكرنا بل كلها كذلك لكن اقتصرنا على ماذكرنا الان في القليل ما يدل على الكثير (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي عظم حبيبه بأنوع التعظيمات وصلى الله تعالى عليه وشرفه باصناف التشريفات ﴿هذا شروع في الفضائل المتعلقة بسورة الحجرات﴾ قال الله (ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا) أي أمر احذف مفعوله ليذهب السامع الى كل مذهب من كل مايمكن تقديمه أي اذا ذكرت مسئلة بين يدي الرسول عليه السلام لاتسبقوه بالجواب واذا حضر الطعام لاتبدؤا بالاكل قبله واذا امشيتم في الطريق لاتمشوا بين يديه فعلى هذا يكون الفعل متعديا ويجوز أن يكون لازما بمعنى لاتتقدموا والتقدم أشنع من تقديم الامر (بين يدي الله ورسوله) بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) في التقديم أو التقدم (ان الله سميع) لأقوالكم (عليم) باحوالكم ﴿قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي اذا كلمتموه فلاتجاوزوا باصواتكم صوته (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ولاتبلغوا بالقول الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته عليه السلام محافظة على التعظيم ومراعاة للادب وذكر في التفسير الكبير في قوله تعالى هذا فوائد منها انه بالاول حصل المنع من ان يجعل الانسان كلامه أو صوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولقائل ان يقول فامنع من المساواة فقال تعالى ولاتجهروا له بالقول كما تجهرون لاقرانكم ونظرائكم بل اجعلوا كلمته عليا ومنها ان هذا أفاد انه ينبغي أن لايتكلم المؤمن عند النبي صلى الله عليه وسلم الا كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل تحت قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض الآية انتهى وقيل معناه ولاتخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول (أقول) كيف لا والله سبحانه يخاطبه كذلك وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به (ان تحبط أعمالكم) كراهة ان تحبط أعمالكم فيكون مفعولا له لقوله لاتجهروا ولاترفعوا والمسئلة من باب التنازع (وأنتم لاتشعرون) انها محبطة (ان الذين يغضون أصواتهم) يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب أو مخافة من مخالفة النهي روى ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يسرانه حتى يستفهمهما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها أي حمل قلوبهم التقوى مرة بعد أخرى حتى اعتادوها ولانت قلوبهم على احتمال مشاقها أو علمها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب العلم وقولى أو علمها أولى من قول القاضي أو عرفها كما لايخفى أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبيثه (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) روى ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يامحمد وانما أسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا بذلك أو أمروا به (أكثرهم لايعقلون) اذ العقل يقتضي حسن الادب في كل الاحوال ومراعاة الحشمة لاصحاب الكمال لاسيما لمن خصه الله تعالى بهذا المنصب العالي (ولو أنهم صبروا حتى

تخرج

الله قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه العبد الذي خير بين الدنيا والآخرة كان هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر الصديق كان اعلم الناس بفهم كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * يقول مؤلف الكتاب الفقير الى رب الارباب يعني ان أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه علم ان موعظته صلى الله تعالى عليه وسلم موعظة مودع وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختار الدار الآخرة وبكى على فراقه صلى الله تعالى عليه وسلم وكأنه رضي الله تعالى عنه يقول ان فداء آبائنا وأمهاتنا اياك أحب الينا من فراقك يارسول الله * ذكر الفاكهاني في كتابه الفجر المنير ما معناه ان طائفة الانصار لما اشتد مرض سيد الابرار طافوا حول مسجده عليه السلام وأشفقوا عليه وأظهروا الغرام فدخل العباس رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم باشفاق الانصار وأحزانهم وطوافهم حول المسجد ثم دخل الفضل ابن العباس رضي الله تعالى عنهما وأخبره بأحوال

تخرج اليهم) ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم (لكان خيرا لهم) من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثواب قال الامام القشيري في تفسير هذه الآية لو عرفوا قدرك لما تركوا احترامك ولا التزموا هيبتك ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان صبرهم خيرا لهم من استعجالهم بالمناداة حتى أيقظوك وقت القيلولة وأما أصحاب رسول الله الذين عرفوا قدره كما في الخبر فكانوا يقرعون بابه بالاظافير (والله غفور رحيم) حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول عليه السلام اعلم ان الله سبحانه عظم حبيبه عليه السلام في هذه الآيات الجليلة بانواع التبجيل وأصناف الالطاف حيث بدأ السورة بالتنويه بشأنه حيث عظمه بان أمرهم أن لا يقدموا بين يديه الكريمتين شيأ ثم بجله بان أمرهم ان لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته الاحسن ثم لم يكتف بذلك بل قال ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض بل عاملوه معاملة العبيد للمولى ولم يكتف بذلك أيضا الى ان مدح المتأدبين في جناب عزته ووبخ المسيئين للادب في باب حضرته بانهم لم أيقظوا الحبيب عن نومة راحته وفيه ما فيه من المجاملة العجيبة على مقتضى المحبة مما لا يخفى على متأمليه فحاصل الكلام ومآل المرام ان الملك العلام يعظمه ويبجله فتخلقوا باخلاق الله العظام صلى الله تعالى على رسوله وآله وأصحابه أجمعين

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أقسم بقوة قلب مصطفاه كما أقسم بعيش مجتباه صلى الله عليه وأرضاه ﴿(المدحة الكائنة في سورة ق)﴾ قال الله تعالى (ق والقرآن المجيد) قال ابن عطاء أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث احتمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله انتهى ما قاله يريد ان قوله تعالى ق بمعنى القوة على طريقة الاكتفاء كقوله قلت لها قفي فقالت قاف وقوله حيث احتمل الخطاب والمشاهدة أي حيث احتمل وأطاق خطاب الله له ورؤيته ليلة الاسراء ولم يطقها موسى صلوات الله عليه وقوله ولم يؤثر ذلك فيه أي لم يصعب عليه عليه السلام حتى يمنعه عن التحمل وقوله لعلو حاله أي لعلو شأن الحبيب وقوة جنانه ففيه من التفخيم ما لا يخفى حيث أقسم الحق تعالى جده بقوة قلب الحبيب مع الايماء الى أعلى مرتبته وأكمل درجاته الذي هو لقاء ربه ومشاهدته التي فاق النبيين فيها فنحمد الله على ان جعلنا من أمة أحب مخلوقاته اليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله على آلائه والصلاة على سيد أنبيائه وأوليائه ﴿(المدحة الكائنة في سورة الذاريات)﴾ قال الله تعالى (فورب السماء والارض) أقسم الله بذاته الكريم (انه لحق) أي أمر محمد عليه السلام (مثل ما أنكم تنطقون) مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ومثل منصوب على الحال من المستكن في الحق أو صفة لمصدر محذوف أي انه لحق حقا مثل نطقكم روي عن الاصمعي قصة اذكر بعضا منها وهو انه قال ان اعرابيا استقرأني فقرأت فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فصاح فقال سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف ولم يصدقوه في قوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (أقول) ففيها ما يشعر باجلال أمر الحبيب حيث حلف الله تعالى على حقيته عليه السلام على نحو ما مر في سورة يس فليطلب

الانصار وآلامهم ثم دخل على رضي الله تعالى عنه وأنهى له ما عرض للانصار من مرض سيد الاخيار فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حجرته المقدسة الى المسجد المنيف متكئا على علي وعلى الفضل بن العباس والعباس يمشي أمامه حتى قعد صلى الله تعالى عليه وسلم على الدرجة السفلى من المنبر وحمد الله عز وجل فأثنى عليه سبحانه بما هو أهله وقال ما معناه أيها الناس اني أخبرت بأنكم كنتم تخافون من موت رسولكم وهل خلد أحد من الانبياء قبلي حتى أخلد أنا واني ذاهب الى ربي سبحانه وأنتم تذهبون اليه تعالى وأوصيكم بالمهاجرين الاولين ثم بالمهاجرين بعدهم ثم بالمهاجرين بعدهم وتلا عليهم سورة العصر ثم قال ان جميع الامور تجري باذن الله عز وجل ولا تعجلوا من تأخر أمر فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد وكل من قصد غلبة على أمر الله فان الله يغلبه وكل من قصد مخادعة الله تعالى فانه سبحانه يعطيه جزاء مخادعته ثم تلا عليهم قول الله عز وجل فهل عسيتم ان توليتم أن

تفصيلها ثمة ۞ قال الله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) والاستفهام للتقرير اى قد أتاك وقيل ان لم يأتك فنحن نخبرك والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل واسرافيل وميكائيل وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف (المكرمين) عند الله أو عند ابراهيم لانه خدمهم بنفسه وزوجته (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) نسلم عليك سلاما (قال سلام) عليكم سلام عدل الى الرفع ليدل على الثبات حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم (أقول) أو يقال ان نور خلته عليه السلام كأنه أخبره بدوام سلامتهم ولذلك عدل الى ما عدل تأمل (قوم منكرون) الى آخر القصة أى أنتم قوم منكرون تقول نكرت الرجل اذا لم تعرفه وانما قال لهم ذلك لانه عليه السلام رأى لهم حالا وشكلا على خلاف حال الناس وشكلهم اعلم ان هذه القصة مع ما يليها من القصص اشارة الى تسلية قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما بدأ بابراهيم لانه شيخ الانبياء ومناسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم تامة ولقد علمت مرارا ان فى تسلية الجليل جل جلاله ما يعظم أمر حبيبه وخليله ويشفى العليل

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده ونشكره ونصلى على حبيبه ونسلمه ۞ (المدحة الكائنة فى سورة الطور) ۞ قال الله تعالى (والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور) قال صاحب القاموس فى لطائف التنزيل قوله والبيت المعمور قسم من الله تعالى بحجر مخدرات حبيبه عليه السلام وقوله والسقف المرفوع قسم منه تعالى بسقف مسجده عليه السلام وقوله والبحر المسجور قسم منه جل جلاله بحر علم حبيبه أعنى صدره عليه السلام فى هذا من اجلال حبيبه عليه السلام ما ينقطع عنده فهمه نياط القلب ويتحير فيه كل ذى لب ۞ قال تعالى (ان عذاب ربك لواقع) ذكر الامام الرازى فيها نكتة لطيفة وهى انه تعالى لو قال ان عذاب الله لواقع والله اسم منبئ عن الهيبة والعظمة كان يخاف المؤمن بل النبى صلى الله عليه وسلم من ان يلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنيا عن العالم بأسره فأزال ذلك بقوله ربك ليأمن الحبيب عليه السلام وأولياؤه (أقول) فتضمنت الآية الجليلة تأمين الحبيب كما هو وتشريفه حيث قرن ذاته الكريم به عليه السلام ۞ قال الله تعالى فى آخر السورة (واصبر لحكم ربك) فى امهالهم وتحملك لايذائهم انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب سيما ذلك فى ذات الله تعالى (فانك بأعيننا) فى حفظنا فيكون كناية عن الحفظ والباء متعلق بمحذوف من مادة الحفظ أى محفوظ بأعيننا وجمعها للمبالغة بكثرة أسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) فى أى مقام قمت أو من مقامك أو الى الصلاة (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق وأفضلها أجزها ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل (وادبار النجوم) وقت ادبار النجوم من آخر الليل انظر الى تعظيم الله تعالى لمصطفاه كيف صبره سبحانه بكمال العناية والمراعاة وقال فى الكليم ولتصنع على عينى وفى الحبيب فانك بأعيننا وبينهما بون بعيد كما لا يخفى على متأمليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الجواد المريد الفعال لما يريد والصلاة على حبيبه السعيد والشهيد ۞ (هذا شروع فى الفضائل المتعلقة بسورة النجم) ۞ قال الله تعالى (والنجم اذا هوى) قال جعفر بن محمد فى تفسيره انه محمد عليه السلام وقال أو النجم قلب محمد هوى انشرح من

تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالخير والاحسان على الانصار هم الذين لازموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما قبل هجرتى اليهم أيها المهاجرون الم تعلموا أن الانصار هم الذين أعطوكم حصة من غلات أراضيهم حين هجرتكم اليهم وأسكنوكم فى ديارهم وآثروكم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ويا أيها الناس أيكم ولى على رجلين فليقبل من محسنهما احسانه وليعف عن مسيئهما ولا تختاروا لانفسكم أشياء حسنة وللذين تحت أيديكم قبيحة ويا أيها الناس انى سابقة رحمة لكم وذخر وستلحقون بى ويا أيها الناس لكن موعد وصالنا يوم القيامة حوضى من أحب أن يلقانى غدا على حوضى فليكف يده ولسانه عما لا يليق ويا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم وان كان الناس صالحين يكون ملوكهم صلحاء وان كان الناس فاسقين يكون ملوكهم ظالمين ههنا تم ما نقله الفاكهانى فى الفجر المنير وعن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما مفهومه انها قالت دخلت فاطمة على رسول

الانوار وانقطع عن غير الله أقسم الله بمحمد وقلبه المنقطع عن غيره والقسم واقع على قوله تعالى (ماضل صاحبكم) ماعدل سيدكم محمد عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش والمراد نفي ما ينسبون اليه بقولهم ضل محمد عن دين ابائه ويقول شيأ من تلقاء نفسه أقسم سبحانه بمحمد على ان محمدا ماضل وذلك في نهاية الاجلال فالله سبحانه تصدى جواب ما قالوا له عليه السلام فقال في حقه في هذه السورة ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى وفي غيرها وما صاحبكم بمجنون وماهو بقول شاعر وغير ذلك وسائر الانبياء عليهم السلام كانوا يجيبون بانفسهم قال قوم نوح انا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة وقال عاد لهود عليه السلام انا لنراك في سفاهة قال ياقوم ليس بي سفاهة وقال فرعون لموسى اني لاظنك ياموسى مسحورا فقال له اني لاظنك يافرعون مثبورا وغير ذلك (وماغوى) أكثر المفسرين لايفرقون بين الغي والضلال كذا ذكره الامام قال ابن عطية والضلال أبدا يكون بغير قصد والغي شيء يكتسبه ويريده فنفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين (وما ينطق عن الهوى) ومايصدر نطقه بالقرآن عن الهوى اي بهواه وشهوته والظاهر من كلام القاضي عياض ان التنزيهات له عليه السلام من عدم الضلال وعدم الغي وعدم النطق عن الهوى في معراجه الى دار ربه مع انه منزه عنها في كل الاحوال فيكون من أول السورة الى قوله لقد رأى في أمر المعراج (ان هو) ماهو (الا وحي يوحى) يوحيه الله اليه (علمه) أي علم محمدا (شديد القوى) قال الحسن المعلم الشديد القوى هو الله تعالى والقوى جمع قوة لقوله تعالى في نعته تعالى الكريم هو الرزاق ذو القوة المتين (ذو مرة) ذو قوة (فاستوى) أي استولى سلطانه وقدرته كقوله الرحمن على العرش استوى وكذلك قوله تعالى (وهو بالافق الاعلى) أي سلطانه وقدرته بالافق الاعلى على تفسير الحسن رحمه الله كذا في تفسير ابن عطية (ثم دنى فتدلى) الدنو القرب والتدلي هو النزول الى شيء حتى يقرب منه قال الحسن وقتادة دنا سلطانه وقدرته كذا في تفسير ابن عطية أول البيضاوي ومعنى الدنو والتدلي على هذا التفسير ان دنوه منه رفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب قدسه عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى كذا ذكره محيي السنة (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب بمعنى المقدار أي مقدار قوسين والمراد منه بيان شدة القرب وقوله أو أدنى شك من طرف العباد اي لو رآه أحد منكم لقال بينهما مقدار قوسين في القرب أو أدنى اي النبس عليه وقاب خبر كان واسمه المستكن فيه وهو يحتمل أن يكون عبارة عن الدنو وأن يكون عبارة عن المسافة ويحتمل أن يرجع الى مارجع اليه ضمير دنا بتأويل (فاوحى) أي أوحى الله (الى عبده) محمد (ما أوحى) أي الله والتعريف بالموصول للتفخيم أي لايكتنه كنهه أو يقال أجمله اجمالا ولم يطلع عليه غيره (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي لم يكذب قلب محمد الذي رأى بل صدقه أي لم يكذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أي لم يقل فؤاده له عليه السلام ان الذي رأيته ليس الرب تعالى بل تيقن ان ما رآه حق صحيح فيكون كذب متعديا هذا التأويل على تقدير كون الرؤية بالفؤاد كما قال ابن عباس وأبو صالح رأى محمد الله تعالى بفؤاده وقال النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله نور بصري في فؤادي فنظرت اليه بفؤادي وقال آخرون المعنى لم يكذب قلبه ما رأى بعينه بل صدقه ويحتمل أن يكون التقدير فيما رأى وهذا المعنى كما قال ابن عباس فيما روى عنه عكرمة وكعب الاحبار

الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه فقال مرحبا بنتي وأجلسها في جانبه الايمن أو الايسر وسلاها وعن عائشة بنت طلحة عن عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما مامعناه انها قالت ما رأيت أحدا أشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فاطمة في قيامها وقعودها وجميع أحوالها وأطوارها وكلما دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام اليها وقبلها وأجلسها في مكانه ولما دخلت عليه في سكرموته أكبت عليه وقبلت وجهه وفي الرواية الاخرى ان فاطمة البتول الزهراء لما دخلت عليه في سكرة موته ضمته الى صدرها وقالت مامعناه واحزني ما بقيت في الدنيا على أبي الذي هو سيد الانبياء وكانت بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول أحب أهله اليه وقال تطييبا لها يا فاطمة لقد حضر لا يبك شيء لم يترك الله عز وجل أحدا منه وليس لا يبك حزن وألم بعده فزادت بكاء البتول ثم سلاها ثانيا وقال يا فاطمة أنت سيدة النساء وانت أول من يلقاني من أهلي فبهذه التسلية ضحكت

ان محمدا عليه السلام رأى ربه بعين رأسه وبسط الزهراوي هذا الكلام عنهم هذا حاصل ماذكره ابن عطية في تفسيره وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية كذا ذكره محيي السنة في تفسيره (أفتمارونه على مايرى) خطاب لقريش والمعنى أفتجادلون محمدا في شئ رآه وأبصره في ليلة المعراج وقوله تعالى يرى مستقبل والرؤية قد مضت فهي عبارة تعم ما مضى وتشير الى ما يمكن أن يقع بعد كذا ذكره ابن عطية رحمه الله (أقول) ويجوز أن يكون من استحضار الحال العجيبة (ولقد رآه) أى الله سبحانه على تفسير ابن عباس (نزلة أخرى) مرة أخرى نصب على الظرفية وقيل انه مصدر واقع موقع رؤية كأنه قال ولقد رآه رؤية أخرى والواو في ولقد رآه للحال أى كيف تجادلونه فيما يراه وهو قد رآه على وجه لا يشك فيه رؤية أخرى روى عن كعب الاحبار رضي الله عنه انه قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرة أخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين وأدنى محمدا صلى الله عليه وسلم مرتين قال محيي السنة وعلى قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو انه كان للنبي عليه السلام عرجات في تلك الليلة بمسئلة التخفيف في أعداد الصلاة فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه في بعضها وروينا عنه انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رأى بعينه انتهى كلامه (عند سدرة المنتهى) وقد مر تفصيلها في سورة الاسراء والزيادة عليه ماروى عن مقاتل هي شجرة تحمل لاهل الجنة الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان وان ورقة منها لو وضعت في الارض لاضاءت أهل الارض وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد عندها جنة المأوى سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى فقال انها سدرة في أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى كذا ذكره الامام محيي السنة وعند على تفسير ابن عباس ظرف للرائي عليه السلام لا للمرئي تعالى عن ذلك (عندها جنة المأوى) التي يأوي اليها المتقون أشير الى أن اضافة الجنة من قبيل مسجد الجامع قال ابن عطية أراد ان تعظيم مكان الشجرة وشرفه بان جنة المأوى عنده (اذ يغشى السدرة ما يغشى) اذ منصوب برأى اى رأى حين كان يغشى السدرة ما يغشى والظرف للرائي وابهام ما يغشى للتفخيم والتكثير بحيث لا يكتنه كنهه لما ثبت في المعاني ان التعريف بالموصول يفيد ذلك واختلفوا في الذي يغشاها قال ابن مسعود فراش من الذهب (أقول) الظاهر انه نثار على الحبيب عليه السلام كما ان من عادة الاحباب في الشاهد اذا قدم الحبيب دارهم ان ينثروا عليه من الذهب والفضة والجواهر وغير ذلك مما يستطيعونه ومن بعض حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وأوحى الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة وقال مقاتل تغشاها الملائكة امثال الغربان وقال السدي امثال الطيور وروى عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره قال غشيها نور الخلاق تعالى وتقدس وغشيتها الملائكة من حب الله امثال الغربان حتى يقعن على الشجرة قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وعن الحسن قال غشيها نور رب العزة فاستنارت كل ذلك ذكره محيي السنة في التفسير قال ابن عطية في تفسيره ان جميع ما في هذه الآيات من التعليم والرؤية والدنو والتدلي وغير ذلك مع جبريل بدليل قوله ولقد رآه نزلة أخرى فان ذلك يقتضي نزلة متقدمة وما روى قط أن محمدا عليه

وتسلت والازواج المطهرات التسع كن مقيمات في خدمة حضرته العلية وحاضرات بين يديه مفتتات الاكباد مهزولات الاجساد من فراق سيد العباد عليه الصلوات ما دامت السموات بلا عماد عائشة وحفصة وسودة وأم سلمة وام حبيبة وزينب بنت جحش وميمونة وجويرية وصفية رضوان الله تعالى وبركاته عليهن آمين عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه ما معناه انه لما بقي من حياته صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام نزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا محمد ان الله عز وجل الذي أرسلني اكراما وتفضيلا لك وخصك بهذا الاكرام والتفضيل يسألك عن أمر هو أعلم به منك ويقول كيف حال محمد وكيف يجد محمد نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل أجدني مغموما يا جبريل أجدني محزونا ثم جاء جبريل عليه السلام في اليوم الثاني وأدى الرسالة كما في اليوم الاول وتفقد عن أحواله المنيفة ثم جاء في اليوم الثالث على المنوال السابق وسأل عن شؤونه الشريفة ثم استأذن عزرائيل في الدخول عليه

السلام رأى ربه قبل ليلة الاسراء اما الرؤية بالقلب فلا تمتنع بحال انتهى كلامه (أقول) النزلة الاخرى لا تستلزم أن تكون النزلة المتقدمة في غير ليلة الاسراء ولم لا يجوز أن يرى ربه في هذه الليلة مرتين وروى عن كعب انه عليه السلام رأى ربه مرة أخرى فقال انه تعالى كلم موسى مرتين وروى عن ابن عباس انه رآه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه كما ذكرناه نقلا عن تفسير الامام البغوى آنفا وليت شعرى ماذا يقول ابن عطية في هذه الروايات تأمل (وأقول) أيضا قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى يؤيد أن يكون ما في هذه الآيات مع الرب سبحانه (مازاغ البصر) اى ما مال بصر النبي يمينا وشمالا (وما طغى) اى ما جاوز ما رأى وهذا وصف أدبه في ذلك المقام اذ لم يلتفت جانبا (أقول) فكيف يجاوزه والمرئى تعالى اعز المطالب وأجل المواهب واضمحل برؤيته سائر الموجودات (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وتقديره على ما أشار اليه القاضى والله لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه على أن يكون في الكلام تقديم وتأخير وقوله الكبرى مفعول رأى حذف موصوفها ومن آيات ربه حال قدمت على ذيها وتقدير الكلام ما ذكرناه ويجوز ان لا يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون الكبرى صفة الآيات والجمع المؤنث لغير العقلاء يتصف بما يتصف به الواحدة أى ولقد رأى بعضا من آيات ربه الكبرى لكن الاول أولى بمساق الكلام قال ابن عباس وابن مسعود رأى رفرفا أخضر من الجنة قد سد الافق وقال ابن زيد رأى جبريل في الصورة التى هو بها في السماء وروى انه لم ير جبريل على صورته التى هو عليها غير نبينا عليه السلام ويقال الآية الكبرى هو بقاؤه عليه السلام في حال لقائه تعالى بوصف الصحو حتى رأى ربه تعالى وهو أكبر الآيات على حفظه اياه كذا ذكره الامام القشيرى اعلم ان هذه السورة الكريمة تضمنت من فضائله عليه السلام وتقرباته بربه تعالى ما لا ينضبط بالعد وما لا يرتقى الى حد ولا يصل الى كنهه أحد كما أشار اليه ربنا الصمد بقوله فاوحى الى عبده ما أوحى وقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى وقوله ولقد رأى من آيات ربه الكبرى (أقول) فسبحان القادر الذى لم يكن له كفوا أحد منها انه تعالى أقسم بحبيبه وبقلبه المنقطع عن غير ربه على انه ليس فيه الضلال وهو على الهدى وانه منزه عن الهوى فيما تلا وانه وحى يوحى علمه الرب الاعلى ولم تكن هذه المجاملة لغير الانبياء ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وما أكرم له فيها من الكرامة العليا فأخبر انه دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى من الاسرار التى على الاجانب تخفى وغير ذلك من المواهب العليا فرأى ربه سبحانه تبارك وتعالى وما مال بصره وما طغى عن المطلب الاسنى وذلك من كمال آدابه كيف لا وقد أدبه المولى ورأى من آيات ربه الكبرى وهى على الظاهر بقاؤه بوصف الكمال فى تحمل اللقاء اللهم صل وسلم وبارك على حبيبك المصطفى وخليلك المجتبى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى شق القمر باشارة حبيبه ليكون دالا على نور نبوته والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأهل بيته ۞ (المدنية الكائنة في سورة القمر) ۞ قال الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل

فقال جبريل يا محمد ان ملك الموت يطلب منك الاذن ولم يكن هذا الاستئذان لاحد قبلك ولا يكون لاحد بعدك فأذن له ودخل وقام بين يديه وقال يا محمد ان الله عز وجل أرسلنى اليك وقال لى أطع محمدا في كل ما يأمرك فان أمرتنى ان أقبض روحه أقبض والا أترك ذلك فعند ذلك قال جبريل ان الله عز وجل اشتاق اليك فلما سمع الحبيب اشتياق الرب القريب أذن له وقال جبريل يا محمد هذا آخر مجيئى الى الارض وقد كانت حاجتى من الدنيا فقبض روحه صلى الله تعالى عليه وسلم فعند ذلك ظهرت من اطراف الدار كلمات تدل على التعزية والتسلية ولا يرى قائلها وقال قائل في تلك الحالة سلام الله ورحمة الله وبركات الله عليكم أهل البيت كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة وان الله تعالى جعل لكل مصيبة تعزية ولكل هالك خلفا وتوكلوا على الله عز وجل ولا ترجوا الا منه والمصاب هو الذى حرم الثواب قال على بن أبى طالب رضوان الله عليه عند تمام هذا الكلام أتدرون من القائل فأجاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين فقال صلى الله عليه وسلم يا فلان ويا فلان اشهدوا وعن ابن مسعود رضي الله عنه أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر فانفلق فلقتين فكانت احداهما فوق الجبل والاخرى أسفل من الجبل حتى رؤي الجبل بين فلقتي القمر وقال اشهدوا فقال أبو جهل ان محمدا سحر القمر ثم قال أبو جهل ابعثوا الرسل الى جميع البلاد فان عاينوا ما عاينا فهو آية والا فهو سحر فبعثوا الرسل الى جميع البلاد فرأوا الناس يتحدثون بانشقاق القمر فلما رجعوا اليهم وأخبروهم به فقالوا ان هذا الاسحر واه كذا في تفسير الحدادي (وان يروا) أي أهل مكة (آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك (أقول) ففيها دلالة ظاهرة وأمارة باهرة على علو شأن الحبيب عليه السلام حيث شق القمر المنير باشارته العلية واستجيبت دعوته الكريمة المرضية

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي علم القرآن سيد الانسان والصلاة عليه وهو المبعوث بخير الاديان ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الرحمن) ۞ قال الله تعالى (الرحمن علم القرآن) قال الكلبي علم محمدا القرآن (خلق الانسان) أي آدم قاله ابن عباس وقتادة (علمه البيان) اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها كان آدم يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية (أقول) فيها ما يدل على علو رتبته عليه السلام وسمو منزلته فمن يكون اعلى حالا وارفع مآلا ممن تصدى الرحمن لتعليمه وأضاف ذلك اليه وأيضا في تقديم تعليم محمد عليه السلام من الاجلال والاكرام على نحو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية كما بيناه هذا من نتائج اسراري

(بسم الله الرحمن الرحيم) المنة علينا بالواهب العظيمة والصلاة على نبيه خير البرية ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الواقعة) ۞ قال الله تعالى (فأما ان كان من المقربين) أي ان كان المتوفى من المقربين (فروح) فله استراحة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) جنة ذات نعيم (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) روي عن جعفر الصادق في تفسير قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك أي انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد عليه السلام كذا ذكره القاضي عياض في شفائه أي اللام في قوله تعالى لك بمعنى الباء والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أي السلامة بك يا محمد لاهل اليمين ففيها ما لا يخفى من المدحة العظمى والثناء الجميل لمحمد المصطفى حيث قال المولى ان سلامة أهل اليمين من المؤمنين لاجل كرامتك يا محمد

(بسم الله الرحمن الرحيم) المنة لله سبحانه علينا بدين الاسلام والصلاة والسلام على من هو خير الانام ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الحديد) ۞ قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله) خطاب للمؤمنين أي اثبتوا على ذلك وداوموا عليه والايمان برسوله داخل في اتقاء الله تعالى والتصريح به لتعظيم أمره عليه السلام (يؤتكم كفلين من رحمته) أي نصيبين بالنسبة الى ما اعطى الامم السالفة وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض الاحبار كم كان التضعيف للحسنات فيكم فقال ثلثمائة وخمسون فقال الحمد لله الذي ضاعف لنا الى سبعمائة كذا في تفسير ابن عطية (أقول) ففيها من الكرامة وعلو المكانة لحبيب الله عليه

سلام

انه الخضر عليه السلام حاصل ما ذكره البيهقي في الدلائل وذكر ابن المنير ما معناه لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حصل في عقول الناس الخفة والضعف وبعضهم جن وبعضهم لم يقدر على القيام من المكان الذي كان قاعدا فيه وبعضهم خرس ولم يقدر على التكلم والنطق أما الذي جن بفراقه صلى الله عليه وسلم فهو عمر رضي الله تعالى عنه وأما الذي خرس ولم يقدر على النطق فهو عثمان رضي الله تعالى عنه وكان علي رضي الله تعالى عنه من الذين لم يقدروا على القيام سعي سيد الانام وعبد الله بن أنيس مرض بفراق خير الانيس صلى الله تعالى عليه ما دام آخذوا عطاء ومسيس حتى كان هذا المرض سببا في موته رضي الله تعالى عنه يقول ناظم هذه الدرر المفيدة كيف لا وقد ذكر في الشفاء ان ناقته عليه السلام العضباء لم تأكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت وذكر فيه أيضا ان حماره صلى الله عليه وسلم المسمى بيعفور لما مات صلى الله عليه وسلم تردى من بئر جزعا وحزنا فمات انتهى

سلام الله ما ينبئ عن شرفه حيث اعتنى بذكره مع داخل الاجمال كما أشرنا اليه وأعطى لامته ضعف ما أعطى لسائر الامم وذلك شرف لأمته وشرف أمته من شرفه عليه السلام لما تقرر ان فضل التابع من فضل المتبوع

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الملك الودود المالك المعبود والصلاة على حبيبه المحمود ﴿المدحة المتعلقة بسورة المجادلة﴾ قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فقدموا قدام نجواكم صدقة وذلك ان أكابر الاصحاب كانوا يستخلون بالنبى صلى الله عليه وسلم فيشاورونه فيما يريدون ويلحون عليه بالحاجات والمسائل ويشغلون بذلك أوقاته التى كانت مستغرقة بالعبادة والابلاغ الى الامة وكان الفقراء لا يتمكنون من النبى صلى الله عليه وسلم كتمكن الاغنياء منه فامر الله تعالى الناس بتقديم الصدقة على نجواهم مع النبى صلى الله عليه وسلم اعظاما له عليه السلام وتوقيرا لمناجاته ونفعا للفقراء هذا حاصل ماذكر فى تفسير الحدادى (أقول) وكذلك سلعة مناجاة الحبيب غالية (ذلك) اى التصدق قبل مناجاة الرسول (خير لكم وأطهر) لانفسكم (فان لم تجدوا) ما تصدقوا به (فان الله غفور رحيم) لمن لم يجد فرخص فى المناجاة بلا تصدق ١ (أقول) ففيما نقلنا عن الحدادى فيما قبل تأمل بالنظر الى قوله تعالى فان لم تجدوا فتأمل ففيها من اعظام الرسول وتوقيره مالا يخفى حيث لم يسو الله تعالى مناجاة حبيبه بمناجاة غيره فامر بالتصدق قبل مناجاته للتعظيم والاكرام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الودود الذى محبته للقلوب سالبة وعلى القلوب غالبة والصلاة على حبيبه الذى متابعته لما ذكرناه واجبة ﴿المدحة المتعلقة بسورة الحشر﴾ قال الله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) قال بعضهم الغنيمة اسم لما أخذه المسلمون من الكفار عنوة وقهرا والفىء ما صالحوا عليه فبين الله تعالى حكم الفىء فى هذه الآية فقوله من أهل القرى من فىء أهل قرى المدينة بنى قريظة وبنى النضير وفدك (فلله) وذكر الله تعالى للتبرك ولتعظيم الرسول (وللرسول ولذى القربى) ولذى قرابة رسول الله (واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) والمعنى فعلنا ذلك فى الفىء كيلا يقسمه الرؤساء والاقوياء دون الضعفاء والفقراء كما كان فى الجاهلية فان الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربع الغنيمة لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى منها أيضا بعد المرباع ما شاء والدولة بالضم اسم للشىء الذى يتداوله القوم بينهم وبالفتح مصدر بمعنى التداول وقيل بمعنى انتقال حالة سارة الى قوم عن قوم (وما آتاكم الرسول فخذوه) أى ما أعطاكم الرسول من الامر فتمسكوا به على ان تكون الآية عامة فى كل ما أتى النبى من الاحكام لما روى ان ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم والحسن رحمه الله حملوها على العموم وان كان نزولها فى الغنائم لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المادة (وما نهاكم عنه) عن اتيانه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة أمر الرسول (ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (أقول) ففيها اعظام للحبيب عليه الصلوات حيث قرن ذكره الكريم بذكره لتعظيمه وأمر باتيان ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وأوعد من خالفه عليه السلام

أقول انظر أيها الناظر فى هذا المقال ناقة أنت أم جمار أم هما خمار فتأمل انتهى كلامى وكان أشد أصحاب رسول الله صبرا وأثبتهم عند هذه المصيبة التى لو صبت على الايام صرن لياليا أبو بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه لما سمع انتقال حبيب الملك المتعال الى دار الجلال أجرى دموع عيونه كالفرات ودخل حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم وألقى نفسه على سيد البريات كشف عن وجهه الشريف وقال طبت حيا وميتا وفى الرواية الاخرى رفع عن وجهه النقاب ووضع فمه على فمه الشريف وشمه ومن ذيل الرواية الاولى ان أبا بكر الصديق قال ان الامر الذى انقطع بموتك لم ينقطع بموت سائر الانبياء ولو كان موتك بالاختيار لبذلنا نفوسنا فى مقابلة نفسك وفديناك يا محمد اذكرنا عند ربك واجعلنا على ذكر منك وعن على رضوان الله تعالى عليه ما معناه قبض ملك الموت روح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرج الى السماء وهو يبكى والذى بعث محمدا بالحق كنت أسمع من جانب السماء وامحمداه وفى سنن النسائى فى باب البكاء على الميت عن

١ قوله أقول الخ فيه انه لم يظهر لهذا التوقف وجه لان كلام الحدادى لا يخالف قوله تعالى فان لم تجدوا كما هو ظاهر تامل اه مصححه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى نقى قلوب أحبائه بشراب حبه وأراح قلوبهم مما سواه باشتغال وده والصلاة والسلام على سيد أصحاب وجده وسند أهل مجده ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الممتحنة) ۞ قال الله تعالى (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) حال من المؤمنات أى مبايعات (على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) أى البنات فانهم كانوا فى الجاهلية يقتلن البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه) فى موضع الجر صفة بهتان (بين أيديهن وأرجلهن) ظرف لمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه أى مقدرا وجوده بين أيديهن وأرجلهن على أن يكون المراد بالبهتان الحاق الولد بان تلتقط ولد الغير وتقول لزوجها هذا منك فلا يكون ذلك نهيا عن الزنا لانه علم سابقا بل نهيا عن هذا البهتان (ولا يعصينك فى معروف) فى طاعة تأمرهن بها وهى عامة لكل طاعة له عليه السلام (فبايعهن) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءت النساء يبايعنه فنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله ان يعرفها فقال رسول الله أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها فقالت انك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال وكان رسول الله قد بايع الرجال على الاسلام وعلى الجهاد فقط ثم قالت عبدنا الاصنام فما أغنت عنا ثم قال عليه السلام ولا تسرقن فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هناة فلا أدرى أيحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة فقالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال صلى الله عليه وسلم خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تزنين فقالت هند أوتزنى الحرة قط فقال عمر لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة منهن قط فقال عليه السلام ولا تقتلن أولادكن فقالت ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى فتبسم النبى عليه السلام ثم قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن فلما سمعت ذلك قالت ان البهتان يقبح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال عليه السلام ولا تعصينى فى معروف قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شئ (أقول) ففيهما يجل شأن حبيب الله عليه أكمل التحيات وأجمل الصلوات حيث خاطبه الله تعالى بقوله يا أيها النبى ولم يذكره باسمه بل بلقبه الدال على رفعة شأنه الكريم ليتخلقوا باخلاق الله ويقال هذا من مناقبه وخصائصه العلية بخلاف سائر الانبياء فانهم نودوا باسمائهم فقال تعالى حكاية وناديناه ان يا ابراهيم وأيضا فى قوله تعالى ولا يعصينك فى معروف ما لا يخفى من الاجلال حيث خصص أمر تأدبهن فى جناب حبيبه عليه السلام بالذكر وغير ذلك

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى تجلى بجمال لطفه فى قلوب أحبائه والزمهم خدمة عتبته العلية وملازمة بابه والصلاة على سيد انبيائه وقائد أوليائه ۞ (المنقبة المتعلقة بسورة

أنس ان فاطمة رضى الله تعالى عنها بكت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين مات فقالت يا أبتاه من ربه ما أدناه يا أبتاه الى جبريل ننعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه انتهى وروى ما معناه ان فاطمة البتول الزهراء لم تعش بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ستة أشهر ولم تضحك فى تلك المدة وحق لها تلك الحالة نظما

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه
وان كان من ليلى على الهجر طاويا

اعلم انه كما كانت ولادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاثنين كانت وفاته كذلك ولذلك استحب تعظيم يوم الاثنين الواقع فى كل أسبوع وعامة ما ذكرناه من أول الخاتمة الى هنا معانى ما أورد فى المواهب اللدنية * (التذييل فى لزوم محبته صلى الله تعالى عليه وسلم ومناصحته وفى معنى المحبة والنصيحة وعلامات المحبة وفى الصلاة عليه وفى معنى الصلاة ومواطن الصلاة وكيفية الصلاة وفى فضيلة الصلاة وفى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم وفيما روى عن السلف والأئمة من محبتهم للنبى

الصف) ۞ قال الله تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا) في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري (برسول يأتي من بعدي) والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال (أقول) ففي تقييد رسالة عيسى بتبشير قدوم المصطفى عليهما السلام ما لا يكتنه من عظمة من بشر به وجاهه الكبير الذي لا يحوم حول أذياله عظماء المرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين (اسمه أحمد) يعني محمدا عليه السلام قال المبرد وأبو علي قوله أحمد يحتمل معنيين أحدهما المبالغة في الفاعل يعني أكثر حمدا لله تعالى من غيره من الانبياء وثانيهما المبالغة في المفعول يعني انه يحمد بما فيه من الاخلاص والاخلاق الحسنة أكثر مما يحمد غيره من الانبياء كذا ذكره الامام الرازي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لي أسماء أنا أحمد وانا محمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي رواه البخاري (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الاشارة الى ما جاء به أو اليه وتسميته سحرا للمبالغة (أقول) بربنا الرحمن المستعان التوفيق ان في هذه الآية الجليلة من جلائل مناقب سيد المرسلين حيث أرسل الحق سبحانه روحه وكلمته عيسى بن مريم مبشرا بقدوم نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك التبشير مقدم على قدومه بمقدار ستمائة سنة فاي تعظيم يكون أبلغ من هذا حيث جعل الله تعالى بشير قدومه روح الله ومن أجل حالا ممن حصل لقدومه التبشير والحال ان بين التبشير به ومولده مقدار ستمائة سنة وفي ذلك كله اعتناء عجيب واجلال بديع لا يكتنه كنهه ولا عجب فانه قد اصطفاه حبيبا مرسل الرسل مبشرا ونذيرا وموضحا السبل (وأقول) وانما ذكره عيسى عليه السلام بهذا الاسم من بين سائر الاسماء لدلالته على انه أحمد الحامدين وأعظم المحمودين من الانبياء والمرسلين ولذلك خص بلواء الحمد والمقام المحمود ولمناسبته بمقام التبشير وفيه تلميح منه الى ان المبشر بقدومه أحمد وأفضل منه ۞ قال الله تعالى (يريدون) أي الكفار (ليطفؤا) أي ان يطفؤا واللام مزيدة للتأكيد فانها تزاد في فعل الارادة (نور الله بأفواههم) قال الامام الرازي قيل دين الله وكتاب الله ورسول الله بهذه الصفة ويقال في الرسول انه النور والا لما وصف بكونه رحمة للعالمين اذ الرحمة باظهار ما يكون من الاسرار وذلك بالنور أو نقول انه هو النور لان بواسطته اهتدى الخلق أو هو النور لكونه مبينا للناس ما نزل اليهم والمبين هو النور ثم ان لكونه نور الله فوائد منها انه يدل على علو شأنه وعظمة برهانه وذلك بوجهين احدهما الوصف بالنور وثانيهما الاضافة الى الحضرة ومنها انه اذا كان نورا من أنوار الله تعالى كان مشرقا في جميع اقطار العالم لانه لا يكون مخصوصا ببعض الجوانب فكان رسولا لجميع الخلائق لما روى انه عليه السلام قال بعثت الى الاحمر والاسود فلا يكون شخص من الجن والانس الا ويكون من أمة المتابعة وان كان كافرا فهو من أمة الدعوة (والله متم نوره) مبلغ غايته ولا يخفى ما في الاضافة أيضا من التشريف سيما في تكرارها (ولو كره الكافرون) ارغاما لهم وبعد ذكرنا من الفوائد المنقولة عن الامام ظهر وجه فضل الحبيب المدلول عليه بهذه الآية فلا يحتاج الى اعادتها ۞ قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن المعجز (ودين الحق) والملة الغراء (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جميع الاديان (ولو كره المشركون) لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك أيضا روى ان ذلك الاعلاء

صلى الله تعالى عليه وسلم)* وبتمامها يتم الكتاب وفي ذلك فصول

(فصل) في محبته صلى الله تعالى عليه وسلم ومناصحته وقد مر منا في البصيرة ان محبته صلى الله تعالى عليه وسلم من أوجب الواجبات وأكمل القربات كيف لا وقد قال الله عز وعلا قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكفى بهذا حظا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قرع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله وخرج البخاري عن أنس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن انس عنه عليه

على الكل يظهر عند نزول عيسى وخروج المهدى ففيها أيضا من اعظام أمره وتفخيم شأنه عليه السلام مالا يخفى حيث أضيف الى ذاته الكريم وجعل دينه عاليا على جميع الاديان

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى لا يتوصل الى جناب قدسه الا بالانفصال عما سواه من الاهل والآل والصلاة على حبيبه ورسوله محمد وعلى العترة والآل من أهل القرب والوصال ﴿ المناقب المأخوذة من سورة الجمعة ﴾ قال الله تعالى (هو الذى بعث فى الاميين) والامى فى اللغة هو الذى لا يقرأ ولا يكتب كذا فى تفسير ابن عطية أى فى العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن (رسولا منهم) من جملتهم أميا مثلهم وتوصيفه به للدلالة على ان كمال علمه مع حاله من أعظم معجزاته والظاهر أن تنكير الرسول للتعظيم (يتلو عليهم آياته) مع كونه أميا مثلهم ولم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وان هى المخففة واللام تدل عليها (وآخرين منهم) عطف على الاميين أو المنصوب فى يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع وانما وصف الآخرين بكونهم منهم لانهم بعد ما آمنوا لا محالة انهم منهم انما المؤمنون اخوة (لما يلحقوا بهم) لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون (وهو العزيز) الغالب الذى لا يغالب (الحكيم) الذى أتقن كل شئ بحكمته (ذلك فضل الله) ذلك أى الذى امتاز به سيد البشر من كونه مبعوثا لاهل عصره ومن جاء بعدهم الى يوم القيامة حال كونه تاليا عليهم كتاب الله ومزكيا ومعلما لهم الكتاب والحكمة وهو أى فضل الله (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الآخرة وانما قلونا عليك لما علمت ما فيها من الفضل العظيم واللطف والثناء الجزيل على الحبيب الجميل عليه من الصلوات جزيلها ومن التحيات جميلها ﴿ قال الله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) أى تفرقوا بالخروج اليها (وتركوك قائما) على المنبر قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادى نارا ذكره الامام محيى السنة (أقول) ففيه اشارة الى ان الله سبحانه يدفع البلاء عن المخالف بحرمة الموافق اللهم ارحمنا بهم (قل ما عند الله) من الثواب على الصلاة والثبات مع النبى (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه ففيها اعظام واكرام للحبيب عليه الصلوات حيث عاتب الذين تركوا مراعاة آدابه وخدمة جنابه وأما قوله تعالى وتركوك قائما فيشتمل من الاكرام والاجلال على ما ينقطع عند فهمه نياط القلب ولا يخفى على متأمليه والصلاة والسلام عليه وعلى ناصرى دينه وشريعته

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله العزيز الحكيم الكبير العظيم والصلاة على حبيبه الرؤف الرحيم ﴿ (المدحة المستفادة من سورة المنافقين) ﴾ قال الله تعالى (هم) أى المنافقون (الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله) يعنون المهاجرين (حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله

السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار وغير ذلك من الآيات الباهرات والآثار الزاهرات وأما لزوم مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم فما لكتاب والسنة قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال المفسرون اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين فى السر والعلانية وخرج أبو داود عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة

(فصل) فى معنى المحبة والمناصحة اختلف الناس فى معنى محبة الله تعالى ومحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتشعبت ألفاظهم فى ذلك وليس هى جمعها

خزائن السموات والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله العظيم (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز) يريد ابن أبى رئيس المنافقين بالاعز نفسه (منها الاذل) يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن أبى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فاذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل ثم اجاب الله تعالى عن طرف رسول الله على وجه يتضمن الوعد الجزيل للرسول والمؤمنين والوعيد الاليم للمنافقين بقوله سبحانه (ولله العزة) ولله القوة والغلبة (ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) لفرط جهلهم (أقول) ففيه ما فيه من الكرامة والفضل له عليه الصلوات حيث فضح الله المنافقين بسبب مقالتهم هذه لرسول الله واجاب الله تعالى عنها بنفسه الكريم بان العزة لله ولرسوله ولمن يتبعهم من المؤمنين وفى ذكر الله تعالى عزة رسوله بواو الجمع ما فيه من التبجيل على ما لا يخفى ففى هذه ما يدل على اعظامه بغير ما ذكرنا بل جميع السورة لذلك يظهر بالتأمل

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك يا من انطقنا بمناقب حبيبه ومصطفاه واعرب عما فى قلوبنا من حب خليله ومجتباه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم ۞ (المنقبة المتعلقة بسورة التغابن) ۞ قال الله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم) عن الاجابة فيما دعاكم الرسول اليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين) البلاغ الظاهر والبيان الباهر وفيه تنزيه للمصطفى ووعيد لمن تولى (اقول) تشعر الآية بما انبينا من التعظيم والاجلال حيث جمع الله طاعته بطاعته بواو الجمع ولم يكن ذلك لغيره عليه السلام وأعاد قوله وأطيعوا فى جانب الرسول وقرن ذكره بذكره وأضافه الى ذاته الكريم

(بسم الله الرحمن الرحيم) اللهم يا مكون الكائنات ويا رازق الموجودات أسألك ان تصلى على حبيبك سيد البريات وان تحشرنا تحت لوائه يوم العرصات ۞ (الفصل المفهوم من سورة الطلاق) ۞ قال الله تعالى (يا أيها النبى اذا طلقتم) اذا اردتم الطلاق والخطاب للنبى عليه السلام وجمعه للتعظيم وحكمه عام (النساء فطلقوهن لعدتهن) أى فى الزمان الذى يصلح لعدتهن أو وقتها وهو الطهر الذى لم يمسها فيه فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتوقيت عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فخرجت الى أهلها فنزلت وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وعلى هذا انما نزلت بسبب خروجها الى أهلها لما طلقها النبى صلى الله عليه وسلم وقال الكلبى انه عليه السلام غضب عليها لما أسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة فطلقها تطليقة كذا ذكره الامام الرازى (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها (واتقوا الله ربكم) من تطويل العدة والاضرار بهن (لا تخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن (ولا يخرجن) من قبل أنفسهن (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الا ان يطلقن ألسنتهن على أهل المنزل على ما روى عن ابن عباس (وتلك حدود الله) أى هذه الاحكام (ومن يتعد حدود الله) بالمخالفة (فقد ظلم نفسه) فقد أضر بنفسه (لا تدرى) أنت أيها النبى (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أى هو الرغبة بالمطلقة بالمراجعة أو الاستئناف (أقول) ففى هذه الآية الجليلة ما يفخم أمر حبيب الله عليه صلوات الله لما مر مرارا

بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان رحمه الله تعالى محبة الله اتباع الرسول عليه السلام كأنه يشير الى قول الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق وأكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع

ان مثل هذه المخاطبة من خصائصه عليه السلام وخوطب عليه السلام بصيغة الجمع لكونه كالجماعات وهو عين التعظيم

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك اللهم ونشكرك ونصلي على حبيبك وخليلك ﷺ (المنقبة المنتخبة من سورة التحريم) قال المفسرون كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله في زيارة أبيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت انما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليست هي جاريتي أحلها الله لي اسكتي فهي حرام علي ألتمس بذلك رضاك ولا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار التي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي فغضبت عائشة فعلى هذا قول الله تعالى (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) وهو تحريمه فتاته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك أحدا كما ذكر تفصيله مقدمة لذلك (فلما نبأت به) أخبرت به حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أى أطلع الله نبيه على انها أنبأت (عرّف بعضه) عرّف بعض الفعل الذى فعلته من افشاء سره أو غضب بذلك عليها من قول القائل لمن أساء اليه لاعرفن لك أى أجازينك (وأعرض عن بعض) يعنى لم يعرفها اياه لانه ما استقصى كريم قط وما زال التغافل من فعل الكرام بيانه انه لما رأى النبي الكراهة في وجه حفصة أراد أن يرضيها فاسر اليها شيئين تحريم الجارية على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها فاخبرت به حفصة عائشة فأطلع الله نبيه فعرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وأعرض عن بعض يعنى لم يذكر الخلافة للكرم العميم (فلما نبأها به) أخبر حفصة ما أظهره الله عليه (قالت) حفصة (من أنبأك هذا) أى من أخبرك هذا أى باني فشيت السر (قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله) من التعاون على النبي بالايذاء يخاطب حفصة وعائشة وجواب الشرط محذوف تقديره فهو خير لكما (فقد صغت قلوبكما) أى مالت عن الحق وهو حب ما يحب الرسول وكراهة ما يكرهه الرسول استوجب التوبة لمخالفة الحق (وان تظاهرا عليه) أى تعاونا على رسول الله بالمعصية والايذاء والظاهر ان جواب الشرط محذوف على وفق الشرطية الاولى أى هو شر لكما والله أعلم (فان الله هو مولاه) ناصره (وجبريل) رئيس الكروبيين قرينه (وصالح المؤمنين) اعوانه واتباعه (والملائكة بعد ذلك ظهير) متظاهرون في نصرته (عسى ربه) قال المفسرون عسى من الله واجب أى واجب من ربه (ان طلقكن) رسوله (أن يبدله أزواجا خيرا منكن) فان قلت كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن في وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين يقال اذا طلقهن الرسول لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة فكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مصليات (تائبات) عن الذنوب (عابدات) متعبدات ومتذللات لامر الرسول (سائحات) صائمات

الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في أخرى ما يؤدى الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واحترام النفوس أو يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الموجبة للمحبة أما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قرر منها قبل في فاتحة الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة وأما انعامه واحسانه على أمته فقد تبين في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وكونه بالمؤمنين رؤفا رحيما ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين وأى افضال أعم منفعة وأكثر فائدة من

(ثيبات

(ثيبات وأبكارا) انظر كيف بالغ الله تعالى فى عتاب أمهات المؤمنين وكيف أظهر الله تعالى ولايته على حبيبه ولم يكتف بذلك وأكده بان رئيس الكروبيين وجميع المؤمنين الصالحين وعامة الملائكة ظهيره عليه السلام وزاد على هذا أيضا بأنه ان بدلكن يمنح الله تعالى له أزواجا بهذه الصفات العظام مع ان ما وجب عتبهن يظهر أن يكون من الصغائر ومن المعاملات المعتادة بين الازواج وما ذلك الالامر وهو اجلال مكانة حبيبه واعظام رتبة خليله صلى الله تعالى عليه وعلى آله

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك يامن لايخيب راجيا ولايرد داعيا وأستشفع من حبيبه مصليا ومسلما ۞ (المدحة التى فى سورة الملك) ۞ قال الله تعالى (أم أمنتم من فى السماء) سلطانه وقدرته (ان يرسل عليكم حاصبا) الحاصب الريح التى ترمى بالحصباء لادافع له كما أرسل على قوم لوط (فستعلمون) فى الآخرة (كيف نذير) أى نذيرى يعنى رسولى وصدقه حين لا ينفعكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من الامم الماضية (فكيف كان نكير) أى انكارى وتغييرى أليس وجدوا العقاب حقا هذا تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لقومه وانما حذف الياء من نذيرى ونكيرى ليكونا مشابهين لرؤس الآى المتقدمة عليهما والمتأخرة عنهما فالكل مشعر باكرام الحبيب عليه الصلاة والسلام لما مر مرارا من ان تسلية الله سبحانه مخبرة عن علو حال المسلى له عليه الصلوات وأيضا فى قوله فكيف كان نكير مافيه

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك يامن يرى الذنوب ويسترها ويطلع على العيوب ولا يكشفها يهدى المذنبين الى طريق التوبة ثم يغفر لهم والصلاة والسلام على سيد رسله وواضح سبله ۞ (المدحة المتعلقة بسورة نون) ۞ قال الله تعالى (ن) عن ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدى والكلبى واختلف فى اسمه وقال الكلبى ومقاتل يهموت وقال الواقدى ليوثا وقال كعب لوبثا وعن على ان اسمه بلهوت كذا ذكره محيى السنة قال صاحب القاموس فى لطائف التنزيل قوله تعالى ن قسم من الله تعالى بنون جمال حبيبه محمد عليه السلام فيكون من اعجب المفاخر فى حق خير الاوائل والاواخر (والقلم) قال المفسرون هو القلم الذى كتب به اللوح المحفوظ وعن ابن عباس أول ماخلق الله القلم فقيل له اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض كذا ذكره الحدادى فى تفسيره (وما يسطرون) وما يكتب الحفظة الكرام من أعمال بنى آدم (ما أنت بنعمت ربك بمجنون) والمعنى ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة العقل والعامل فى الحال معنى النفى أى انتفى عنك الجنون منعما عليك قاله القاضى وقيل بمجنون والباء لاتمنع عن عمل ماقبله فيه لانها مزيدة قاله الزمخشرى وهذا الكلام جواب القسم أقسم الله بالنون والقلم وما يسطرون على أن محمدا عليه السلام منعم عليه بالنبوة وحصافة العقل وليس بمجنون ومجموع النظم جواب لمقالة كفار قريش يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك لاجرا) على الاحتمال أو الابلاغ (غير ممنون) غير مقطوع (وانك لعلى خلق عظيم) ووقع فى أول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم كذا فى المواهب اللدنية والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة قيل فى وجه عظم خلقه اذ

انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وأدعاهم للفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم اللقاء الدائم والنعيم السرمدى فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا لما قدمنا فى أول الكتاب من صحيح الآثار وعادة وجبلة لما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان والامتنان فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة أو مرتين معروفا واستنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذى بها قليل منقطع فمن منحه مالا يبيد من النعيم ووقاه مالا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب فاذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاض بعيد الدار لما شاع من علمه وكرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد ذكر عن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم انه كان لا يصرف بصره عنه محبة له صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) فى معنى النصيحة

يحتمل من قومه مالا يحتمله أمثاله ويقال فى وجهه ماروى انه قال سعد بن هشام قلت لعائشة أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فانه كان خلق النبى عليه السلام (أقول) فمن يكون أعظم خلقا ممن يكون خلقه القرآن وروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله مادعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك ولهذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ويقال لما اجتمع فيه من خصال الكمال ما كان متفرقا فى جميع الانبياء قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ويقال انه عرض عليه مفاتيح الارض فلم يقبلها وليلة المعراج رأى جميع الملائكة والجنة وغير ذلك من عجائب القدرة فلم يلتفت ﷺ قال تعالى مازاغ البصر وماطغى فلهذا وصفه الله بهذا الوصف العظيم ويقال لعلى خلق عظيم لابالبلايا ينحرف ولابالعطايا ينصرف احتمل الاذى وشج رأسه ووجهه وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون ويقال عله الله محاسن الاخلاق بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال لجبريل عماذا يامرنى ربى فقال بمحاسن الاخلاق يقول صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وأدب بهذا فاثنى عليه وانك لعلى خلق عظيم ويقال اذا كان غدا فكل يقول نفسى نفسى وأنت تقول أمتى فهذا كان خلقه العظيم (أقول) بلطفه تعالى وفى قوله سبحانه وانك لعلى خلق عظيم مبالغة فى تعظيم خلقه وهى ان الله تعالى أكده بان وباللام وبالعظمة وأيضا كلمة على تدل على انه عليه السلام استولى على الخلق العظيم وتملكه ولك أن تقول هذه الوجوه كلها موجودة فى رسول الله فيمكن أن يقال خلقه العظيم مجموع هذه الامور (فستبصر ويبصرون بايكم المفتون) أيكم الذى فتن بالجنون فالباء مزيدة (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) وهو المجنون على الحقيقة (وهو أعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلا تطع المكذبين) للتهييج على عصيانهم (ودوا لو تدهن) بان تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك (فيدهنون) بترك الطعن والمواقعة (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) حقير الرأى (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير معتد) متجاوز فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ماعد مثالبه (زنيم) الملصق بالقوم وليس منهم قيل هو الوليد بن المغيرة ادّعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده ولا يخفى مافى هذه الآيات من اعظام الحبيب واكرامه عليه السلام كما شهد بهما الآيات بينها الامام العلامة المحدث المحقق القاضى عياض فى الشفاء حيث قال أقسم الله عما أقسم من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم به وأنسه وبسط أمله بقوله تعالى محسنا خطابه ماأنت بنعمت ربك بمجنون الى آخره وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة وأعلى درجات الآداب فى المحاورة ثم أعلمه بماله عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لايأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال تعالى وان لك لاجرا غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفى التأكيد فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الواسطى أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر للخير وهدى اليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ماأغمر نواله وأوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعدهم به من

عقابهم

قال الامام أبو سليمان البستى النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها فى اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر بن أبى اسحق الخفاف النصح فعل الشئ الذى به الصلاح والملاءمة مأخوذة من النصاح وهو الخيط الذى يخاط به الثوب وقال أبو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لايجوز عليه والرغبة فى محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص فى عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله عليه السلام التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمان قال أبو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه وآدابه الجميلة وقال أبو

عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متواليا ذلك بفضله ومنتصر النبيه صلوات الله عليه وسلامه فذكر عشر خصال من خصال الذم فيه بقوله تعالى فلا تطع المكذبين الى قوله أساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت فى ديوان مجده انتهى وما ذكرناه نقلا عن صاحب القاموس من ان قوله تعالى ن قسم من الله تعالى بنون جمال الحبيب عليه السلام فى غاية التعظيم ونهاية التبجيل مع ان فى مطلق القسم لاجله عليه السلام اكراما بليغا منه تعالى له وهذا زيادة على ماذكره القاضى رحمه الله من الفضائل البديعة

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك يامن هديتنا لهذا ونسألك ان تلحقنا بحبيبك يامولانا ونرجو منك ان تصلى عليه مادعاك موحدونا جالك ۞ (المدحة التى فى سورة الحاقة) ۞ قال تعالى وتبارك (فلا أقسم) معناه أقسم فلا زائدة وقيل نافية كأنه قال لا أقسم على ان القرآن قول رسول كريم يعنى انه لوضوحه يستغنى عن القسم (بما تبصرون ومالا تبصرون) يعم جميع الاشياء لانها لاتخرج من قسمين مبصر وغير مبصر فقيل الخالق والخلق والدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والنعم الظاهرة والباطنة كذا ذكره الامام الرازى (انه) أى القرآن (لقول رسول) الاضافة لادنى ملابسة بمعنى انه هو الذى أظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته (كريم) على الله تعالى وهو محمد عليه السلام والكريم من أسماء حبيب الله سماه به مولاه واشتق له من اسم ذى الجلال والاكرام ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه بالنسبة الى كونه اسما لنبينا عليه السلام البديع الحسن فى ذاته وصفاته وأفعاله ويحتمل غير ذلك كذا فى تذكرة المحبين فى أسماء سيد المرسلين (وماهو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ماتؤمنون) تصدقون تصديقا فما زائدة جىء بها للتأكيد وبكلمة قليلا لنفى التصديق أصلا والعرب يقولون قلما تأتينا يريدون لاتأتينا فالمعنى لا يؤمنون أصلا (ولا بقول كاهن) كما تزعمون أخرى (قليلا ماتذكرون) والكلام فيه كالكلام فى قوله قليلا ماتؤمنون (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل عليه السلام (أقول) ففيها من آيات مجده ومن امارات ثنائه عليه عليه الصلاة ومن علامات علو أمره مالا يخفى حيث أقسم الحق سبحانه بجميع الاشياء ان ماأتى به النبى عليه السلام لقول كريم منزه عما ينسبونه اليه وذلك تنويه لامره وأيضا فى اضافة قوله سبحانه اليه عليه السلام مافيه من السر العظيم فى تعظيم حاله الفخيم وأثنى الله على حبيبه عليه الصلوات بأنه كريم مع مافى تنكير الرسول من التفخيم وذلك تمجيد وثناء منه سبحانه لحبيبه ويقال وهبه اسما من أسمائه وهو الكريم كما وهبه أسماء آخر مر بيانها وكل ذلك من آثار محبته سبحانه له واكرامه اياه

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده سبحانه ونرجو منه احسانه وصلى الله على حبيبه وعظم شانه ووفر عليه رضوانه ۞ (المدحة المتعلقة فى سورة المعارج) ۞ قال الله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) أى دعا داع بعذاب واقع لامحالة سواء طلب أو لم يطلب لان ذلك العذاب نازل بالكافرين فى الآخرة وقد وقع بالسائل فى الدنيا فانه قتل يوم بدر والباء فى بعذاب زائدة تقديره عذابا

ابراهيم اسحق التجيبى نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله تعالى والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر الآجرى وغيره والنصح له يقتضى نصحين نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح أصحابه له والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه فى شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ماذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها وأما النصح لائمة

واقعاو بيان ذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم والرسول عليه السلام استعجل بعذاب فانزل الله هذه الآية (للكافرين) صفة أخرى لعذاب (ليس له دافع) صفة أخرى أيضا (من الله) من جهته لتعلق ارادته به (ذى المعارج) ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم أو فى دار ثوابهم أو السموات فان الملائكة يعرجون فيها (تعرج الملائكة والروح اليه) الى أعلى المعارج ومنتهاها وحيث يهبط منه أوامره (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعدها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى العرش فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعها الانسان فيها لو فرض لان بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره ألف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا كذا ذكره البيضاوى ومراده من هذا الكلام ان كون مقدار المعارج خمسين ألف سنة بحسب الاستعارة والتخييل والا ففى الحقيقة أقل منها كما بينه (أقول) يرد عليه انه ثبت فى الاحاديث ان فيما بين السماء السابعة وبين العرش سبعين حجابا أو أكثر وما بين كل حجاب ألف سنة مع ثخنه فعلى هذا لا يكون ما بين المعارج أقل مما ذكر فتأمل (فاصبر صبرا جميلا) لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان استهزاء فالمعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (أقول) هذه الآية الكريمة مشيرة الى تسليته عليه السلام ولقد علمت كرارا ومرارا ان تسليته سبحانه مما يعظم شأنه عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) أحمدك وأنت الملك الاله وأترقب منه كل ما أتمناه وأصلى على حبيبه ومن والاه ﴿(المدحة المودعة فى سورة نوح عليه السلام)﴾ قال الله تعالى (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل) بان أنذر أى بانذار (أن يأتيهم عذاب أليم) الى آخر السورة والمراد من العذاب الاليم عذاب الآخرة أو الطوفان (أقول) المراد من اقتصاص هذه القصة على النبى صلى الله عليه وسلم تطييب قلبه الكريم كما قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فمن هذا الوجه اشتملت هذه القصة الكريمة على تسليته وتطييبه عليه السلام وذلك شرف عظيم

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده على بره وافضاله ونصلى على حبيبه وآله ﴿(المدحة التى فى سورة الجن)﴾ قال الله تعالى (قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن) والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها (فقالوا انا سمعنا قرآنا) كتابا (عجبا يهدى الى الرشد) بديعا مباينا لكلام الخلق وهو مصدر وصف به للمبالغة (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد اعلم ان هذه السورة الجليلة تحكى عن فضل

المسلمين فطاعتهم فى الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم اياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم فى أمر دينهم ودنياهم بالفعل والقول وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

(فصل) فى علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم

اعلم ان من أحب شيأ آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا فى حبه وكان مدعيا فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأحواله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه فى عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قول الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار

رسول الله على سائر أنبياء الله لما ثبت ان البعثة الى الجن من خواص حبيب الله وكثرة التابعين تدل على فضيلة المتبوع كما مر تفاصيله

(بسم الله الرحمن الرحيم) أحمده قاصدا رضاه وأصلى على حبيبه ومجتباه ۞ (المدحة المذكورة فى سورة المزمل) ۞ قال الله تعالى (يا أيها المزمل) من زمل بثيابه اذا تلفف بها أصله المتزمل ادغمت التاء فى الزاى قال قتادة وكان مزملا فى ثيابه للصلاة واستعد فنودى على معنى يا أيها المستعد للعبادة المتزمل لها وهذا القول مدح له صلى الله عليه وسلم كذا فى تفسير ابن عطية قال فى تذكرة المحبين المزمل من أسمائه صلى الله عليه وسلم ورد به القرآن العظيم وقد قال صلى الله عليه وسلم لى عشرة أسماء عد منها المزمل (قم الليل) أى داوم على الصلوات فيه ويقال ليسكن الكل ولتقم أنت ويقال لما فرض الله عليه القيام بالليل أخبر من نفسه لاجل أمته اكراما لشأنه وقدره انه ينزل الى السماء الدنيا الحديث كذا فى الاشارات القشيرية (الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص منه كالثلث (ورتل القرآن ترتيلا) أى بينه بيانا واقرأه قراءة بينة كذا فى تفسير الحدادى (أقول) فالآية الجليلة قد حكت عن مدح الحبيب وثنائه عليه الصلوات والتحيات كما بينته فى تفصيل الآيات وأيضا نداؤه عليه السلام باللقب الدال على المدح مما ينبئ عن الفضل العظيم كما مر غير مرة من ان هذه المعاملة من خواصه عليه السلام ۞ قال تعالى (انا أرسلنا اليكم رسولا) يا أهل مكة والظاهر ان تنكير الرسول للتعظيم (شاهدا عليكم) يوم القيامة بالاجابة والامتناع وهذه الصفة من نعوته العالية الخاصة به عليه السلام (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى (فعصى فرعون الرسول) عرفه لسبق ذكره (فأخذناه أخذا وبيلا) أى ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ففيه تفخيم للحبيب عليه الصلوات حيث عظمه وذكره بالوصف الجميل صلوات الله وسلامه عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله والصلاة على مصطفاه ۞ (المدحة المتعلقة بسورة المدثر) ۞ قال الله تعالى (يا أيها المدثر) أصله المتدثر أدغمت التاء فى الدال لقرب مخرجيهما وهو فى الاصل لابس الدثار ما فوق الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد ثم استعمل ههنا بطريق الاستعارة فى المدثر بدثار النبوة والشرف والاصطفاء من قولهم ألبسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم ويقال فلان تلبس بأمر فالمراد يا أيها المدثر بأثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة والمدثر من أسمائه عليه السلام (قم فأنذر) الخلائق أجمعين (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقلا وقولا فتضمنت الآية الكريمة من تعظيمه عليه الصلوات ما لا يخفى حيث ناداه الله سبحانه بأشرف ما به النداء وبالكلام الدال على انه هو المصطفى

(بسم الله الرحمن الرحيم) له الحمد فى الاولى والآخرة وعلى حبيبه الصلوات الفاخرة ۞ (المدحة العالية فى سورة القيامة) ۞ قال تعالى (لا تحرك) يا محمد (به) بالقرآن (لسانك) قبل أن يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجلة مخافة أن يتفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى (فاذا قرأناه) أى القرآن (فاتبع قرآنه) قراءته وكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان ما اشكل عليك من معانيه (أقول) ففيه

والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد فى رضا الله تعالى خرج الترمذى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لاحد فافعل وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن خالفها فى بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذى حده فى الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يأتى به فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيأ أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفى حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه

من تنويه أمره واعلاء قدره حيث أضاف قراءة جبريل عليه السلام الى ذاته الكريم فقال فاذا قرأناه فاتبع قرآنه وذلك يدل على عظمة القارئ التابع للقراءة عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده على آلائه ونشكره على نعمائه ونصلي على حبيبه وعترته وآله ۞ (المدحة النفيسة في سورة الانسان) ۞ قال تعالى (ان الابرار) جمع بر كارباب أو بار كاشهاد (يشربون من كأس) من خمر وهو في الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ماتمزج به (كافورا) لبرده وعذوبته (عينا) منصوب بفعل يفسره مابعده على بعض الوجوه (يشرب بها عباد الله) يشرب بها أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أى يفجرون تلك العين ويسوقونها الى حيث شاؤا لمن دونهم من أهل الجنة بخلاف عيون الدنيا وأنهارها (يوفون بالنذر) يعنى الابرار ومعنى الوفاء بالنذر الاتيان بما عهد به (ويخافون) أى الابرار (يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار (ويطعمون) أى الابرار (الطعام على حبه) حب الله (مسكينا ويتيما وأسيرا) أى الاسير الكافر أو الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال ازالة لتوهم المن والمكافأة المنقصة للاجر وعن مجاهد وسعيد بن جبير انهم ما تكلموا به ولكن علم الله منهم ذلك فكشف عن اعتقادهم وصحة نيتهم (لانريد منكم جزاء ولا شكورا) شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا قمطريرا) تعبس فيه الوجوه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات بستانا يأكلون منه وحريرا يلبسونه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله فى ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علىٌّ وفاطمة وفضة جارية لهما ان شفاهما الله أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض علىٌّ من شمعون الخيبرى ثلاثة آصع من شعير فطحنت فاطمة صاعا وخبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صائمين فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم فوقف عليهم يتيم فآثروه وجاءهم أسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على رضى الله عنه بيد الحسن والحسين رضى الله عنهما ودخلوا على الرسول فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك اعلم حشرنى الله سبحانه واياكم فى زمرتهم ان هذه السورة الكريمة دالة على فضيلة رسول رب العالمين وكمال قربه من رحمة خالق الثقلين لان شرف أهل البيت من كمال شرفه عليه السلام يرشدك اليه الحديث المروى عن ابن عباس فى سبب النزول ويقال ان فى هذا زيادة تطييب لقلب الحبيب عليه الصلوات وذلك وجه آخر فى الفضل المنيف

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الواهب المالك الباقى وجهه وكل ما سواه هالك والصلاة

ومن ذلك قال عمار قيل قتله ومن علامته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار التخشع والانكسار مع سماع اسمه الكريم وقال اسحق التجيبى كان أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعده لايذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيأ أحب من يحبه وقد قال عليه السلام فى الحسن والحسين اللهم انى أحبهما فأحبهما وفى رواية فى الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله تعالى وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن

على

على حبيبه الواجد وخليله الماجد ۞ (المدحة الشريفة فى سورة المرسلات) ۞ قال الله تعالى (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) أقسم الله تعالى بآيات القرآن المرسلة بكل معروف الى محمد عليه السلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن أثر ذلك فى جميع الاعضاء وفرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرين كل شئ هالكا الا وجهه فالقين ذكر الله بحيث لا يكون فى القلوب والالسنة الا ذكر الله (عذرا) محاء للاساءة من المحقين (أونذرا) تخويفا للمبطلين فيكون نصبهما على العلة (انما توعدون لواقع) جواب قسم ومعناه ان الذى توعدون به من مجئ القيامة كائن لا محالة (أقول) فعلى التفسير الاول تنويه أمر الحبيب وتشريف قدره ظاهر حيث خلع الله تعالى عليه بهذه الخلعة الفاخرة المنعوتة بهذه النعوت المقسم بها وكلما كان الخلعة أشرف كان صاحبها كذلك والتفسير الثانى قسم من الله سبحانه على النفوس الكاملة ولا شك ان هذا القسم وارد على حبيب الله أولا وبالذات بخلاف سائر الانبياء

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد للمنعم الذى احسانه عم طوبى لمن من روائح وصله شم والصلاة على خير الرسل وأفضل من أم ۞ (المدحة التى فى سورة عم) ۞ قال الله تعالى (عم يتساءلون) أصله عما حذفت الالف لان اثباتها مع حرف الجر فى الاستفهامية لغة قليلة ومعنى هذا الاستفهام مع انه سبحانه منزه عنه تفخيم شأن السبب وانه بلغ الغاية فى العظم بحيث خفى جنسه اذ لا اثم أعظم من الاستهزاء بخير سيد المرسلين كأنه لفخامته وعظمه خفى جنسه فيسئل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون الرسول عليه السلام عنه استهزاء (عن النبأ العظيم) عن الوحى العظيم وهو البعث وهو صلة يتساءلون وعم يتعلق بمضمر مفسر به (الذى هم فيه مختلفون) بجزم النفى والشك (كلا) ردع عن التساؤل بطريق الاستهزاء ووعيد عليه (سيعلمون ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثانى أشد اعلم وفقنى الله واياك وجعل الجنة مأواى ومأواك ان هذه الآية الكريمة مشعرة بتنويه أمر الحبيب عليه الصلاة والسلام واعلاء قدره حيث فخم أمره أعنى سؤالهم عنه بطريق الاستهزاء وأوعد عليه كما بين فى تفسير الآية الجليلة ۞ قال تعالى (يوم يقوم الروح) قال ابن زيد سمعت أبى يقول هو القرآن ۞ قال تعالى وأوحينا اليك روحا من أمرنا كذا فى تفسير ابن عطية (والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) أى حقا فى الدنيا وقيل قال لا اله الا الله (أقول) ففيهما ما يشعر بعلو حال الحبيب عليه الصلاة والسلام حيث جعل كتابه يوم القيامة بين يدى رب العالمين فى زمرة الارواح بخلاف كتب سائر المرسلين وفيه ما فيه من التبجيل

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك اللهم على آلائك ونصلى على سيد أنبيائك ۞ (المدحة اللطيفة فى سورة النازعات) ۞ قال تعالى (والنازعات غرقا) قال صاحب القاموس فى لطائف التنزيل ان هذا قسم من الله سبحانه بنزع غزاة حبيبه محمد عليه السلام أقواسهم فيتضمن من

آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه وقال فى فاطمة رضى الله تعالى عنها انها بضعة منى يغضبنى ما يغضبها وقال لعائشة رضى الله تعالى عنها فى أسامة بن زيد أحببه فانى أحبه قال القاضى عياض رحمه الله تعالى فبالحقيقة من أحب شيأ أحب كل شئ يحبه وهذه سيرة السلف حتى فى المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس رضى الله عنه حين رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبع الدباء من حوالى القصعة فما زلت أحب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها بغض من أبغض الله تعالى ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع فى دينه واستثقال كل أمر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم

تعظيم شأنه مالايخفى ۞ قال تعالى (هل أتاك حديث موسى) أليس قد أتاك حديثه فيسليك على
تكذيب قومك (اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى) ظرف للحديث وطوى اسم موضع بالشام
وفيه الطور الاحتمال الظاهر أن يكون عطف بيان بالوادى المقدس قال الحسن ثبت فيه البركة
والتقدس مرتين (اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول (فقل هل لك الى أن تزكى)
هل لك ميل الى أن تطهر من الكفر والطغيان (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفته
(فتخشى) باداء الواجبات وترك المحرمات والخشية تكون بعد المعرفة ولقد عرفنا لك فى صدر
القصة ان هذه تسلية لقلب الحبيب عليه الصلوات وفى ذلك تنويه فضل نبينا عليه السلام
(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك اللهم راجين ان تجعلنا من أهل خشيتك وان تدخلنا فى
زمرة أصحاب رهبتك وان تصلى على سيدنا ونبينا خير بريتك ۞ (المدحة الجليلة فى سورة عبس)
۞ قال تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) روى ان ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك
ولم يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس وأعرض فنزلت فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على
المدينة مرتين وان جاءه مفعول له لتولى أو عبس على اختلاف المذهبين وذكر الاعمى للاشعار
بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله بالقول (وما يدريك لعله يزكى) وأى شئ يجعلك داريا
بحاله لعله يتطهر من الآثام ببركة تعليمك اياه وفيه ايماء بان اعراضه عليه السلام كان لتزكية غيره
فيكون تلقينا للحبيب عذره فى الاعراض (أو يذكر فتنفعه الذكرى) أو يتعظ فتنفعه موعظتك
(أقول) ففيها من حسن المعاملة والمجاملة والرعاية بحال الحبيب حيث لقن عذره وترك المشافهة
بالخطاب فى العتاب لئلا يباشره العتب اشارة الى ان حال الحبيب تقتضى البراءة عنه كما يقول المحب
فينا اذا عاتب الحبيب انه فعل كذا وكذا ولم يعاتبه بالخطاب هذا ما ألهمنى به ربى خلافا لمن زعم
فى ترك الخطاب عكس ماذكرناه
(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك يامن يرحم المذنبين على ما كان فيهم ونصلى على قائدهم
وشفيعهم ۞ (المدحة الحسنى فى سورة التكوير) ۞ قال تعالى (فلا أقسم بالخنس) أى
أقسم بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماسوى النيرين من السيارات ولذلك
وصفها بقوله (الجوار الكنس) السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش
اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر (والليل اذا عسعس) أقبل ظلامه أو أدبر
وهو من الالفاظ المستعملة فى الاضداد (والصبح اذا تنفس) أى ظهر عبر عنه بالتنفس لانه يظهر
فى أول اقباله روح ونسيم خصوصا للمحبين فجعل ذلك نفساله (انه) أى القرآن (لقول رسول
كريم) أى عند مرسله وفى لفظ الرسول اشارة الى ان الاضافة لادنى ملابسة قال ابن عيسى وغيره
الرسول الكريم هو محمد عليه السلام فجميع الاوصاف بعده على هذا له (ذى قوة عند ذى
العرش) على تبليغ ما حمله من الوحى (مكين) أى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده
(مطاع) الظاهر ان المراد انه مطاع فى قبول شفاعته (ثم أمين) فى السماء أمين على الوحى (وما
صاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة (ولقد رآه) أى رأى محمد ربه (بالافق المبين) بالنسبة الى

فى مرضاته وقال له عبد الله
ابن عبد الله بن أبى لو شئت
أتيتك برأسه يعنى اباه ومنها
ان يحب القرآن الذى أتى
به صلى الله تعالى عليه وسلم
وهدى به واهتدى وتخلق
به حتى قالت عائشة رضى
الله تعالى عنها كان خلقه
القرآن وحبه للقرآن تلاوته
وتفهمه والعمل به ويحب
سنته ويقف عند حدودها
قال سهل بن عبد الله علامة
حب الله حب القرآن وعلامة
حب الله وحب القرآن حب
النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وعلامة حب السنة
حب الآخرة وعلامة حب
الآخرة بغض الدنيا وعلامة
بغض الدنيا أن لايدخر منها
الازادا وبلغة الى الآخرة
وقال ابن مسعود لا يسأل
أحد عن نفسه الا القرآن
فان كان يحب القرآن فهو
يحب الله ورسوله ومن علامة
حبه للنبى صلى الله عليه
وسلم شفقته على أمته ونصحه
لهم وسعيه فى مصالحهم
ودفع المضار عنهم كما كان
عليه السلام بالمؤمنين رؤفا
رحيما ومن علامة تمام
محبته زهد مدعيها فى الدنيا
وايثاره الفقر واتصافه به وقد
قال عليه السلام لابى سعيد
الخدرى ان الفقر الى من
يحبنى منكم أسرع من

الرائى (وماهو) أى محمد (على الغيب) مايخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة (وماهو بقول شيطان رجيم) نفى لقولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهبون (ان هو الا ذكر للعالمين) ماهو الا ذكر للعالمين (لمن شاء منكم أن يستقيم) بتحرى الحق والصواب وهو بدل من العالمين وابداله منهم لانهم المنتفعون بالتذكير (وماتشاؤن) أى الاستقامة (الا أن يشاء الله) الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم (رب العالمين) مالك الخلق كلهم اعلم ان الحق سبحانه ذكر فى هذه السورة الكريمة لحبيبه عليه السلام من نعوت الفضل والمدح والكمال حيث وصفه بالكريم وهو من الاسماء الالهية الموهوبة للحبيب عليه السلام وبانه ذو قوة وأنه أمين ومطاع وانه رأى ربه وغير ذلك من التنزيهات ولو لم يكن الا نعت الرؤية لكفى به فضلا منيفا على سائر الانبياء والمرسلين

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الكريم والصلاة على حبيبه الامين المبعوث رحمة للعالمين ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الانفطار) ۞ قال تعالى (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم) قال الكلبى نزلت فى أبى الاشد بن شريق ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله فانزل الله تعالى هذه الآية (أقول) بالنظر الى سبب نزولها يحتمل ويلتئم جدا أن يقال فى معناها أى شئ أمنك من عقاب ربك الكريم حتى جرأك على ضرب حبيبه وأكرم مخلوقاته وقلت ذلك على وجه الاحتمال وان لم أجده فيما عندى من كتب أهل المقال والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل (الذى خلقك فسواك) فى بطن أمك باليدين والرجلين وسائر الاعضاء لم يخلقها متفاوتة ولو كان خلق احد العضوين أطول من الآخر لم يكمل لك منفعتك (فعدلك) أى صرفك وأمالك الى أى صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا (فى أى صورة ماشاء ركبك) قال مجاهد والكلبى ومقاتل فى أى شبه من أب أو أم أو خال او عم أى ركبك فى صورة يشاؤها من شبه هؤلاء فما زائدة للتأكيد (كلا) ردع عن الاغترار (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ماهو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء أو الاسلام (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لما يكذبون به ولما يتوقعون من التسامح والاهمال (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيها (أقول) لو تأملت فيها لوجدتها مشيرة الى تنويه أمر الحبيب واعلاء قدره حيث وبخ الله تعالى لمن بلغه أذاه بانواعه وأوعده باصنافه مع الاشارة الى علو درجات الخليل والتنبيه الى جحيم عدوه وحميه وخلوده فيهما وغير ذلك من الاشفاق والبر يظهر بالتأمل فيما قررناه

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك اللهم يامجيب السائلين أسألك أن تلحقنا بالصالحين ونصلى على سيد الانبياء والمرسلين ۞ (المدحة العلية فى سورة المطففين) ۞ قال تعالى (ان الابرار لفى نعيم على الارائك) على الاسرة فى الحجال (ينظرون) مايسرهم من النعيم والمتفرجات (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة النعيم وبريقه والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (أقول) وخطابه عليه السلام بانك تعرف فى وجوه الابرار نضرة النعيم يشير الى ان له عليه السلام نعيما

السيل من أعلى الوادى أو الجبل الى أسفله

(فصل) ومن علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيمه وتوقيره واجلاله خرج مسلم عن ابن شماسة المهدى قال حضرنا عمرو بن العاصى فذكر حديثا طويلا عن عمرو قال وما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق ان أملا عينى منه اجلالا له ولو شئت ان أصفه ما أطقت لانى لم أكن أملا عينى منه وروى اسامة بن شريك أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له مارأى وأنه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوأه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال فلما

ومراتب غيرهم راتب الابرار بحيث لا تكتنه تأمل (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين أو الذي له ختام أي مقطع هو رائحة المسك (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون في القرب والطاعات (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عينا على المدح أو على الحال من تسنيم (ان الذين أجرموا) رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مروا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين) متلذذين بالسخرية منهم (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما أرسلوا عليهم حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم مغلولين في النار (على الارائك ينظرون) حال من فاعل يضحكون (هل ثوب الكفار) هل أثيبوا (ما كانوا يفعلون) وذلك تسلية لرسول الله والمؤمنين (أقول) أشعرت الآيات بتفخيم حال سيد البريات حيث سلاه الله ومن تبعه بالانواع من الطيبات ووعد من تبعه باصناف الخيرات في الجنات العاليات واوعد من استهزأ بهم بصنوف العذاب في الدركات السفليات والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد سيد السادات وعلى آله وصحبه أصحاب الطاعات

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده ونشكره ونصلي على حبيبه ونسلم عليه وعلى آله وصحبه

۞ (المدحة السنية في سورة الانشقاق) ۞ قال تعالى (فلا أقسم بالشفق) أي أقسم بالبياض الذي بعد الحمرة وذلك عقيب غروب الشمس أو الحمرة قبله (والليل وما وسق) أي ما جمع من الذوات وغيرها أي وأقسم على ذلك (والقمر اذا اتسق) تم بدرا أي وأقسم على هذا وجواب القسم قوله (لتركبن طبقا عن طبق) خطاب للنبي عليه السلام أي لتركبن حالا شريفة ومرتبة بعد حال ومرتبة فيكون ذلك وعدا لمراتبه العالية في الآخرة أو طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج فيكون تبشيرا له عليه السلام (فما لهم لا يؤمنون) بك (أقول) بلطف الله تعالى والذي يظهر لي في هذا الكلام من التفخيم المنيف للحبيب النسيب لا يتم بالبيان ولا يستوفى بالتبيان حيث أقسم الله تعالى باشرف الاشياء بانك يا أسعد السعداء وأفضل الانبياء لتركبن مرتبة عالية بعد مرتبة شريفة وتوكيد الله سبحانه ما وعد حبيبه بالقسم يكشف عن وجه المحبة قناعها ويرفع من أستار الخلة مرخاتها ولا تخفى دقائقها البديعة لمتأمليها وأهلها

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله ذي الكرم والافضال والصلاة على حبيبه والعترة والآل

۞ (المدحة البهية في سورة البروج) ۞ قال الله تعالى (والسماء ذات البروج) وفيها وجوه أحدها انها هي البروج الاثنا عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجائب الحكم وثانيها ان البروج هي منازل القمر والحكمة في القسم بها لما فيها من سير القمر والحركة من الآثار العجيبة وثالثها ان البروج هي عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن ابن عباس انه قال الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا فكيف اذا

رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد وأصحابه ومن علامة محبته تعظيمه عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته قال ابراهيم التجيبي واجب متى ذكره أو ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله عز وجل به عن ابن حميد ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح فقال ان الذين يغضون أصواتهم الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال عبد العزيز بن يحيى الشاهد محمد والمشهود الله تعالى بيانه قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (قتل أصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل أي قتلهم النار وقيل المعنى على الدعاء أي لعن أصحاب الاخدود والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الاخدود وهي جمع الخد وهو الشق في الارض وتفصيله ماروي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان هذا الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وأرسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا وأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس فأمر باخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت (النار ذات الوقود) بدل من الاخدود قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين والذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذهم عليها قعود) أي عند النار جلوس لتعذيب المؤمنين قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود (وهم) أي الكفار الذين خدوا الاخدود (على ما يفعلون بالمؤمنين) من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا الى دينهم (شهود) أي شهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حتى تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم (وما نقموا) أي الملك وأصحابه (منهم) أي من المؤمنين أي وما أنكروا منهم وقيل ما علموا فيهم عيبا (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على نهج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تلام بنسيان الاحبة والوطن

(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما كان في الدنيا كما روي ان النار انقلبت عليهم وهم على الاخدود فاحرقتهم كما ذكرت آنفا (اقول) والذي يدل على فضله عليه السلام في هذه الآيات العظام قسم من الله تعالى بحبيبه على ان أعداءه هم الملعونون كما لعن أصحاب الاخدود وذلك ينقطع عند فهمه كل قلب ويتحير في دركه كل ذي لب (بسم الله الرحمن الرحيم) كيف أحمده على نعمه وليس لها انتهاء وكيف أشكره على آلائه وهي لا تنضبط بالاحصاء والصلاة على من خصه بالاصطفاء وشرفه بالاجتباء ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الطارق) ۞ قال تعالى (والسماء والطارق) وهو في الاصل لسالك الطريق (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) المضيء كأنه يثقب ظلام الضلالة بأنواره والمراد بالنجم الثاقب

فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية (فصل) ومن علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم ومناصحته له عليه السلام تعظيم آله وذريته وأزواجه وبرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كما حض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وسلكه السلف الصالح وقال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم الآية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله تعالى عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم معرفة مكانهم من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم لسببه وعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت انما يريد

محمد عليه السلام حكاه السلمي كما فسر النجم في سورة النجم به عليه السلام ولا يخفى ان النجم من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما بين في محل بيان أسمائه (ان كل نفس لما عليها حافظ) فان نافية ولما بمعنى الا أى ليس كل نفس الا عليها رقيب وهذا جواب القسم والذى يدل على شرف المصطفى وعلو جاه المقتدى فيها ان الله تعالى جده أقسم بحبيبه عليه الصلوات وشبهه بالنجم الثاقب المضئ المتلألئ وذلك مدح عظيم

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمد الحق مالك الافضال ونصلى على حبيبه والآل ﴿(المدحة المتعلقة بسورة الاعلى)﴾ قال تعالى (سنقرئك) سنجعلك قارئا بالهام القراءة (فلا تنسى) أصلا من قوة الحفظ مع انك أمى ليكون آية أخرى لك وجئ بنون العظمة مع اسناد الاقراء الى ذاته الكريم لتدل عظمة من له الاقراء على عظمة القارئ (الا ما شاء الله) نسيانه بان نسخ تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) ما ظهر من أحوالكم وما بطن (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحى أو التدين قال الامام الرازى انما قال ونيسرك لليسرى بنون العظمة لتكون عظمة المعطى دالة على عظمة العطاء ونظيره انا أنزلناه وانا أعطيناك الكوثر فدلت هذه الآية على انه فتح من أبواب اليسر والتسهيل ما لم يفتحه على أحد غيره وكيف لا وقد كان صبيا لا أب له ولا أم نشأ في قوم جهال ثم قال (فذكر ان نفعت الذكرى) قال البيضاوى ولعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه عليه السلام ويتلهف عليه (أقول) فنعم ما قال لكن انما يتجه اذا لم تكن هذه السورة من أوائل ما نزل وفيه تأمل فنقول بلطف الله تعالى لعلك حفظت ما تلونا عليك من تعظيم أمر الحبيب عليه السلام واعلاء شأنه الكريم حيث قلنا وجئ بنون العظمة مع اسناد الاقراء ليدل على عظمة القارئ وما ذكره الامام الرازى صريح فيما نحن فيه والنكتة المنقولة عن القاضى تدل على اشفاق الله سبحانه وبره على حبيبه على وفق ما ذكرنا في قوله تعالى لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وذلك أيضا تفخيم منيف

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده على نعمه ونعوذ به من نقمه والصلاة على صاحب محبته وعلى آله وعترته ﴿(المدحة الغالية في سورة الغاشية)﴾ لما ذكر الله تعالى الاحوال الرديئة للكفار واعداء حبيبه عليه السلام يوم القيامة توبيخا للاعداء وتخويفا لهم بقوله وجوه يومئذ خاشعة الى آخر الاحوال أى أصحاب الوجوه يومئذ ذليلة أردفه بالاحوال الطيبة العالية لاوليائه عليه السلام تطييبا لقلوبهم وتسكينا لما فيهم من أذى الكفار فقال ﴿(وجوه يومئذ ناعمة)﴾ ذات بهجة وحسن (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (في جنة عالية) علية المحل أى سقفها عرش الرحمن أو علية القدر (لا تسمع فيها لاغية) قال ابن عباس أى لا تسمع فيها كذبا ولا كفرا بالله تعالى وشتما (أقول) لعل هذا تسلية للحبيب عليه السلام عما يصيبه في هذه الدار أى لانك في جوار الله ودار مكرمته لا تسمع فيها الا الله وما يناسب بجلاله وجماله (فيها عين جارية) يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنوين للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) في الهواء وذلك لاجل أن يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما أعطاه الله تعالى في الجنة من النعيم والملك قال ابن عباس هي سرر ألواحها من ذهب مكللة من الزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء (وأكواب

موضوعة)

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك في بيت أم سلمة دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن أبى وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقال اللهم هؤلاء أهلى وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في على من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس اغد على يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال أيضا والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرابتى وقال صلى الله تعالى عليه

موضوعة) جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعات على حافات العين الجارية كلما اراد الشرب وجدها مملوأة من الشراب (ونمارق مصفوفة) واحدها نمرقة بضم النون أى الوسائد المصفوفة بعضها فى جنب بعض (وزرابى) وبسط فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة اعلم ان فيما ذكر من الآيات وفيها من التبشيرات لمن تبع محمدا عليه الصلوات تعظيمات وتكريمات لخير البريات

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده على ذاته وصفاته ونصلى على مفخر أنبيائه وسند هداته ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الفجر) ۞ قال الله تعالى (والفجر) أقسم الله تعالى بالفجر وما يليه من الامور المذكورة والمراد بالفجر محمد عليه السلام لان منه تفجر الايمان على ما قال ابن عطاء رحمه الله (وليال عشر) عشر ذى الحجة أو عشر رمضان الاخير (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق لقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد (والليل اذا يسر) يمضى والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة (هل فى ذلك) فيما ذكر (قسم) عظيم (لذى حجر) لذى عقل والاستفهام للتقرير أى للعقلاء كفاية فى القسم الذى أقسمت به وجواب القسم محذوف تقديره بنحو هذا انا قادرون على تعذيب المعاندين اعلم ان الله سبحانه أقسم بحبيبه وبجميع المخلوقات وأفرده من بينهم كأنه ليس من جنسهم هذا اذا كان المراد من الشفع المخلوقات مع ان مطلق القسم به تفخيم منيف فى حقه عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) حمدا لك على نعمائك وصلاة وسلاما على حبيبك وعلى آله أصحاب آلائك ۞ (المناقب الجلية التى فى سورة البلد) ۞ قال الله تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) قيل معناه لا أقسم به اذا لم تكن فيه أى بعد ما خرجت منه حكاه مكى فالمراد بالبلد مكة المشرفة (أقول) الظاهر ان قوله اذا لم تكن فيه مقدر وقوله وأنت حل بهذا البلد قال قتادة أنت حل أى لست تأثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة وأهلها له وما فتحت على أحد قبله فأحل ما شاء وحرم ما شاء وقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار الحديث وهو وعد بما أحل له عليه السلام يوم فتح مكة وتسلية له فيكون تقدير المقال والله أعلم بحقيقة الحال على هذا التفسير الذى صدر به الكلام لا أقسم بهذا البلد بعد ما خرجت منه لان شرفه بشرفك لكن بعد ما خرجت تعود اليه والحال حلال لك ما فعلت فيه مع انه لم يحل لاحد قبلك ولا يحل لاحد بعدك فيكون فى الكلام تشريف على تشريف فالله سبحانه أعلم بمراده قال فى التفسير الكبير فان قيل ان هذه السورة مكية وقوله وأنت حل اخبار عن الحال والواقعة التى ذكرتم انما وقعت بعد هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين قلنا قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وكما اذا قلت لمن تعده الاكرام والحباء أنت مكرم ومحبو وهذا أمر الله أحسن لان المستقبل كالحاضر انتهى (أقول) والكلام بعد محل اشكال لكن بما قرر لا يرد هذا الاشكال أصلا تأمل فيهما حتى يظهر لك ما فيهما وقال القاضى فى تفسير الآية أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه

وسلم من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأبيهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وقال عليه السلام من أهان قريشا أهانه الله تعالى وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وعن عقبة بن الحرث رأيت أبا بكر وجعل الحسن على عنقه وهو يقول

بابى شبيه بالنبى
ليس شبيها بعلى

وعلى يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسين أنه قال أتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة فارسل الىّ أو اكتب الىّ فانى استحى من الله تعالى ان أراك على بابى قال الاوزاعى دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبه وابن حبه على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه فى ثيابه ومشى بها حتى أجلسها فى مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام من سريره وتلقاه وقبل بين عينيه

اظهار المزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله انتهى فعلى هذا تكون لا زائدة لا نافية وقوله وأنت حل بهذا البلد حال من المقسم به والحل يكون من الحلول لا من الحلال كما فى التفسير الاول فلا اشكال كما فى الاول وذكر فى المواهب اللدنية ان عمر بن الخطاب قال للنبى صلى الله عليه وسلم ولقد بلغ من فضيلتك عند الله ان أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد وقد مر ذلك فى سورة الحجرة امل (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد ابراهيم عليه السلام (وماولد) أى محمد عليه السلام (أقول) الظاهر ان تقديم الوالد على هذا المولود الكريم باعتبار تقدم اقتضاه لفظهما والافذلك المولود مقدم بالتقدم الوجودى والشرفى وهذا من الملهمات بعناية رب البريات فتضمنت السورة القسم به عليه السلام فى موضعين كذا قيل الظاهر ان الاول فى قسمه بالبلد الحرام لانه لما قيده بحلوله عليه السلام فيه فكأنه أقسم به عليه السلام والموضع الآخر قوله تعالى وماولد (لقد خلقنا الانسان فى كبد) تعب ومشقة والانسان لا يزال فى شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت والقبر وظلمته وحفرته واعلم ان الحق تعالى جده أبان فضل حبيبه فى هذه السورة الكريمة غاية البيان وأعلنه للخلائق غاية الاعلان أما على التفسير الاول فلانه قال لا أقسم بالبلد الحرام اذا خرجت عنه مع انه أكرم البقاع اليه بل القسم به مادمت فيه وذلك شرف ينقطع فى فهمه نياط القلب وأما على التفسير الثانى فكذلك لانه تعالى أقسم بالبلد الحرام وقيده بحلوله فيه فكأنه أقسم بمكانه عليه السلام وايضا أقسم به عليه السلام وبوالده بقوله ووالد فتضمن السورة القسمين به عليه السلام والقسم بوالده وهو أيضا من شرفه ودقائق مافيها من الاجلال لا تخفى على ذوى الافهام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله أهل الآلاء والصلاة على حبيبه أهل النعماء ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الشمس) ۞ قال تعالى (والشمس وضحاها) أقسم الله سبحانه بالشمس وما يتلوها من الامور لكونها آيات دالة على وجود الصانع تعالى (والقمر اذا تلاها) تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر قال صاحب القاموس فى بصائر ذوى التمييز ان قوله تعالى والشمس وضحاها اقسم من الله تعالى بدين حبيبه محمد عليه السلام وانتشار شرعه فلا يخفى مافيه من الاجلال وقوله والقمر اذا تلاها قسم منه تعالى لسناء سنة حبيبه عليه السلام ففيه من اعظام أمره مالا يخفى (والنهار اذا جلاها) أى الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها فان الامور المذكورة تنجلى به (والليل اذا يغشاها) فيغطى ضوءها الآفاق أو الارض ويقال فى قسمه سبحانه بالليل نكتة زائدة على نكتة العامة وهى انه تعالى أقسم بالليل لتشرفه بصحبة الاحباب لاسيما بصحبة الحبيب حتى قيل لما قال تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الآية حزن الليل على محو الآية ثم قيل له أما ترضى أن يطلع فيك شمس الشموس وبدر البدور وشارح الصدور وحبيب الخبير العليم بما فى الصدور الى جناب ربه الخلاق للرؤية والمكالمة والتلاق فرضى الليل كل الرضا العلمه ان شمسه أنور وبدره أزهر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (والسماء وما بناها) ومن بناها (والارض وماطحاها) ومن طحاها أى بسطها على الارض (ونفس وما سواها) ومن سواها باليدين والرجلين والعينين وسائر الحواس (فألهمها فجورها وتقواها) والمراد نفس آدم والهام فجورها وتقواها افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من

وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا لما ضرب به جعفر بن سليمن ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه ودخل عليه الناس وأفاق وقال أشهدكم انى جعلته فى حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبى صلى الله عليه وسلم فاستحى منه أن يدخل بعض آله النار بسببى وقيل ان المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها صوت من جسمى الا وقد جعلته فى حل لقرابة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) من علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم توقير أصحابه وبرهم ومحبتهم وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة حبيبه وأعلمهم بخيريتهم فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ومعرفة حقهم والاقتداء بهم والثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعة القادحين فى أحد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم

الاتيان بهما (قد أفلح من زكاها) أى النفس بالايمان بالله وبمتابعة الرسول (وقد خاب من دساها) وقد خسر من نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق قيل هذا جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقيل محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيب صالح (أقول) ففيها من اعلاء أمر الحبيب من جهة ان الله سبحانه أقسم بأنواع الاقسام على انه يدمدم على من كذب حبيبه عليه السلام ومن جهة ما ذكرت من النكتة فى القسم بالليل

(بسم الله الرحمن الرحيم) له الحمد فى الاولى والعقبى والصلاة على حبيبه المجتبى ۞ (المدحة المتعلقة بسورة الليل) ۞ قال تعالى (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى) قال صاحب القاموس فى لطائف التنزيل ان هذا اقسم من الله تعالى بليل حبيبه محمد عليه السلام ونهاره فما فيه من الاجلال والاكرام لايخفى على ذوى البصائر والتميز ۞ قال تعالى (فانذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يلزمها مقاسيا شدتها (الا الاشقى الذى كذب وتولى) كذب بالحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها) سيباعد عنها (الاتقى الذى يؤتى ماله) يصرف فى مصارف الخير (يتزكى) فانه بدل من يؤتى أو حال من فاعله (ومالاحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد باتيانه مجازاته (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع أو متصل عن محذوف مثل لايؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأت نعمه (ولسوف يرضى) وعد للاتقى بالثواب الذى يرضيه والآيات نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف (أقول) ففيها فضيلة عظيمة لابى بكر الصديق رضى الله عنه حتى سمى هذه السورة بسورة أبى بكر غير انها مشعرة بفضيلة النبى عليه السلام لان أبا بكر الصديق انما اكتسب هذه الفضيلة من شرف متابعة النبى عليه السلام ولاشك ان شرف التابع بشرف المتبوع ولذلك أوردتها فى فضيلة النبى عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أقسم لنبينا عليه السلام فى عدم الترك والقلى ووعده بحسن الرضا واللقاء والصلاة عليه مادام الارض والسماء ۞ (هذا شروع فى الفضائل المتعلقة بسورة الضحى) ۞ قال تعالى (والضحى) والمراد منه وجه الحبيب عليه السلام ولقد روى عن عائشة رضى الله عنها بيتان يحكيان ذرة عن نور وجهه الجميل والبيتان هذان

ولو سمعوا فى مصر أوصاف خده * لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد

لوامى زليخا لو رأين جبينه * لآثرن تقطيع القلوب على الايد

وأنا الفقير رأيت فى عالم الرؤيا انه عرض على كتاب عظيم جسيم وكنت أطالع فيه فاذا أنا بابيات مكتوبة فيه فى مدح النبى عليه السلام وهذان البيتان اللذان ذكرتهما آنفا مرويين عن عائشة منها وحصل لى ذوق وشوق فى اطلاعى على هذه الابيات الدالة على نعوت خير الخلائق (والليل اذا سجى) والمراد من الليل شعره عليه السلام وقال بعضهم الضحى ذكور أهل بيت الرسول والليل اناثهم ويحتمل ان يكون الضحى نور علمه الذى يعرف به المستور من الغيوب والليل عفوه الذى يستر به جميع العيوب ويقال الضحى علانية النبى لايرى الخلق فيها عيبا والليل سره الذى لم يخلق عالم الغيب فيه عيبا وكل تلك الوجوه مذكورة فى التفسير الكبير لكن غيرت قوله لم يعلم عالم

من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم أهل لذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر أصحابى فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال جل جلاله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال عز وعلا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وخرج الترمذى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وقال أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقال صلى الله عليه وسلم من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال فى حديث جابر ان الله تعالى اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابى

الغيب عليه عيبا بقولي لم يخلق عالم الغيب فيه عيبا يظهر حسنه بالتامل والحاصل انه سبحانه تعالى أقسم بوجه حبيبه وشعره أو باهل بيته أو بنور علمه وبغفره أو بعلانيته وسره المنزهين عن العيب (ماودعك ربك) ماقطعك قطع مودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهو جواب القسم (وماقلى) ماابغض وحذف المفعول لاستهجان تعلق القلى اليه عليه السلام وان كان النفي يتداركه ولرعاية الفاصلة روي ان الوحي تأخر عنه عليه السلام اياما لتركه الاستثناء حين سئل عن أصحاب الكهف والروح فقال سأخبركم ولم يستثن أو لزجره عليه السلام سائلا ملحا أو لان جروا ميتا كان تحت سريره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم (وللآخرة خير لك من الاولى) لما شرف الله تعالى حبيبه عليه السلام بنفي الترك والبغض مع تغلظه بالقسم زاد على ذلك شرفا وفضلا بقوله وللآخرة الآية قال ابن مالك أي في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل أي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا قال في التفسير الكبير ما يخطر ببالي وهو أن يكون المعنى والاحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه تعالى وعده بانه سيزيده كل يوم عزا الى عز ومنصبا الى منصب فيقول لاتظنن اني قليتك بل تكون في كل يوم يأتي فاني ازيدك منصبا وجلالا انتهى كلامه (ولسوف يعطيك ربك فترضى) هذه آية متضمنة لاصناف الكرامة وانواع السعادة لانه وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لايعرف كنهه سواه واللام اما للقسم وتفصيل ماذكر في توجيه كونها للقسم مذكور في مغني اللبيب (أقول) وهو المناسب في مقام التطييب والارضاء واما للابتداء أدخلت على الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك ربك فترضى عن ابن عباس هو الشفاعة في أمته حتى يرضى وهو قول علي والحسن روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولانسوءك بهم روي عن بعض أهل البيت رضي الله عنه انه قال ليس اية في القرآن أرجى منها ولايرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد من أمته النار (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أنعم عليه تنبيها على انه كما أحسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما بقي قيل معناه آواه الله عز وجل كذا في الشفاء قيل في معنى هذا التأويل أي ضمه الله الى نفسه ولم يحوجه لحماية أحد وايوائه قال الامام القشيري ويقال آواه الى كنف ظله ورباه بلطف رعايته ويقال آواك الى بساط القربة بحيث انفردت بمقامك فلم يشاركك فيه أحد انتهى كلامه وهذا في معنى ماروي عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبي صلى الله عليه وسلم يتيما في صغره فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وروي ذلك عن الحسن أيضا (أقول) الظاهر ان مرادهما من المخلوق ماخلق لتربية الاولاد كالابوين وأما غيرهما فمحض ايواء الله تعالى فلا يرد ما اورد على كلام الصادق من ان عليه عليه السلام حقا لغيرهما جواب تفردت به وقيل يتيما أي لامثال لك فآواك اليه وفي نسخة أي لامثل لك كذا في الشفاء وفي التفسير الكبير من قولهم درة يتيمة أي لامثل لك في جميع المخلوق وجعله الزمخشري من بدع التفاسير (أقول) وهو من أغرب التأويلات عندنا فنقول

دع ماادعته النصارى في نبيهم * واحكم بماشئت مدحا فيه واحتكم

وفي أصحابي كلهم خير وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله تعالى ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد عليه السلام فقد برئ من النفاق ومن أبغض أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لايصعد له عمل صالح الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وقال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول عليه السلام من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره

(فصل) ومن علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم وعظم وكرم اعظام جميع أسبابه واكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده ومالمسه عليه السلام أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها أصابت الارض فقيل

قال

قال في الكبير ان وجه اتصال قوله ألم يجدك يتيما بما قبله هو انه تعالى قال ألم يجدك يتيما فقال الرسول بلى يارب فكأنه يقول انظر أكانت طاعتك في ذلك الوقت أكثر أم الساعة فلا بد ان يقول بل الساعة فيقول له حين كنت غصنا ضعيفا ماتركناك بل ربيناك ورعيناك الى حيث صرت مشرفا على سرادقات العرش وقلنا لك لولاك ما خلقنا الافلاك أتظن انا بعد هذا الحالة نهجرك ونتركك انتهى كلامه (ووجدك ضالا فهدى) ضالا في شعاب مكة فهداك الى جدك عبد المطلب وروى مرفوعا انه عليه السلام قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي جائع كاد الجوع يقتلني فهداني الله ذكره الضحاك وذكر ان عبد المطلب تعلق باستار الكعبة وقال

يارب يارب اردد محمدا * اردده ربي واصطنع عندي يدا

فما زال يردد هذا البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد بين يديه فقال أتدري ماذا رأيت من ابنك فقال عبد المطلب وما هو قال اني أنخت الناقة واردفته خلفي فأبت الناقة ان تقوم فلما أركبته امامي قامت كأن الناقة تقول يا أحمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدي قال ابن عباس رده الله الى جده على يد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه بيد عدوه كذا في التفسير الكبير وفي ذلك وجوه كثيرة اكتفينا بواحد منها (ووجدك عائلا فأغنى) وفي العائل قولان الاول الفقير والقول المشهور في كيفية الاغناء ان الله تعالى جده أغناه باستخدام أبي طالب في القيام بحوائجه ولما اختلت أحوال أبي طالب أغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه باعانة الانصار ثم أمره بالجهاد فاغناه بالغنائم وان كان ذلك انما حصل بعد وقوع السورة لكن لما كان ذلك معلوم الوقوع كان كالواقع روى أنه عليه السلام دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له مالك فقال ان الزمان قحط فان انا بذلت المال ينفد مالك فاستحيي منك وان أنا لم أبذل أخاف الله تعالى فدعت قريشا وفيهم الصديق رضي الله عنه قال الصديق فاخرجت دنانير وفضة حتى بلغت مبلغا غطى عن بصري من كان جالسا قدامي من كثرة المال ثم قالت اشهدوا ان المال له ان شاء فرقه وان شاء أمسكه القول الثاني في تفسير العائل أي انك كنت كثير العيال وهم الامة فكفاك فاغناهم بك لانهم فقراء بسبب جهلهم وأنت صاحب غنى وهو العلم فهداهم بك كذا في التفسير الكبير (فأما اليتيم فلا تقهر) المعنى عامله بما عاملتك به ومنه قوله عليه السلام الله فمن ليس له الا الله (وأما السائل فلا تنهر) يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره واختار الحسن ان المراد منه من سأل العلم والخير (وأما بنعمة ربك فحدث) روى عن مجاهد ان تلك النعمة القرآن وروى عنه أيضا انها النبوة وقيل المعنى اذا وفقك فراعيت اليتيم والسائل وذلك التوفيق نعمة من الله فحدث بها ليقتدي بك غيرك ومنه ماروى عن حسن بن علي رضي الله عنهما اذا عملت خيرا فحدث اخوانك ليقتدوا بك هذا عند الامن من الرياء * اعلم أذاقني الله واياك حلاوة حبه وحب حبيبه وختم لنا به انك لو تأملت هذه السورة الكريمة لوجدت في كل آية منها افضالا منيفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماابرزنا لك ولكن أقول لك يامن جن بحسن جمال الحبيب ان أعجب فضل فهمته فيها اقسم الله تعالى وتقدس بوجهه الجميل وشعره الشريف انه ماودعه عليه السلام وماقلاه كيف يترك وأخر الخير من الاولى ولسوف يعطيك ربك حتى ترضى وغير ذلك من المطالب العليا لاسيما قسمه

له ألا تحلقها فقال ما أنا بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين وروى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله تعالى ان أطأ تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروى انه وهب للشافعي رحمهما الله تعالى كراعا كثيرا كان عنده فقال الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل ذلك وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال مامسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال ان تربة المدينة رديئة بضربه ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة * وحكى ان جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي عليه السلام من يد

عثمان رضي الله تعالى عنه لكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الآكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول

تعالى له عليه السلام في سورة واحدة مرتين فان هذه الاسلوب من ديدن المحبين كما شوهد ذلك في الشاهد ان المحب اذا أراد تسكين قلب الحبيب يؤكد كلامه بكل ما يصدق به والعمر الله تعالى انه من تأمل علو جناب رب العالمين علم ما تضمن الكلام من تفخيم أمر الحبيب عليه السلام واعلاء قدره بل ما تتلاشى العقول في دركه وفهمه هذا ما تيسر لي في هذا المقام والله ولي الافهام

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمدك يا من هو نور النور وشارح الصدور ونصلي على حبيبك بدر البدور وعلى آله وأصحابه أصحاب الحبور والسرور ﴿المناقب المتعلقة بسورة ألم نشرح﴾

قال تعالى (ألم نشرح لك صدرك) استفهام عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد ثبوت الشرح وتقريره ماروي ان جبريل عليه السلام أتاه في صباه او في يوم الميثاق واستخرج قلبه ثم ملأه ايمانا وعلما (ووضعنا عنك وزرك) قال المبرد هذا محمول على معنى ألم نشرح لا على لفظه لانك لا تقول ألم وضعنا ولكن معنى ألم نشرح قد شرحنا فحمل الثاني على معنى الاول (الذي أنقض ظهرك) تكلموا في هذا الوزر بوجوه كثيرة فلنذكر منها ما يغنيك قيل المراد ذنوب أمته صارت كالوزر عليه فصار صلى الله عليه وسلم مشفقا عليهم لا يدري ماذا يصنع في حقهم الى ان قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فأمنهم من العذاب في العاجل ووعده الشفاعة في الآجل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمي العصمة وضعا مجازا وقيل المراد من الوزر ما كان يلحقه من الاذى والشتم حتى كاد ينقض ظهره وتأخذه الرعدة فثبته الله تعالى وقوى جأشه حتى صار بحيث كانوا اذا رأوه وسلطوا عليه سفهاءهم فرموه بالحجارة يقول اللهم اهد قومي وقيل ان السورة نزلت بعد موت خديجة رضي الله عنها وأبي طالب فكان فراقهما عليه وزرا عظيما فوضع عنه الوزر برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياه فارتفع له الذكر ولذلك قال ورفعنا لك ذكرك وكل ذلك مذكور في التفسير الكبير وفيه وجوه غير هذا (ورفعنا لك ذكرك) فان قيل لم قال تعالى ألم نشرح لك صدرك ورفعنا لك ذكرك يجاب عنه كأنه سبحانه يقول لام بلام فانت انما تفعل جميع الطاعات لاجلي كما قال سبحانه قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين وأنا أيضا جميع ما أفعله لاجلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله تعالى اذا ذكرت ذكرت معي وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقال الضحاك لا تقبل الصلاة الا به ولا تجوز الخطبة الا به وقال مجاهد ورفعنا لك ذكرك يعني بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

ألم تر أن الله أرسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد
أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع الله تعالى ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزام الايمان به والاقرار بفضله (فان مع العسر يسرا) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى وحدثت ان أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا
فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة
لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما أشرف على مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام انشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر
قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى
ولها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال ما للعبد الآبق أن يأتي الى باب مولاه راكبا ولو قدرت ان أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي ولله در العلامة القاضي عياض قدس سره حيث قال وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد صلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات حتى

حتى ينقادوا للحق الذى جئت به والمراد من ايراد لفظة مع الدالة على المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين (ان مع العسر يسرا) تكرير للتوكيد أو استئناف ووعد بيسر آخر وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين بيانه ان العسر معرف فلا يتعدد واليسر امنكر فيتعين أن يراد بالثانى فرد يغاير ما أريد بالاول (فاذا فرغت) من التبليغ (فانصب) والنصب التعب قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبى فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة يعطك وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقال الحسن وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك (والى ربك فارغب) قال عطاء تضرع اليه راهبا من النار راغبا فى الجنة وقيل فارغب اليه فى جميع أحوالك وقال الزجاج أى اجعل رغبتك الى الله وحده * اعلم ان هذه السورة الكريمة متضمنة من الفضائل الحبيبية والمناقب المحمدية لما فى شرح الله تعالى صدره العالى مع اسناد الشرح اليه سبحانه ثم ملئه بالعلم والايمان من العناية الازلية وفى وضع الوزر على الوجه الذى ينتبه من الحماية الربانية السرمدية وفى رفع الله تعالى ذكره الكريم حتى لا يذكر الرب تعالى فى المواطن المعهودة الا ومعه ذكر الحبيب فضيلة بديعة ومدحة كبيرة تحير عقول العارفين فى درك حقائقها والحق أن هذه السورة الجليلة من كنوز فضائله عليه السلام فكل كلمة من كلماتها وحرف من حروفها يشير الى تفخيم شأنه واعلاء قدره صلوات الله وسلامه عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى جعل حبيبه أمانا للعالمين وشفيعا للمذنبين والصلاة والسلام عليه دوام السموات والارضين وعلى آله وصحبه أجمعين ۞ (المدحة المتعلقة بسورة التين) ۞ قال الله تعالى (والتين والزيتون) قال ابن عباس وغيره من المفسرين هو تينكم الذى تأكلون منه وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت والسر فى قسم الله تعالى بهما مذكور فى التفاسير (وطور سينين) والمراد من الطور الجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه واللغويون ان سينين اسم للمكان الذى فيه الجبل أضيف الى ذلك المكان وعن ابن عباس الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة (وهذا البلد الامين) قال ابن عطاء أمنها الله بمقام محمد فيها فانه امان حيث كان كذا فى الشفاء وذكر الامام النسفى فى التيسير أن المراد من التين أبو بكر ومن الزيتون عمر ومن طور سينين عثمان ومن البلد الامين على رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ففى قسم الله تعالى بهؤلاء الكرام اجلال واكرام لخير الانام على ما لا يخفى على ذوى الافهام (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) أى تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر الممكنات وهو جواب القسم فتضمنت السورة الكريمة من كرامة الحبيب عليه الصلوات والتسليمات حيث أقسم سبحانه بالبلد المأمون بمقام حبيبه فيه يعنى أقسم سبحانه وتعالى بالبلد مقيدا بهذا القيد الجليل كأنه يقول أقسم بالبلد الامين بك وأما ما ذكر من التفسير المذكور فى التيسير فهو أيضا مشعر بعلو حال الحبيب عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والصلاة على حبيبه المبعوث الى خير الامم ۞ (المدحة المتعلقة بسورة العلق) ۞ قال الله تعالى (كلا) ردع وزجر لمن كفر بآيات الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه قال صاحب الكشف وذلك لان مفتتح

ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها
ومواطن مهبط الرسالة وأول
أرض مس جلد المصطفى
ترابها أن تعظم عرصاتها
وتنسم نفحاتها وتقبل
ربوعها وجدراتها
يا دار خير المرسلين ومن به
هدى الانام وخص بالآيات
عندى لاجلك لوعة وصبابة
وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملأت محاجرى
من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبى بينها
من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والاعادى زرتها
أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدى من حفيل تحيتى
لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتق نفحة
تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بشرائف الصلوات
وأطايب التسليم والبركات
(فصل) ومن علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة الصلاة عليه * يقول ناظم هذه الدرر الفاخرة رأيت فى بعض الكتب ان بعض المتقين كان يصرف عامة أوقاته فى الصلاة عليه عليه السلام ويستغرق فيها حتى لم يبق عضو ولا عرق منه الا دخل فيه من محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سماه الناس شيخ الصلاة على النبى عليه السلام وقال بعض العلماء ان من كان ذلك حاله وصفته لا تأكله الارض وقال حفر قبر عند التقى المشار اليه المنعوت بشيخ الصلاة على النبى بعد سنين من موته فاذا هو قبره

السورة الى هذا المقطع يدل على عظم منته على الانسان فاذا قيل كلا يكون ردعا للانسان الذى قابل تلك الجلائل بالكفران والطغيان (ان الانسان ليطغى) يتجاوز حده ويستكبر على ربه (أن رآه) لان رأى نفسه (استغنى) وهو مفعول ثانى لرأى لانه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين فيكون حاصل النظم والمعنى لأن رأى نفسه غنيا والمراد من الانسان أبو جهل لعنه الله قال مقاتل نزلت فى أبى جهل كان اذا أصاب مالا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه وذلك طغيانه وذكر فى التفسير الكبير ههنا نكتة لطيفة لا يستغنى المقام عن ذكرها فاوردتها فان قيل ان فرعون ادعى الربوبية فقال فى حقه اذهب الى فرعون انه طغى أمر الموسى بالذهاب وقال فى حق أبى جهل ان الانسان ليطغى فاكده باللام فما السبب فى تلك الزيادة قلنا ان محمدا وموسى عليهما السلام وان كانا رسولين لكن الحبيب فى مقابلة الكليم كالعين فى مقابلة اليد وصيانة العين فوق صيانة اليد فلهذا السبب كانت المبالغة ههنا أكثر وبهذه النكتة حصل له عليه السلام فضل منيف (ان الى ربك الرجعى) هذا خطاب على طريق الالتفات للانسان الطاغى تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان الرجعى والرجوع بمعنى واحد (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) خطاب مع الرسول على سبيل التعجب نزلت فى أبى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك قال ان بينى وبينه لخندقا من النار وهولا وأجنحة وتنكير العبد للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبوديته كأنه تعالى يقول انه عبد لا يفى العالم بشرح تقاه وصفة اخلاصه فى عبوديته وروى فى هذا المعنى ان يهوديا من فصحاء اليهود جاء الى عمر رضى الله عنه فى أيام خلافته وقال أخبرنى عن اخلاق رسولكم فقال عمر اطلبه من بلال هو أعلم به منى ثم ان بلالا دله على فاطمة رضى الله عنها وفاطمة دلته على على رضى الله عنه فلما سأل عليا عنه قال صف لى متاع الدنيا حتى أصف لك اخلاقه فقال الرجل لا يتيسر لى فقال عجزت عن وصف متاع الدنيا وقد شهد الله على قلته حيث قال قل متاع الدنيا قليل فكيف أصف اخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وقد شهد الله بانه عظيم حيث قال وانك لعلى خلق عظيم كذا ذكر فى التفسير الكبير (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى) تكرير للاول وكذا ما يليه لزيادة التعجب (أرأيت ان كذب وتولى) وتقدير نظم الآية أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى والمنهى على الهدى أو أمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان أى اعجب من هذا كذا ذكره محيى السنة (ألم يعلم) يعنى أبا جهل (بأن الله يرى) ذلك فيجازيه به (كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عن ايذاء النبى ونهيه عن الصلاة (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار كتب النون الخفيفة هنا ألفا فى المصحف على حكم الوقف والناصية شعر مقدم الرأس (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الاول وصفت بعد وصف صاحبها مجازا ومبالغة قيل وصف الناصية بوصف صاحبها لاشتماله سواء كانتا مجرورتين أو منصوبتين (فليدع ناديه) أهل ناديه لمعينوه وهو المجلس ينتدى فيه القوم روى ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألم أنهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وانا أكثر أهل الوادى ناديا (سندع الزبانية) ليجروه الى النار قال الزجاج هم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله (كلا) ردع أيضا للناهى (لا تطعه) واثبت أنت على طاعتك (واسجد) دم

فنظر اليه الناس فوجدوه طريا لم يبل كفنه * يقول ناظم هذه الدرر النفيسة لما أخذت محبته صلى الله تعالى عليه وسلم بمجامع قلبه ودخلت كل عضو وعرق منه فكأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حل فيه كما قال قائلهم

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرته أبصرتنى
واذا أبصرتنى أبصرتنا

فجسد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محرم على الارض فألحق محبه الخاص به صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية قال القاضى أبو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها

(فصل) فى معنى الصلاة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معنى الآية ان الله وملائكته يباركون على النبى عليه السلام وقيل ان الله يترحم على النبى وملائكته يدعون له * قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهى من الله تعالى رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى * وقال بكر القشيرى الصلاة من الله تعالى لمن دون النبى عليه السلام رحمة وللنبى عليه السلام تشريف وزيادة تكرمة * وقال أبو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة

على

على سجودك (واقترب) وتقرب الى ربك (أقول) بلطف الله تعالى ان هذه الآيات الجليلة مشتملة على فضائل سيد المرسلين ومناقب خير الاولين والآخرين لما علمت من النكتة التي نقلتها عن التفسير الكبير ومن تنكير العبد من جهة ان فيه تعظيما منيفا ومن ثناء الله سبحانه عليه بالهداية والامر بالتقوى ومن جهة شتم من عاداه عليه السلام وذمه بانواع الردع والزجر والتغليظ وفي اسناد سفع عدوه عليه السلام اليه سبحانه من تفخيم أمره عليه السلام مالا يخفى وفيها نكتة لطيفة منبئة عن فضيلة حبيب الله أبي القاسم صلوات الله عليه وسلامه تفردت بها وهي ان هذه السورة أول مانزل من القرآن وفيها تقريب الله سبحانه لنبيه عليه السلام في أول المعاملة بقوله اقترب كما هو مقتضى المحبة وهذه المعاملة في بدء الامر غاية في الاكرام وعلى خلاف ذلك ماعومل به موسى عليه السلام في أول الامر حيث قيل له اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وبينهما بون بعيد

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي شرف حبيبه بليلة القدر والصلاة والسلام عليه مادام الشمس والبدر ۞ (المدحة الكائنة في سورة القدر) ۞ قال الله تعالى (انا أنزلناه في ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بكمال ظهوره المغني عن التصريح كما عظمه بان أسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي أنزل فيه وانزاله فيها بان ابتدأ انزاله فيها (وما أدراك ماليلة القدر) تعجيب وتعظيم لحرمتها أي ماأعلمك يا محمد ماشرف هذه الليلة لولا ان الله تعالى أعلمك بذلك وانما سميت بالقدر لعظمتها وشرفها كما يقال لفلان عند الملك قدر أو لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم (ليلة القدر خير من ألف شهر) أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وهذا اللفظ يسمى مشكلا في اصطلاح الاصوليين (تنزل الملائكة والروح فيها) بيان لما به فضلت على ألف شهر وتنزلهم الى الارض أو الى السماء الدنيا أو تقربهم الى المؤمنين (باذن ربهم من كل أمر) أمرهم الله تعالى به في تلك الليلة ومعنى من كل أمر أي بكل أمر قدره الله تعالى وقد يقام من مقام الباء (سلام هي) تمام الكلام عند قوله تعالى من كل أمر ثم ابتدأ فقال سلام هي أي ليلة القدر سلامة أي خير كلها ليس فيها شر قال الضحاك لا تقدر في تلك الليلة الا السلامة وأما الليالي غيرها فيقدر فيها البلاء والسلامة (حتى مطلع الفجر) الى مطلع الفجر وسبب نزول هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما لاصحابه ان أربعة من بني اسرائيل وهم أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه فيها طرفة عين فتعجب أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل عليه السلام فقال عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى فيها طرفة عين فانزل الله تعالى عليك خيرا منه ثم قرأ انا أنزلناه الى آخرها وقال هذا أفضل مما عجبت منه أنت وأمتك فسرت الصحابة بذلك وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك عجبا شديدا وتمنى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون في أمته مثله فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وفي اكرام الله تعالى حبيبه عليه السلام بليلة القدر واعظامه بها وجه آخر ذكر في التفسير الكبير روى القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن بن علي يامسود وجوه المؤمنين عمدت الى هذا الرجل

وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي عياض رحمه الله تعالى وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل على انهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر أصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا أن يسلموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره * وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة والثاني أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى * والثالث ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى ويسلموا تسليما

(فصل) في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم * في تشهد الصلاة بعد التشهد قبل الدعاء خرج الترمذي عن فضالة ابن عبيد انه قال سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي عليه

فبايعت له يعنى معاوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى فى المنام أن بنى أمية يطؤن على منبره واحدا بعد واحد وروى ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى عليه انا أنزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر (أقول) بلطف الله تعالى لقد علم مما قررناه من الروايات تضمنها من فضل خير البريات أى فضل حيث شرفه الله تبارك وتعالى بهذه الليلة الكريمة التى لم يمنحها غيره تطييبا لقلبه الشريف واعلاء لمنزله المنيف وجعل العبادة فيها خيرا من ألف شهر وأنزل جميع ملائكة السموات بالسلام فيها اكراما لحبيبه عليه السلام وأبقى هذا الشرف فى أمته الى يوم الوعد والوعيد

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أرسل حبيبه بينة واضحة وحجة منيرة والصلاة والسلام عليه ما دامت الشمس مضيئة ۞ (المدحة النخيمة فى سورة لم يكن) ۞ قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله تعالى ومن للتبيين (والمشركين) عبدة الاوثان (منفكين) الانفكاك من الفك وهو الفتح والزوال كذا نقل عن القفال والمعنى لم يكن الذين كفروا منفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل (حتى تأتيهم البينة) قال ابن عرفة أى حتى اتتهم واللفظ مضارع والمعنى ماض والبينة الرسول فاذا جاءتهم البينة أعنى الرسول تفرقوا فيه وقال كل واحد فيه قولا زورا هذا بعض الوجوه المذكورة فى التفسير الكبير فى معنى الآية وانما اخترناه لامر فلتفهمه البينة هى الحجة الظاهرة التى بها يتميز الحق من الباطل وهى من البيان أو البينونة وانما سمى الرسول بالبينة لان ذاته كانت بينة على نبوته كما قال تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار أى تكاد نبوة محمد تظهر ولو لم يتكلم بها ولان الاخلاق الحاصلة فيه كانت بالغة الى حد الاعجاز فجعل كأنه عليه السلام حجة على أمره قالوا اللام فى البينة للتعريض أى هو الذى سبق ذكره فى التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام أو يقال انها للتفخيم أى هو البينة التى لا مزيد عليها أو البينة كل البينة والتعريف قد يكون للتفخيم وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا فى حق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فبدأ بالتعريف وهو لفظ البينة ثم ثنى بالتنكير فقال (رسول من الله) أى هو رسول ونظيره ما ذكره الله تعالى فى الثناء على نفسه فقال ذو العرش المجيد ثم قال فعال لما يريد لما نكر بعد التعريف كذا ذكر فى التفسير الكبير وهو بدل من البينة (يتلو صحفا مطهرة) والصحف جمع صحيفة وهى ظرف للمكتوب وكونها مطهرة لانها لا يمسها الا المطهرون فان قيل كيف تنسب تلاوة الصحف له مع انه عليه السلام أمى قلنا اذا تلا مثل المسطور فى المصحف كان تاليا ما فيها وقد جاء فى كتاب منسوب الى جعفر الصادق انه قال كان عليه السلام يقرأ من الكتاب وان كان لا يكتب ولعل هذا من معجزاته واعلم انه قد تضمنت هذه السورة الكريمة من شرف المصطفى وكرامته العظمى من اطلاق البينة عليه عليه السلام وتعريفها الدال على تفخيمه له عليه السلام ثم وصفه عليه السلام بالرسالة على وجه التنكير ما ينبئ عن تمام التبجيل والتعظيم كما أثنى الله تعالى على نفسه الكريم على هذا الاسلوب فى كلامه القديم وغير ذلك مما تضمنه هذا الكلام مما مر تفصيلنا له فى أول السورة

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده ونشكره ونستعينه ونصلى على حبيبه ونستشفع به

السلام ثم ليدع بما شاء وعن ابن مسعود اذا اراد أحدكم ان يسأل الله تعالى شيأ فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصل على النبى عليه السلام ثم يسأل فانه أجدر أن ينجح وفى الشفاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار فى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه أنجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه عن الاسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبى محمد عليه السلام وفى الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد * ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه وعند الاذان ومن مواطن اكثارها ليلة الجمعة ويوم الجمعة وروى النسائى عن اوس بن أوس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه عليه السلام يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام عليه دخول المسجد قال أبو اسحق بن شعبان وينبغى لمن دخل المسجد أن يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك * ومن مواطن الصلاة عليه صلاة الجنائز ومن ۞ (المدحة

❁(المدحة الزاهرة في سورة العاديات) ❁ قال تعالى (والعاديات ضبحا) أقسم الله تعالى بخيل الغزاة تعدو وتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف وروى انها نزلت في وقعة بدر فيكون المراد بالعاديات الابل لانه لم يكن فيها الا فرسان وقال بعض من قال هي الابل قوله ضبحا يعني تمد أعناقها في السير (فالموريات قدحا) قالوا هي الخيل تورى النار بحوافرها أي تظهرها اذا سارت في الحجارة والايراء والقدح بمعنى أي فالقادحات قدحا (فالمغيرات) تغير أهلها على العدو (صبحا) في وقته (فأثرن به) فهيجن بذلك الوقت (نقعا) بالعدو (فوسطن به جمعا) فدخلن في ذلك الوقت جمع المشركين روى انه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته عنه خبر فنزلت (ان الانسان لربه لكنود) أي لكفور فهو جواب القسم (أقول) بلطف الله تعالى وتوفيقه ان هذه السورة الكريمة كأخواتها مشعرة بعلو حال الحبيب عليه الصلوات لانه سبحانه اما أقسم بابل غزاها وأصحابه عليها مع الكفار في غزوة بدر وفيه من الاعظام ما لا يخفى واما أقسم سبحانه بخيل أرسلها حبيب الله صلوات الله عليه فكذلك فضله عائد اليه عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي عظم علينا انعامه بمحمد عليه السلام ونصلي ونسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ❁(المدحة العالية في سورة التكاثر) ❁ قال الله تعالى في آخر السورة (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال محمد بن كعب يعني ما أنعم الله عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (أقول) ففيه ما يشير الى تشريف الحبيب عليه السلام حيث قال تعالى على وجه التأكيد لتسئلن عن انعامي عليكم بمحمد الحبيب فصار نعمة لا تحصى ويسئل عن حقوقه فلا تنسى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي عظم حبيبه بأنواع التعظيم حيث أقسم تارة بحياته وتارة بمكانه وتارة بعصر نبوته الفخيم وذلك من مقتضى مقامه الكريم عليه الصلوات والتسليمات من الملك الحكيم ❁(المدحة الكائنة في سورة العصر) ❁ قال تعالى (والعصر) أقسم الله بعصر نبوة حبيبه عليه السلام أي والعصر الذي أنت فيه أقسم بزمانه في هذه الآية وبمكانه في قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد وبعمره في قوله تعالى لعمرك فكأنه تعالى قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فما بالك بحال المظروف ثم وجه القسم كأنه تعالى يقول يا محمد دعوتهم فأعرضوا عنك فما أعظم خسرانهم وما أجهل خذلانهم (ان الانسان لفي خسر) في مساعيهم وصرف أعمارهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) الثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد وعمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي (أقول) فهذه السورة الكريمة متضمنة فضيلة باهرة من فضائله عليه السلام لما علمت ان الحق جل جلاله أقسم بعصره عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده سبحانه ونرجو منه غفرانه والصلاة على حبيبه أهل رضوانه وعلى آله وصحبه وأنصاره وأعوانه ❁(المدحة الشريفة في سورة الهمزة) ❁ قال الله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) الويل لفظ الذم والسخط وأصله وي لفلان ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام وروى انه جبل في جهنم الهمز الكسر واللمز الطعن فشاعا في الوقوع في اعراض الناس والطعن فيهم نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي عليه السلام في غيبته ويطعن عليه

مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة عليه وعلى آله في الرسائل ومايكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الارض ومنهم من يختم به أيضا الكتب ومن مواطن السلام عليه عليه السلام تشهد الصلاة (فصل) في كيفية الصلاة خرج الترمذي عن أبي حميد الساعدي قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة ابن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وخرج صاحب الشفاء عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم قال عدهن في يدي رسول الله

فى وجهه (الذى جمع مالا) بدل من كل أو ذم مرفوع أو منصوب (وعدّده) وجعله عدّة للنوازل (يحسب أن ماله أخلده) تركه خالدا فى الدنيا (كلا) ردع عن حسبانه (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها (وما أدراك ما الحطمة) النار التى لها هذه الخاصة (نار الله) تفسير لها (الموقدة) أوقدها الله وما أوقده لا يطفئه أحد (التى تطلع على الافئدة) تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها (انها عليهم مؤصدة) مطبقة (فى عمد ممدّدة) تمد أيديهم وأرجلهم الى عمد ممدّدة فى النار انظر أيها المتشرف بحب حبيب الله عليه صلوات الله كيف غضب الله على من اغتاب حبيبه وقصد ايذاءه وتوعده بأنواع العقوبات ولاشك ان هذا الامر مقتضى مقام محبته وذلك يدل على مزيد شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده على كبريائه ونشكره على نعمائه ونصلى على سيد أوليائه وعلى الملازمين لولائه ۞ (المفخرة التى فى سورة الفيل) ۞ قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب للرسول عليه السلام وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها فى الكلام استعارة فى التفسير الكبير فان قيل لم قال ألم تر كيف فعل ربك ولم يقل لم تر ما فعل فالجواب أن الاشياء لها ذوات فلها كيفيات باعتبارها تدل على ملازمتها وهذه الكيفية يسميها المتكلمون وجه الدليل واستحقاق المدح انما يحصل برؤية هذه الكيفيات لا برؤية الذات ولهذا قال أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ولاشك ان هذه الوقعة كانت دالة على قدرة الصانع وحكمته وعلمه وكانت دالة على شرف محمد عليه السلام وذلك لان مذهبنا جواز تقدم المعجزات على زمان البعثة تأسيسا النبوّته وارغاما لهم ولذلك كانت الغمامة تظله وهذه الوقعة وقعت فى السنة التى ولد فيها الرسول عليه السلام وروى فى قصتها ان ابرهة ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى بيعة فى صنعاء وسماها القليس وأراد ان يصرف اليها الحجاج فخرج رجل من كنانة وقعد فيها فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة أخرى قيل ألف فيل فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى جهة أخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا كل فى منقاره حجر وفى رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان يسقط الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فلهلكوا جميعا (ألم يجعل كيدهم) فى تعطيل الكعبة وتخريبها (فى تضليل) فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها (ترميهم بحجارة من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود فان قيل الحجاج أخرب الكعبة ولم يحدث شىء من ذلك فالجواب انا بينا ان ذلك وقع معجزة وارهاصا لامر محمد عليه السلام والارهاص انما يحتاج اليه قبل بعثه واما بعد بعثه وتأكد نبوّته بالدلائل القاطعة فلا حاجة الى شىء من ذلك (أقول) وجه الفضل للحبيب عليه السلام انه تعالى ذكر حبيبه بما شرفه به قبل بعثته وأعلم الخلق ما فعل لاجله وكيف لا وهو حبيب الله ورحمة للعالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمده على افضاله ونصلى على حبيبه وآله ۞ (المدحة العلية

كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندى كان على يعلمنا الصلاة على النبى عليه السلام اللهم

في سورة قريش) ﴿ قال تعالى (لايلاف قريش) يقال اللام متعلقة بقوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول في السورة المتقدمة ويؤيده انهما في مصحف أبي سورة واحدة أي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يقال ألفت الشيء ايلافا بمعنى واحد أي لزمته (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) وهذا المقيد بدل من المطلق ورحلة الشتاء مفعول به لقوله تعالى ايلافهم الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام لاجل التجارة وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من مصغر قرش هو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وتصغير الاسم للتعظيم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع) بالرحلتين (وآمنهم من خوف) خوف أصحاب الفيل (أقول) ولا يخفى ان ابتداءهم من جهة أنه سيظهر حبيب الله فيهم لا ان شرفهم لذاتهم بل لشرف الحبيب عليه الصلاة والسلام فمن هذا الوجه لا تخلو هذه السورة الكريمة من فضل الحبيب عليه السلام

(بسم الله الرحمن الرحيم) نحمد ونشكر ونصلي ونسلم ﴿ (المدحة اللطيفة في سورة الماعون) ﴿ قال تعالى (أرأيت الذي يكذب بالدين) الاستفهام للتعجب أي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو الاسلام (فذلك الذي يدع اليتيم) يدفع دفعا عنيفا وهو أبو جهل روي انه كان وصيا على يتيم فجاءه وهو عريان فسأله شيأ من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبي فقالت له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان من غرضهم الاستهزاء ولم يعرف الصبي ذلك فجاء النبي عليه السلام والتمس منه ذلك وكان النبي عليه السلام لا يرد محتاجا فذهب معه الى أبي جهل فقام أبو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيرته قريش فقالوا اصبوت قال والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن شماله حربة خفت ان لم أجبه يطعنني بها (أقول) بلطف الله تعالى قد تضمنت السورة الكريمة التنبيه على فضل المصطفى عليه من الصلوات أزكاها

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي خص حبيبه بانواع الخيرات واختاره على جميع البريات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ﴿ (الفضائل التي في سورة الكوثر) ﴿ قال الله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) اختلف المفسرون في الكوثر على وجوه الاول وهو المشهور انه نهر في الجنة كما روى أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي الى مجرى الماء فاذا انا بمسك أذفر فقلت ما هذا قيل الكوثر الذي أعطاك الله تعالى القول الثاني انه الحوض واختاره أيضا كثير منهم والتوفيق بينهما ان ماء الكوثر يصب في حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفة الكوثر أن حصاه الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والدر والمرجان وطينه المسك الاذفر وترابه الكافور ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج يخرج من أصله سدرة المنتهى عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب حوله من الآنية والاباريق عدد نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدا القول الثالث الكوثر أولاده عليه السلام قالوا لان هذه السورة نزلت ردا على من عابه عليه السلام بعدم الاولاد فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقى على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية أحد يعبأ به ثم انظر كم منهم من الاكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا والنفس الزكية وأمثالهم رضوان الله تعالى عليهم

لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وأبهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو أمينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه أيضا في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يارب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام

أجمعين القول الرابع الكوثر علماء أمته القول الخامس الكوثر النبوة ولاشك انها الخير الكثير لرسولنا الحظ الاوفر من هذه المنقبة لانه المذكور قبل سائر الانبياء والمبعوث بعدهم صلوات الله وسلامه عليهم والمبعوث الى انسهم وجنهم فهو أفضلهم وأخيرهم وبيانه ان كتاب آدم عليه السلام كان كلمات على ما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وكتاب ابراهيم وموسى عليهما السلام كان صحفا لقوله تعالى صحف ابراهيم وموسى وكتاب نبينا عليه الصلاة والسلام فانه كان مهيمنا على الكل ﷺ قال تعالى ومهيمنا عليه وأيضا ان آدم عليه السلام انما تحدى بالاسماء المشهورة حيث قال أنبؤني باسماء هؤلاء ومحمد عليه السلام انما تحدى بالمنظوم حيث قال له ربه تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا الآية وأما نوح عليه السلام فان الله تعالى أكرمه بان أمسك سفينته على الماء وفعل بمحمد أعظم منه روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان على شط ماء فوافاه عكرمة بن أبي جهل فقال له ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي هو بالجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليه فانقلع من مكانه وسبح حتى صار بين يديه وسلم عليه وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا قال مره فليرجع الى مكانه فأمره النبي عليه السلام فرجع الى مكانه وأكرم ابراهيم عليه السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما وفعل في حق محمد عليه السلام أعظم من ذلك فقد روى عن محمد بن حاطب أنه قال كنت طفلا فانصب القدر علي من النار فاحترق جلدي كله فحملتني أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا ابن حاطب فاحترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلدي ومسحني وقال أذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا وأكرم موسى عليه السلام بفلق البحر في الارض وأكرم محمد عليه السلام بفلق القمر فوق السماء ثم انظر الى تفاوت ما بين السماء والارض وفجر له الماء من الحجر وفجر لمحمد عليه السلام من أصابعه عيونا وظلل موسى بالغمام فكذلك ظلل محمدا عليه السلام (أقول) بل الاكرام بذلك كان أتم وأكثر في حق نبينا عليه الصلاة والسلام لان الغمام ظلل نبينا عليه السلام من حالة صغره الى أن لاقى ربه وفي موسى كان ذلك في بعض مدة من عمره وأكرم موسى عليه السلام باليد البيضاء وأكرم محمدا بأكرم من ذلك وهو القرآن العظيم وقد عم نوره الى المشرق والمغرب وقلب لموسى عصاه ثعبانا ولما أراد أبو جهل ان يرمي النبي عليه السلام رأى على كتفيه ثعبانا فانصرف مرعوبا وسبحت الجبال مع داود عليه السلام وسبحت الحصى في يده وبيد أصحابه وكان داود اذا مسح الحديد لان وكان عليه السلام اذا لمس الشاة الجرباء درت وكان داود عليه السلام مكرما بالطير المحشورة وأكرم محمد عليه السلام بالبراق وأكرم عيسى عليه السلام باحياء الموتى وأكرم محمد عليه السلام بأبلغ من ذلك حين اضافته اليهودية وقدمت له الشاة المسمومة فلما وضع اللقمة في فمه أخبرته وأكرم عيسى عليه السلام بابراء الاكمه والابرص وأبرأ محمد صلى الله عليه وسلم الابرص فقد روى ان امرأة معاذ بن عفراء أتته وكانت برصاء وشكت ذلك الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح عليها بيده فذهب البرص وكان عيسى عليه السلام يعرف ما يخفيه الناس في بيوتهم والرسول عليه السلام علم ما أخفاه عمه العباس مع أم الفضل فأخبره فاسلم العباس لذلك وأما سليمان عليه السلام فان الله تعالى رد له الشمس وفعل ذلك للرسول عليه السلام حين نام في حجر علي فانتبه وقد غربت الشمس فردها حتى صلى وردها

مرة

(فصل) في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له خرج النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله تعالى عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله تعالى عليه وسلم عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود عنه عليه السلام أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه قال يا رسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت ان زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر

مرة أخرى لعلي "فصلى العصر في وقتها وعلم سليمان منطق الطير وفعل ذلك في حق محمد عليه السلام روى ان طيرا جعل يرفرف على رأسه يكلمه و يقول أيكم فجعه بولده فقال رجل انا فقال اردده وكلام الذئب معه مشهور وأكرم سليمان عليه السلام بمسيرة شهر وأكرم حبيبه عليه السلام بالمسير الى بيت المقدس والى السموات في ساعة وكان حماره يعفور يرسله الى من يريده فيجيء به وكما انقاد الجن لسليمان عليه السلام انقاد لمحمد عليه السلام ومعجزاته أكثر من ان تحصى والحاصل ان المفاخر والمعجزات التي كانت متفرقة في الانبياء الكرام كانت مجتمعة في رسولنا صلى الله عليه وسلم وانما أطنبنا الكلام في هذا المقام لانا ماقلنا المراد من الكوثر نبوته عليه السلام والكوثر في اللغة الخير الكثير احتجنا الى بيان ماتضمنته نبوته من الخير الكثير ولعل الله تعالى اطلعك عليه بعد ماتلوناه عليك القول السادس ان الكوثر الفضائل التي فيه عليه السلام قال الفضل ابن سلمة يقال رجل كوثر اذا كان سمحا كثير الخير وفي الصحاح الكوثر السيد الكثير الخير والقول السابع الكوثر رفع ذكره وغير ذلك من الاقوال (فصل لربك وانحر) أي فاشكر الله تعالى على هذه النعمة العظمى بالصلاة والنحر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أراد بذلك صلاة العيد ونحر البدن يوم الاضحى (ان شانئك هو الابتر) أي ان مبغضك هو الابتر الذي لاعقب له ولاخير له في الدنيا والآخرة نزلت ذلك في العاص بن وائل السهمي كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم على باب المسجد الحرام بعد موت عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم قيل للعاص من هذا الذي كنت قائما معه قال هذا الابتر محمد يريد انه ليس له ابن يخلفه ويقوم مقامه فأنزل الله تعالى هذه السورة اكراما للنبي عليه السلام وجوابا للخبيث الشاتم الحبيب عليه الصلوات فأجاب الله تعالى عنه بلا واسطة فهكذا سنة الاحباب في الشاهد فان المحب اذا سمع من يشتم الحبيب تولى بنفسه جوابه فههنا تولى الحق سبحانه جوابه اعلم ان في هذه السورة الكريمة فوائد لايستغني المقام عن ذكرها ولنذكر نبذة منها على وجه الاختصار والاطال فيها الاقوال لكثرة مافيها من الاسرار منها انها كالمتمم لما قبلها لان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح محمد المصطفى على ما فصلناه من التشريفات ثم ذكر في سورة ألم نشرح انه شرفه بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وانه تعالى شرفه في سورة والتين بانواع التشريف من القسم ببلده وخلاص أمته من النار واعطائهم أجرا غير ممنون ثم عظمه في سورة اقرأ باصناف التعظيم حيث أقرأه وأوعد عدوه وقربه اليه وشرفه في سورة القدر بها وبنزول الملائكة والسلامة فيها وأكرمه في سورة لم يكن بانواع الاكرام وشرف أمته بثلاث تشريفات أولها انهم خير البرية وثانيها ان جزاءهم عند ربهم وثالثها رضا الله عنهم ورضاهم عنه وشرفه في سورة اذا زلزلت بثلاث تشريفات أولها قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وذلك يقتضي ان الارض تشهد لامته في القيامة بالطاعة والعبودية وثانيها قوله تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم وذلك يدل على انه تعرض عليهم أعمالهم فيحصل لهم الفرح وثالثها قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومعرفة الله تعالى لاشك انها أعظم من كل عظيم فلابد أن يصلوا الى ثوابها فذلك كله من الله تعالى شرف الرسول عليه السلام ثم شرفه في سورة العاديات بالقسم بخيل غزاة أمته ثم شرف أمته في سورة القارعة بأمور الاول أن من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية والثاني انهم يرون

وقد خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك أبشرك انه ليس أحد من أمتك يصلي عليك الا صلى الله تعالى عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وفي كنز الراغبين عن ابن أبي حجلة الحنفي ما معناه من قرأ هذا الدعاء على الميت بعد مادفن ثلاث مرات عتق من النار بحرمة سيد الابرار وهذا الدعاء اللهم اني أسألك بجاه نبيك محمد نبي الرحمة وتراب الطيب الطاهر وما ضمه أن لاتعذب هذا الميت وروى أبو موسى المدني في كتابه الترغيب ما معناه انه وجد على رأس خلاد بن كثير حين وفاته ورقة مكتوبة فيها براءة من النار لخلاد بن كثير من الله عز وجل ثم سئل آل خلاد بن كثير عن عمله قالوا كان يقول كل يوم جمعة اللهم صل على محمد النبي الامي ألف مرة (فصل) في ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم خرج محمد بن اسمعيل البخاري أمير المؤمنين في الحديث عن أنس ان رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه

أعداءهم فى نار حامية ثم شرفه فى سورة ألهاكم بان بين المعرضين عن دينه وشرعه انهم يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه أولها انهم يرون الجحيم وثانيها انهم يرونه عين اليقين وثالثها انهم يسئلون عن النعيم وهو النبى صلى الله عليه وسلم ثم شرفه بشرف عظيم حيث أقسم بزمان نبوته فى سورة والعصر وغير ذلك وشرفه فى سورة الهمزة حيث أوعد من عاداه وعظمه فى سورة الفيل بان رد كيد أعدائه فى نحرهم لتعظيم قدومه وشرفه فى سورة قريش بان رأى مصلحة اسلافه لاجله وشرفه فى سورة الماعون بان ذم أعداءه المكذبين بدينه ثم انه سبحانه لما شرفه فى هذه السور من هذه الوجوه العظيمة بل من أول القرآن الكريم الى هنا قال بعدها انا أعطيناك الكوثر أى أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة فى هذه السور المتقدمة التى كل واحدة منها أعظم من الدنيا بحذافيرها فاشتغل أنت بعبادة هذا الرب وبارشاد عباده الى ماهو الاصلح لهم أما عبادة الرب فامابالنفس وهو قوله تعالى فصل لربك واما بالمال وهو قوله تعالى وانحر وأما ارشاد عباده الى ماهو الاصلح لهم فى دينهم ودنياهم فهو قوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون فثبت ان هذه السورة كالتتمة لما قبلها وانها أصل لما بعدها لانه تعالى يأمره بعد هذه السورة ان يكفر جميع أهل الاديان الباطلة بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون ومعلوم ان محبة الناس لاديانهم أشد من محبتهم لازواجهم وأموالهم وذلك انهم يبذلون أرواحهم وأموالهم فى نصرة أديانهم فلذلك كان الطعن فى مذاهب الناس يثير من العداوة والغضب ما لا يثيره سائر المطاعن فلما أمر أن يكفر جميع اهل الدنيا من الفجرة لزم أن يصير أهل الدنيا فى غاية العداوة وذلك مما يحترز عنه كل الخلق ولا يكاد يقدم عليه فانظر الى موسى عليه السلام كيف خاف من فرعون وعسكره وأما ههنا فان محمدا عليه السلام لما كان مبعوثا الى جميع أهل الدنيا كان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة اليه فدبر الله تعالى فى ازالة هذا الخوف الشديد تدبيرا لطيفا حيث قدم هذه السور على هذه السورة فان قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر وما قبلها من السور يزيل عنه ذلك الخوف لما يعلم الحبيب عليه السلام ان الله تعالى ينجز وعده واعلم أن هذا التفصيل لما صرح بما تضمنته سورة اذا زلزلت والقارعة والكافرون من الفضائل الحبيبية لم يحتج الى ذكر هذه السور ولذلك لم أذكرها على حدة واكتفيت بالتفصيل فتضمنت السورة الكريمة من فضائل الحبيب عليه السلام ما لا يخفى حيث أعطاه الله تعالى ما لم يعطه أحدا وأجاب من شتم حبيبه على ديدن الاحباب وغير ذلك مما فصلناه فى الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى نصر عبده وهزم الاحزاب وحده وصلى الله عليه وهو الذى لا نبى بعده ولا عديل له قبله ۞ (المدحة المتعلقة بسورة النصر) ۞ قال الله تعالى (اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على أعدائك (والفتح) فتح مكة ويسمى بفتح الفتوح وقيل جنس نصر الله فتح مكة وسائر البلاد عليهم (ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) جماعات كأهل مكة والطائف واليمن وسائر قبائل العرب اعلم انه تعالى ذكر بعد سورة الكافرون سورة اذا جاء نصر الله كأنه سبحانه يقول وعدتك بالكوثر فلما امتثلت أمرى فانظر كيف أنجزت لك ذلك الوعد وشرفتك بهذا الفتح العظيم الذى لم يكن لاحد من الخلائق ورأيت أهل الدنيا يدخلون فى دين الله أفواجا (فسبح بحمد ربك) فتعجب بتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامدا له عليه

وسلم فقال متى الساعة يارسول الله قال ما أعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان ابن قدامة هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته فقلت يارسول الله ناولنى يدك أبايعك فناولنى يده فقلت يارسول الله انى أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبى ذر بمعناه وعن على رضوان الله تعالى عليه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد الحسن والحسين فقال من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وروى ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لانت أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك فما أصبر حتى أجىء فانظر اليك وانى ذكرت موتى وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا أراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأها عليه وفى حديث آخر كان رجل عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بأبى أنت وأمى أتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك

او

أو فصل له حامدا على نعمه قال النحويون اذا منصوب بسبح فالتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله كأنه جل وعلا يقول جعلت الوقت ظرفا لما تريده من النصر والفتح والظفر وملأت ذلك الظرف بهذه الاشياء وبعثته اليك فلا ترده على فارغا أملأه من العبودية على معنى تهادوا تحابوا فكأن محمدا عليه السلام يقول بأى شىء أملأ به ظرف هديتك فيقول الله تعالى فى المعنى ان لم تجد شيأ فلا أقل من تحريك اللسان بالتسبيح والحمد والاستغفار فلما فعل محمد ذلك حصل هنا تحابوا فلا جرم حصلت المحبة فلهذا كان محمد حبيب الله كذا أفاده بعض الكبراء (واستغفره) لامتك (انه كان توابا) لمن استغفره فان قيل لم قال توابا ولم يقل غفارا الجواب لعله خص الامة بزيادة الشرف لانه يقال فى صفة العبد تواب كأنه سبحانه يقول أنت كنت تصف بعض صفاتى فى أول الامر فتب حتى تصير كذلك فى آخر العمر فانت تواب وانا تواب ثم التواب فى حقه تعالى هو الذى يقبل التوبة كثيرا فنبه على انه يجب على العبد أن يكون اتيانه بالتوبة كثيرا ذكره بعض العلماء روى انه لما نزلت هذه السورة الكريمة خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه والآخرة فاختار لقاءه اعلم ان هذه السورة الكريمة أخبرتنى عن تشريف الحبيب عليه السلام واعلاء أمره على ما أشرنا اليه فى تفصيلها فلا حاجة الى الاعادة والتطويل وان كان ذكر الحبيب لا يمل

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى أوعد من عادى حبيبه بالتغليظات ووعد من والاه بالتشريفات عليه أفضل الصلوات والتسليمات ﴿المدحة المفهومة من سورة تبت﴾ قال تعالى (تبت) هلكت (يدا أبى لهب) أى نفسه قيل وانما خصصتا لانه عليه السلام لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين جمع أقاربه فانذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا ودعوتنا وأخذ حجرا ليرميه فنزلت وانما ذكره بكنيته لانه لما كان من أصحاب النار كانت كنيته أوفق بحاله أو ليجانس قوله تعالى ذات لهب (وتب) اخبار بعد اخبار أى وخسر هو بنفسه وهلك (ما أغنى عنه ماله وما كسب) لا ينفعه كثرة ماله فى الآخرة (سيصلى نارا ذات لهب) سيدخل أبو لهب نارا لا يسكن لهبها ولا يطفئ جمرها (وامرأته حمالة الحطب) أم جميل أخت أبى سفيان وكانت عوراء أى يصليها الله تعالى معه فيكون معطوفا على المستكن فى سيصلى قال الضحاك كانت تحمل الشوك فتطرحه بالليل فى طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه لتعقرهم فذلك قوله تعالى حمالة الحطب (فى جيدها حبل من مسد) والمسد فى اللغة الفتل والمسدود المفتول قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى عنقها سلسلة ذرعها سبعون ذراعا من الحديد لو وضعت منها حلقة على جبل لذاب كما يذوب الرصاص تدخل من فيها وتخرج من دبرها يلوى سائرها فى عنقها وذلك انها كانت لها قلادة فاخرة وكانت تقول لانفقنها فى عداوة محمد (أقول) بلطف الله تعالى انظر كيف عظم الله تعالى أمر حبيبه عليه الصلوات وكيف أجاب وشتم من شتم حبيبه على سنة الاحباب على ما مرت أمثاله مرارا

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الاحد الفرد الصمد والصلاة على نبيه أحمد وحبيبه محمد ﴿المدحة التى فى سورة قل هو الله أحد﴾ قال الله تعالى (قل هو الله أحد) الضمير للشأن وارتفاعه بالابتداء والجملة خبره (الله الصمد) السيد المصمود اليه فى الحوائج كلها (لم يلد)

الله تعالى بتفضله فانزل الله تعالى الآية وفى حديث أنس رضى الله عنه ومن أحبنى كان معى فى الجنة وفى المواهب اللدنية ما معناه ان امرأة فاجرة ماتت ورآها بعض الصالحين فى منامه فقال لها ما فعل الله عز وجل بك قالت غفر لى سبحانه قال فما سبب الغفران لك قالت محبتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشوقى الى لقائه ونوديت من جناب عزته ان الذى اشتاق الى حبيبنا نخفظه عن التذليل بعتابنا بل نجمعه واياه فى دار نعمنا

(فصل) فيما روى عن السلف والائمة من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له وتعظيمهم لحديثه الشريف خرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد الناس لى حبا ناس يكونون بعدى يود أحدهم لو رآنى بأهله وماله ومثله عن أبى ذر وعن عمرو بن العاص ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوى الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى أصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم و يقول منهم أصلى وفصلى واليهم يحن قلبى طال شوقى اليهم فعجل رب قبضى اليك حتى يغلبه النوم وروى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى

لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه (ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكن أحد يماثله ويكافئه من صاحبة وغيرها يقول العبد الفقير مؤلف الكتاب آمنا وصدقنا يارب أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك على ذلك توفنى على تصديقك ونبيك قال ابن كيسان ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك فانه قد أنزل نعته فى التوراة فما طوله وماعرضه فارتعد النبى صلى الله عليه وسلم ووضع أصبعيه فى اذنيه وفاضت عيناه فجعل أبو بكر رضى الله عنه يمسح الدموع عن وجنتيه فانزل الله تعالى هذه السورة الجليلة جوابا لهم وعن أنس رضى الله عنه قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فلما ان قدمها طلعت الشمس باحسن طلوع بيضاء وشعاع ونور لم تكن طلعت بمثله فيما مضى فتعجب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل عليه السلام بالوحى فسأله عن ذلك فقال انه مات اليوم معاوية الليثى بالمدينة وان الله تعالى بعث سبعين ألف ملك يصلون عليه قال فيما نال ذلك قال بكثرة تلاوة قل هو الله أحد قائما وقاعدا وفى ممشاه قال فهل لك يارسول الله ان أقبض لك الارض فتصلى عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع (أقول) ولك أن تقول ان فى هذه السورة الكريمة مايشير الى علو حال الحبيب عليه السلام من جهة ان الله سبحانه وتعالى أعطاه سورة تضمنت هذه الفضائل

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب الناس ملك الناس والصلاة على سيد الجن والناس

۞ (هذا شروع فى المدحة اللطيفة فى المعوذتين) ۞ قال الله تعالى (قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس) قل لهم يا محمد أعتصم بخالق الخلق المقتدر عليهم المالك لنفعهم وضرهم وحياتهم ومماتهم المستحق للعبادة الذى اليه مفزعهم وملجؤهم من شر الوسواس المختفى عن أعين الناس (الذى يوسوس فى صدور الناس) روى ان عيسى عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فجلى له فاذا رأسه رأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا لم يذكره وضع رأسه على ثمرة قلبه فمناه وحدثه (من الجنة والناس) بيان للوسواس أو للذى اعلم انه ذكر فى سبب نزول المعوذتين وجوه الاول ماروى ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فقل أعوذ برب الفلق وثانيها أنه تعالى أنزلهما عليه لتكونا له رقية من العين وثالثها وهو قول جمهور المفسرين ان لبيد بن الاعصم اليهودى سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى احدى عشرة عقدة فى وتر ودفنه فى بئر ذروان فمرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واشتد عليه ذلك فنزلت المعوذتان وأخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل عليا رضى الله تعالى عنه بطلبه فجاء به فقال جبريل حل عقدة واقرأ آية ففعل فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة وكان يجد بعض الراحة والخفة وروى عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه ان جبريل أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس وعين حاسدة بسم الله أرقيك والله يشفيك (أقول) بلطف الله تعالى قد علم مما تلوناه عليك من الوجوه ان فى هذه المعاملة وفى انزال المعوذتين على هذا الوجه اكراما واجلالا للحبيب عليه السلام حيث انزلهما الله تعالى لتكونا رقية وحرزا للحبيب عليه

بعثك بالحق لاسلام ابى طالب كان أقر لعينى من اسلامه يعنى اباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال ١٥٨ للعباس ان تسلم أحب الى من أن يسلم الخطاب لان ذلك أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد فقالت مافعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا بخير هو بحمد الله تعالى كما تحبين قالت أرونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما وروى ان عبد الله ابن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك فصاح يامحمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة رضى الله تعالى عنها اكشفى لى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يازيد أتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك فى أهلك فقال زيد والله ماأحب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس فى أهلى فقال أبو سفيان مارأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال

فى آخر التبيين فى شرح أصول حسام الدين وهى قوله الحمد لله الذى أقدرنى على معان هى بماء الحقائق معجونة وبنور الدقائق مشحونة ورزقنى من البيان مالم يخطر ببال الشارحين ولم يعض فى الحلم بعيون المحصلين ومنحنى من حسن التركيب مالم يمسه السنة أهل البلاغة ولم يرتق اليه همم أهل البراعة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم بعض من لا خبرة له فى العلوم يقول من حسده المشؤم لم يبق اليوم فى الدنيا مصنف وليس فيها مؤلف ولقد كذب هذا الاشر ولقد خوض هذا البطر فليس المصنف الا من جمع الكتاب بتركيب من عنده مقتدح الزنده اما انشاء المسائل من عند نفسه فهو اجتهاد ألا يرى ان ما قال فخر الاسلام فى أصوله فهو بعينه مذكور فى أصول شمس الائمة السرخسى وكذلك بالعكس الا أن التراكيب متغايرة وكذلك سائر مصنفات كبار المصنفين فى سائر العلوم على انى أوردت من الاسئلة والاجوبة ما منشؤه خاطرى ومطلعه باطنى من غير انتحال كانتحال غيرى فليس الخبر كالمعاينة فلو كان الاسلاف فى حياة لانصفونى ولقال أبو حنيفة اجتهدت ولقال أبو يوسف نار البيان أوقدت ولقال محمد أحسنت ولقال زفر أتقنت ولقال الحسن أمعنت ولقال أبو حفص انعمت فيما نظرت ولقال أبو منصور حققت ولقال الطحاوى صدقت ولقال الكرخى بورك فيما نطقت ولقال الجصاص أحكمت ولقال القاضى أبو زيد أصبت ولقال شمس الائمة وجدت ما طلبت ولقال فخر الاسلام مهرت ولقال نجم الدين النسفى بهرت ولقال صاحب الهداية يا غواص البحر عبرت ولقال صاحب المحيط فقت فيما أعلنت وأسررت الى غير ذلك من كبرائنا الذين لا يحصى عددهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ولقال المتنبى أنت من فصحاء عبارتهم مسكية النفحات الا انها وحشية بسواهم لا تعبق اللهم اقطع عنى شر شر الحسود وادفع كيد الشانى والعنود وخذ أيديهم وفرق ناديهم واعم أبصارهم واخذل أنصارهم واحفظنى كما تحفظ عبادك الصالحين عن مجالسة الظالمين انتهى كلام الامام قوام الدين (أقول) جوابه جوابى ودعاؤه دعائى ثم يقول ناظم هذا العقد الجسيم للنبى الكريم الحمد لله على البدء والختام وأسأله أن يجعله وسيلة لوصاله ولقائه فى يوم القيام وأن يمن على بجوار سيد الانام وأن يذيقنى فى هذه الدار مذاق أوليائه على الدوام وصلى الله على محمد وآله وصحبه الكرام فلنختم الكتاب بالدعاء المأثور من حبيب ذى الجلال والاكرام سائلا وراجيا ما فيه من الملك العلام اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به مصيبات الدنيا ومتعنا باسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا

لقاء ...

المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختيانى ما حدثتكم عن أحد الا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما فى ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم على ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا الا يبكى فنرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول

ناليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما
اء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم

ليناولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا
وارزقنا خير الدنيا وخير الآخرة والحمد لله على التمام وصلى الله على
أكمله مؤلف الكتاب بيده الفانية لو أبصرت ضعف بصرى وهزال
ن العلل لعلمت ان نظمى هذه الدرر الغالية بهذه العين الرمدة انما
المحبسة المكلل بجواهر الحلة وأنوار النبوة ويواقيت الرسالة
يوم المحنة آمين بحرمة سيد البرية فاذا وجدت خطأ فى رسم الخط
أعذارى المذكورة واكمال الكتابة كان فى شهر صفر لسنة ثمان
وتسعين وألف

الحمد لله الذى شرفنى باتمام كتابة كتاب نعوت محمد المصطفى المسمى بالمدحة الكبرى فى تفضيل خير الورى الذى سار فى ركابه الاعلى ملائكة الملك المولى حتى صعد العلى ونال كل المنى من الرؤية واللقاء والآيات الكبرى اللهم يسر شفاعته العظمى لمؤلفه الساعى باحراق الكبد وطى الامد فى هذا المسعى

*(يقول خادم تصحيح الكتب بدار الطباعة الكبرى العامرة ببولاق مصر القاهرة
الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى)*

تم طبع هذا الكتاب الجليل ذى الفضل الجزيل الآتى والمبين من فضائله صلى الله عليه وسلم الواردة فى الآيات القرآنية والمفسر للجمل المشتملة على مدحته صلى الله عليه وسلم من كل سورة من سور القرآن الشريف من أوله الى آخره على ترتيبها كما تنشر ... ٢٠١١ ... ذمة
ذى المساعى الخيرية والاخلاق الحسنة البهية المجبول على
الى الغير الذى انقاد لحضرته الكمال ودان حضرة مصطفى ا
عم رعاياه بسابغ انعامه وتمتعوا بهنى احسانه واكرامه رافع لو
معانديه بماضى عزمه وقاصم سطوته الخديو الاعظم والداور
جناب أفندينا الافخم محمد باشا توفيق أدام الله أيامه ودولته
أنجاله وجعلهم غرة فى جبين الاعصار ولاسيما عباسه الشبل
الكبرى الميرية العامرة ببولاق مصر القاهرة مشمولا طبعه
الفائق البارع الجميل بنظر ناظرها الجناب الامجد والهـ
والهمة والفطانة من عليه اخلاقه باللطف تثنى حضرة حسـ
السالك جادة سبيله من خاطبته المعالى بابالك أعنى
فى أوائل جمادى الاولى من عام ثلثمائة وواحـ
هجرة من خلقه الله على أكمل وصف
عليه وعلى جميع أصحابه وآله وكـ
على منواله ماسح غيث وعم
وطلع بدر وتم

ت
القو
النبى
ه وسـ
نه نزف
نه فى
صلى الله ذ
ولقد كـ
عبد الله
عنده النبى
عليه وسلم بكى حتى لا تبقى
فى عينيه دموع ولقد رأيت
الزهرى وكان من أهنا الناس
وأقربهم فاذا ذكر عنده النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
فكأنه ما عرفك ولا عرفته
ولقد كنت آتى صفوان بن
سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم بكى فلا
يزال يبكى حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه وروى عن
قتادة انه اذا سمع الحديث
أخذه العويل والزويل وكان
ابن سيرين ربما يضحك فاذا
ذكر عنده حديث النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم خشع
وعن زيد بن أسلم ما معناه
خرج عمر ليلة يحرس المدينة
المنورة فرأى مصباحا فى بيت
واذا عجوز تنفش صوفا وتقول
على محمد صلاة الابرار
صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكاء بالاسحار
ياليت شعرى والمنايا أطوار
هل تجمعنى وحبيبى الدار
تعنى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فجعل عمر رضى
الله تعالى عنه يبكى فلما أفاق جاء بابها ووقف وقال السلام عليكم ثلاث مرات ثم قال يا أمة الله أعيدى كلامك الشريف فانقادت لامره واعادت اللفظ المنيف فزاد ذلك عمر بكاء ووجدا وتوقدا فقال يا أمة الله لا تنسين عمر فقالت اغفر لعمر يا غفار *(تم وكمل)*


Bibliotheca Alexandrina
0501909